العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية

للطّاهر الحدّاد (1899-1935)

هو أوّل كتاب نشره الشّابّ الطّاهر الحدّاد، ويظهر فيه إلمامه بمقوّمات النّظام الرّأسماليّ، و"قسوته" التي تسبّب "الألم" للعمّال، ويظهر فيه كذلك اطّلاعه على نشأة الحركة العمّاليّة بأوروبّا وأمريكا، وتمييزه بين العمل الخيريّ المنبني على الإحسان، والتّعاونيّات والنّقابات المنبنية على التّضامن. وقد خصّص الكتاب لوصف الوضع البائس لعمّال الزّراعة والصّناعة، بالكثير من التّفصيل، وكتابة تاريخ ظهور العمل النّقابيّ بالبلاد.
وقد وصف كتابه في الخاتمة كما يلي : "وضعنا هذا التّاريخ، ولم نجمع فيه كلّ جزئيّات الحركة. لكنّنا سجّلنا أهمّ الحوادث والأفكار فيها، وليس من قصدنا أن نضعه مثالا أكمل يحتذى في العمل العموميّ المقبل، ولا أن يكون كدعاية جديدة لإثارة حماس سياسيّ إذ لم يبق أحد يعتقد في الهياج السّياسيّ وهو مجرّد من الأعمال الاجتماعيّة التي تكون بها الأمّة شعبا، وإنّما غايتي أن أجعله مثالا من أمثلة الحركات الاجتماعيّة في بلادنا يمتاز بروح الصّراع الماثلة في الاعتصابات وكيف قوبل هذا الأمر من حكومة البلاد والأحزاب النّافذة فيها لنعرف أوجه العمل القريبة ونعدّل من طرائق عملنا ما يحتاج إلى ذلك وما الماضي إلاّ درس للمستقبل."

المؤلف : الحداد، الطاهر
تاريخ النشر : 1927
الناشر : مطبعة العرب بتونس
اللغة : العربية
الموضوع : تاريخ الحركة النقابية
تصنيف ديوي العشري : 961
الوصف المادي للوثيقة : 191 ص ؛ 25 سم
المفاتيح : الحركة النقابية، تونس، تاريخ، الطّاهر الحدّاد، الاشتراكيّة، الرّأسماليّة، عهد الحماية، عمّال المزارع، الخمّاسة، عمّال المصانع، الاعتصابات، الإنسانيّات الرّقميّة.

العمال التونسيون

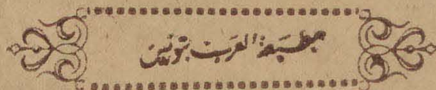
و

ظهور الحركة النقابية

تأليف

الطاهر الحداد

سنة ١٩٢٧م　الطبعة الاولى　سنة ١٣٤٦





المؤلف الطاهر الحداد

العمال التونسيون

و

ظهور الحركة النقابية

تأليف

الطاهر الحداد

الطبعة الاولى *** سنة ١٣٤٦



مطبعة العرب بتونس



مقدمة

خلق الانسان محتاجا لبناء ذاته من معاش يقتاته ومع مرور الزمن فان قوة العقل فيه استطاعت ان تميزه في عيشه عن سائر الحيوان فلم يعد يقبل بما تنبت الارض من الحشيش ولا بما يقر عليها من المياه المتربة المعفرة فسعى بالتدريج في تحسين الانتاج الطبيعي يعمل في الارض لتحصيل ما يحتاجه من خيراتها ! ومن هنا شعر بلزوم آلات يستعملها لتحسين الانتاج وتوفيره وهي رأس مال العمل فكانت من ذلك الصناعة وهي النوع الثاني في الانتاج وهذا أول دور من مدنية الانسان شعر فيه بالحاجة الى تعاضد أفراده جماعات جماعات للقيام بالعمل وتوزيع اجزائه الكثيرة بينهم حتى يتم لكل فرد منهم ما يريد من حاجاته ثم بتجدد هذه الحاجات ونموها مع الانسان احتاجت تلك الجماعات المستقلة الى التعارف والتعاون على الانتاج وتوزيع الحاجات وتبادل المنتجات فنشأ من ذلك في العالم شعوب تعارفت بقدر ما سمح العلم به من قرب المواصلات وبعدها

غير ان هذا التعارف وذاك التعاون الذي ولدته الحاجة للانتاج وتحسينه وتوفيره لم يقف عند حده المناسب بل انقلب شرا ونهمة عند بعض الانسان ومؤامرة منه على نوعه مدفوعا الى ذلك بما يرى في ذاته من تفوق في العقل والجسم . والانسان بعد ان تتوفر حاجاته الضرورية كثير الشره والطموح الى ما فوقها لا سيما اذا نظر الى نفسه باعجاب

ان تفاوت افراد الانسان قوة وضعفا في العقل والجسم شيء لا مفر منه فان للمنبت والعوارض الطارئة بالصدفة وجيوش الامراض واختلاف تاثيرها وانتقالها بالوراثه اثر ظاهر في هذا التفاوت المحسوس الذي لا يمنعه الاتحاد في اصل الحقيقة ، وأيضا فان التمارين في الاعمال النظرية التي تتفق لبعض الانسان باستعداده وكسبه ، وانتقالها بالتعليم الى طبقة اخرى لمما يزيد هذا التفاوت نمواً

لقد شعر الانسان الضعيف بميزة الاقوياء عقلا وجسما فسلم لهم بالسيادة عليه خصوصا وقت ان كان معرضا لخطر الوحوش الكاسرة التي كان يعيش معها على صعيد واحد فوضع هؤلاء أيديهم على منبع الانتاج

لقد كانت الارض حرة قبل ان تلد الانسان فلما جاء تعاون على انتاج ما يحتاجه منها فبدون شك ان اول وضع يد خاصة عليها للتملك كان بلا بيع ، وليس من المعقول ان يبيع الجميع مرتزقهم ماداموا يوفرون منه ما يلزمهم بالتعاون وما دام للاجيال الآتية حق فيه

يلوح لي ان الانسان الاول كان ماديا بحتا تعاون لانتاج حاجته فلما شعر بضعف اخيه نفذ منه الى حيازة مرتزقه بدعوى التفوق عليه عقلا وجسما وان هذا التفوق يجب ان لا يذهب ضحية حب المساواة التي لم تثبتها الطبيعة ولو انه اعتدل في حب المادة لاخذ نصيبه من المنتجات مناسبا لانتاجه الاوفر من غيره فيكون بذلك قد اقتضى لنفسه بحق التفوق ولكنه آثر نزع الحق المشترك وتخصيص نفسه بحوز الارض فذهب حق الجماعة ضحية حب المادة !

لقد عرف الانسان انه لا يعيش بدون جماعة فحول بتفوقه عليهم معيشة الاشتراك التي كانوا ينعمون بها الى حالة فعلة يعملون في حقله وبستانه الخاص مقابل لقم يدفعون بها شر الجوع وهم راضون بها ومقتنعون بضعفهم وجهلهم

وتفوق الآخرين عليهم وقد لبث هـذا النظام حيا ينمو من وقت ان كان الانسان في دور القبائل الى ان بلغ دور التشعب والاممية وهنا ازداد رسوخا وطغيانا فبقدر ما تتسع التجـارب ويكشف العلم من اسباب الرزق يكون استنزاف مجهودات العمال واستثمارهم تحت ضغط الحكومات التي انتظم امرها وامتدت صولتها اكثر من ذي قبل فعاش العمال ارقاء في مزارع ومصانع ومتاجر اسيادهم وقد ولدوا من قبل احرارا

ولقد كانت نهضة اروبا العلمية الاقتصادية بما تيسر لها من وسائل الانتاج والتوزيع اعظم باعث لاستثمار العمال واضافة اقسام من النـاس اليهم كانوا يعيشون في صناعاتهم الصغرى باستقلال فجرهم راس المال الكبير عملة في معامله ومناجه قهرا حيث لا يقوون على مجاراته في الانتاج والترويج الذين اخذا في النمو من يوم ان انفتحت ابواب الممالك للتعامل بينها بعقد المعـاهدات التجارية وسهلت المواصلات وقربت المسافة بوسائل النقل السريع . وبالاخص قد ازداد جد رأس المال ونشاطه في الممالك الاروبية بعد ان انكشف ذلك الظلام الخيم على العالم القديم فصيره سوقا عامة للترويج بما أدى الى التزاحـم بينهم تزاحما قويا أفضى بهم الى التسارع لحيازة هذه البلدان العـاطلة حرصا منهم على الاستئثار بالمنفعة طبق قاعدة الحيازة وقد الفوا المؤتمرات العـديدة لتعديل قسمة البلاد الشرقية والافريقية كل على قدر قوته واحتياجه منعـا للحروب وفصلا للنزاعات القائمة بينهم

غير انه بالرغم من ذلك فان التزاحم بين هـذه الممالك لا يزال ينمو بنمو الايام وقد قامت وتقوم من اجله الحروب الهـائلة التي تدحر الملايين من الانسان وقد فكر كل راس مال في التوفير من مصاريف الانتـاج حتى تمكن له المزاحمة بربح في الترويج فكانت مسالة التنقيص من اجور العملة

وغبنهم فيها اعظم مسالة تهم رأس المال للمغالبة او تمديس المزاحمة على الاقل

لقد كان رأس المـال قاسيا منذ التاريخ وهو بقـدر ما يتسع له العلم والتجربة يزداد رسوخا وأمنا على مستقبله في تسخير العمال بصورة جعلتهم على الدوام في حاجة اليه لتسديد معاشهم وهو لا يعطيهم من ذلك الا قليلا

عاش هؤلاء العملة بين ازواجهم وبنيهم وسائر اهلهم عيشة الفـاقه وهم يجدون عاملون فاذاما مرضوا او هلكوا في الشغـل او من غـيره انقطعت جراياتهم ، وضف اليهم من ترفضهم المعامل للاستغناء عنهم فيصبح الجميع عاطلين عن العمل فاقدين معاشهم يأكلهم الجوع وتنتاب الامراض اجسادهم المنهوكة بلا عـلاج هم ونسائهم وبنيهم ومن في كفالتهم فكان من ذلك مشهد عام اسود لا ينظر اليه مستثمروهم الا بارتفاع رأس وشموخ أنف ، ولئن لم يجـدوا في الحكومات المتسلطة عليهم اقل رحمة سوى ما يرهبهـم ويزجرهم عن النطق بكلمة يطلبون بها العيش فقد وجـدوا في الاديان او رجالها عزاءا جميلا يهون عليهم ثقل الآلام التي يقطعونهـا ويصغر لهم من شان ذلك النعيم الذي يتقلب عليه الاغنياء المترفون وانه زائل وسيحاسبون عليه حسابا عسيراً وبعكس ذلك سيجد الفقراء المتألمون في هذه الحياة نعيما ابديا في الآخرة جزاء صبرهم في الدنيا

غير انه مهما كانت الوسائل التي استعملت لتلطيف وقع الشر فانه بطبعه انتج شراً — والشر لا يلد الا شرا — فقـد انغمست الانسانية فى رذائل الكذب والنفاق ووضع الدسائس واللصوصية وقطع السبل على المارة بما صير ذلك مع مرور الزمن صناعة للكسب قد لا يحتاج اليهـا ولكن تمرن المخ والاعضاء عليها يجعلها اسهل آلة للربح وقد تنقلب داعيـة فخر عند بعض الانسان لما يرى فيها من المهارة والحذق الذي يمنـع من الوقـوع فى الفخ بعد التحصيل على المغانم

نشأت هـذه الآلام بما يكللهـا من السواد ونمت مع الزمن وكان العلماء الصالحون في ازمان منقطعة ينظرون هذه الحالة كل بالصورة التي بلغت اليها في عصره وينكرونها أشد الانكار ويصوورن احلامهم الجميلة في الحياة المرضية التي يعيش فيها الانسان بالتعاون والتآخي لا بالتزاحم وحب الاثرة ومغالبة القوي للضعيف ، غير انهم لم يتـألبوا على الاحتكاك بطبقـات العمال لايجاد التاثير المرغوب اما لان الزمن لم يهيئهم لذلك اذ كانوا عددا قليلا او لم يهيئ الآخرين لفقه ارواحهم ومبادئهم الصادقة التي فيها علاجهم الحقيقي فاستمرت هذه الآلام تغلي في قدر الايام تمد وتصد حتى فاضت بها الحوادث فيضانا كان منبعه البلاد الاوروبية

ان البلاد الاوروبية بكثرة عمرانها . وانتشار المعـارف فيها اثر النهضة العلمية وسهولة طلبها لعموم الطبقات قد ايقظت الافكار وانارت السبل لبلوغ الغايات خصوصاً وقد اشترك العمال الاوروبيون مع اخوانهم الماليين اذاك في ثورات عديدة وحروب دامية بل كانوا جندهـا الباسل ضد الملوك المطلقين وحكم الكنيسة فابادوا هذه الطائفة ومن والاها وكان الماليون على راس هـذه الحركة يعدونهم بالحرية الكاملة وتوزيع ثمرانها بينهم على السواء فلما جـاء وقت اقتسام الربح وضعت الدساتير لاحـترام حرية القول والعمل بحـدود مضبوطة وقرروا في طالعتها حرية التملك الخاص بما فيـه من الميزات بلا قيد ولا شرط ووضعوا في نظام الانتخابات ما يكفل حماية النظامات المالية بل حماية تعديها على غيرها

ومهما كان الامر فان العمال الاوروبيين قد استفادوا من هذه الدساتير حرية القول والعمل التي وان تؤولت شروطها كثيرا وحملت على محامل لفائدة المتمولين فقد امكن لهم بانتشار العلم وخـوض غمرات الحروب ان يتغلبوا

على تلك المحاولات ويسيروا خطوات واسعة لبلوغ الغاية

ان هذه الحرية في القول والعمل التي نالها العمال الاروبيون لم تكن نتيجة فجئية لهم او قريبة المأخذ من وقت ما طلبوها بل كانت نتيجة السنين والايام الطويلة في الكفاح مع راس المال ولقد كان يجند منهم عليهم جنودا يضعها في وجوههم لاقل حركة يفهم منها التذمر أو محاولة رفض التسخير وله من القوانين الوضعية ما يسمح بزجهم في المجرمين بصفة مشوشين ومتآمرين للابطاء بالمصلحة العامة عن وقتها - التي هي الانتاج له - وكم كان يرفض منهم الى الطريق عند ما يزيد الانتاج عن حاجته او زجراً لهم وتهديداً للباقين منهم حتى يتم له بذلك السلطان المطلق عليهم ، لكن عوامل النهضة العامة في اوروبا قد تغلبت على هذه الاحوال واخذت تضربها من جنباتها ضربا خفض من فورانها بالتدريج ، ولقد رزقت الانسانية في اوروبا ابناء بارين سهل العلم لهم ان يكونوا من الابطال المنتشلين لها من هوة الالم والموت البطيء فاول ما شرع في عمله لتخفيف وطأة البؤس هو تاسيس الجمعيات الخيرية التي كانت في اول امرها صناديق يتجمع فيها ما يتصدق به من جيوب المحسنين لانفاقه على المحتاجين غير انها وان أحسنت عملا وخففت شراً فقد ظهر أن هذا الاحسان الاختياري لا يكفي هذه الجماهير الكثيرة من البشر مهما نما وزكى لشمول الاحتياج جميع البطالين لفقد العمل، والمرضى، والعمال عموما حيث لا يكفيهم ما ينقدونه اجراً عن عملهم ، وأضف الى ذلك عائلاتهم وما يلي ذلك من قرابتهم ، وفوق ذلك فان للمحسنين باحسانهم عزة يذلون بها المحتاجين وهم السواد الاعظم الذي لا يمكن ان تنمو فيه عاطفة الحرية فتثمر قوة الارادة وهو بهذه الحال ذليل النفس كسير الخاطر يمد يده استعطافا للمحسنين

فكر المنقذون في هذا، والاختراع ابن الحاجة، فاهتدوا الى تاسيس الجمعيات التعاونية وهي توفير العمال جزءاً مناسباً من اجورهم وقت العمل لحمل بعضهم بعضا ايام المرض وعند الحاجة بقدر ما يتسع دخلها وقد رفعت هذه الجمعيات في مبدئها جانبا عظيما من البؤس وصيرت الاحسان متبادلا بين الفرد والجماعة فخف حمله بالتعاون على الجميع على ان نظاماتها كانت تقبل التبرعات لتحسين دخلها، ثم ما لبثت هذه الجمعيات تقوم بواجب سد حاجات اعضائها حتى اهتدت بنمو أموالها الى ان تستثمر جانبا منها قبل الاحتياج اليه فاشترت الاراضي الواسعة للزراعة وفتحت معامل للصناعة وأسست دوراً للتجارة وبنوكا تعامل بالحسنى اعضاءها الذين طالما كان يدفعهم الاحتياج الى المرابين الذين يغتنمون فرصة احتياجهم فيعاملونهم بفائض ثقيل يذهب في الغالب بما تركوه رهنا في الدين —

مشت هذه الجمعيات بالتدريج الى هذه الغايات حتى عظمت ارباحها التي هي مشاعة بين جميع الاعضاء ولكنها لم تسر على نظام التمول في معاملاتها فقد استطاعت ان تقاوم الاحتكار في سوق المتمولين ورفع الاثمان بدون وجه شرعي خصوصا في المواد الضرورية للعموم كالمطاعم والملابس وبناء المساكن وقد استطاعت ان تبني دور العلم وتمنحه لمن لا يستطيع دفع اثمان الكتب ولوازم القراءة خصوصا في التعليم الثاني والعالي فاتسع التعليم لطبقات كانت محرومة منه بحاجز الفقر وانشأت المجلات والجرائد الدورية واقامت النوادي لانشاء العقول الصحيحة وتربية الملكات المنتجة وبث روح التعاون ولقد كانت المزارع والمعامل التي اسستها هذه الجمعيات للعملة أيضا - يعملون فيها لانفسهم برؤوس أموالهم ويقتسمون النتائج بينهم - احسن منبع للتربية على استقلال الفكر، وحرية العمل، واقتسام ثمرات الكد على قدر البذل،

والشعور بمزايا التعاون والتاخي ، وخلقت فيهم روح القوة على المصارعة الدائمة بين العمل ورأس المال ، وبذلك زال منظر الفاقة والاحتياج الذي كان يلجئهم الى ذل الاحسان ، ولقد شعرت الجمعيات الخيرية أيضا بواجبها في هذا الصدد فسعت في التحصيل على املاك لها تستثمرها وبعض مساعي يتكون من مجموعها ايراد سنوي يخفف كثيرا من احتياجها للاحسان المتعاقب ان لم يغنها عنه ، وبذلك اشتركت جميع هذه المؤسسات في قتل مذلة الحاجة وضعف النفوس وذلك مبدأ حرية الانسان .

ان هذه القوة النفسية والاجتماعية هي التي كانت مصدراً لاعلان الحق النقابي الذي رسخ نظامه في اوروبا لانزال الطغيان المالي عن تجبره الفاحش ، ولقد تضاءل ذلك البناء المشمخر حتى نزل الى الاعتراف بنقابات العمال ، ودونت القوانين للوساطة بين الجانبين رجاء التوفيق بين نظرياتها المتعارضة وأصبح يعترف لهم بحق الاعتصاب عن الشغل متى شاؤوا حتى يتم الوفاق ، بعد ان كانوا سوادا مهملا لا حق له الا خدمة اسياده ببعض العيش عند حاجتهم اليه !

لقد نجح عمال اوروبا في جهادهم هذا نجاحا كبيرا تحسنت به اجورهم اضعاف ما كانت عليه قبل ذلك وتعالج امراضهم هم وعائلاتهم على حساب المعمل ويعتبر لهم في الاجور افراد عائلاتهم ويجبر النقص الواقع لهم من آفات الشغل ولهم أجورهم أيام المرض كاملة أو نصفها ، ولا زال الكفاح مستمرا بلا نهاية لتحسين الحال اذ لا رجاء في تحصيل حق ما في هذا العالم الا بالمكافحة والتغالب

لم يقف الامر عند هذا الحد فقد استطاع العمال ان يؤلفوا بينهم اتحادا امميا عاما يجمعهم ويوحد غايتهم عكس روح التمول التي جعلت من اوطانها

الخاصة مثارا للحروب الهائلة بين اهلهـا قصد التغالب فاسسوا مكتبا تحت اسم « المكتب النقابي الاممي » وذلك سنة ١٩٠٢ - وكان عمله لا يزيد عن تلقي وسائل من عموم الجهات يلخص منها تقارير عن الحالة بصفة عامة يعلنها كمعقد للصلة بـين العمال وقصدا للتعارف والنظر فى علاج الحالة الى ان انتهت الحرب الكبرى وجاء عام ١٩١٩ حيث تاسست الجامعة الاممية في أمستردام

لقد كان تاثير الحرب الكبرى على العناصر العاملة قويا جدا فهم الذين تلقوا اهوالها وجها لوجه وبذلك ازداد شعورهم بالتضامن بينهم فكثر عدد المنتقبين في اوروبا بنسبة المثل والامثال ، وقد رأينا ان نضع هنـا احصائية عن كتاب « الاممية » وهي هذه :

البلدان	قبل الحرب	بعد الحرب
انقلترا	٤٫٠٠٠٫٠٠٠	٨٫٠٠٠٫٠٠٠
المانيـا	٣٫٥٠٠٫٠٠٠	١٢٫٠٠٠٫٠٠٠
الولايات المتحدة	٢٫٧٠٠٫٠٠٠	٥٫٦٠٠٫٠٠٠
فرنسا	١٠٠٫٠٠٠	٢٫٥٠٠٫٠٠٠

وعلى هذه النسبة كانت الزيادة في ايطاليا وبلجيكا والبلاد التي لم تشترك في الحرب الكبرى ، على ان هذه الفكرة قد تجاوزت اروبا الى الشرق كالهند والصين واليابان وهند الصين وتركيا وافريقيا الشمالية ، وقد اثبت الاحصاء الرسمي الاممي ان عدد العمال المنتقبين في العالم قبل الحرب الكبرى عشرة ملايين وهو يثبت ان عددهم عام ١٩٢٠ خمسون مليونا

على رأس هذه الحركات السائرة بنجاح في نمو التحسين يقوم رجـال من العلماء المنقطعين لخدمة الانسانية يبحثون فى تاريخ الانسان والحـق الطبيعي والحياة الاشتراكية واوفق نظام اجتماعي تتم به سعادة الانسان

فتمخضت هذه الابحاث بعد الدرس الطويل أجيالا وقرونا على كتاب نبي الاشتراكية في اروبا الاستاذ كارل ماركس الالماني الذي عد كتابه غاية احلام الانسانية ومبدأ يقوم على اعضاد العمال المخلصين البارين .

ولقد تهيأت هذه القوات بمرور الزمن الى الظهور بصورة احزاب قوية لمصارعة رأس المال وجها لوجه فانكرت وجوده وسعت لاجتثاث عروقه النامية في جوف الايام فاصابت البلاد الاروبية من ذلك رجات عنيفة تمخضت في بعض البلاد الاروبية عن قيام دولة في الروسيا تمثل احلام الاشتراكية ولا تزال بقية البلاد الاروبية تتدافع فيها القوتان : العمل ورأس المال وان كان هذا التدافع يختلف قوة وضعفا باختلاف البلدان ، ففي فرنسا مثلا نجد لاحزاب العمال قوة ظاهرة في مغالبة الرأسمالية وان كانت منهوكة بما فيها من الانقسام على نفسها، بخلافها في ايطاليا فان قوة الفاشيست قد اخمدتها ، وانصار الرأسمالية ينسبون التحسين الموجود اليوم في مالية ايطاليا الى حكومة م. مسوليني التي استطاعت بمبدا الفاشيست ان تضغط في استثمار اكبر مجهودات العمال باجور قليلة وان ترفع ساعات العمل الى التسع بعد الثماني وتعمم ذلك في المزارع بعد ان نفذته في المعامل فيكثر الانتاج ويقل الاستهلاك ، وقد صارت مسالة الاكثار من الانتاج والتنقيص من الاجور وجعل الضرائب عامة باطراد لا على رؤوس الاموال لينال العمال القسط الاوفر منها - هذه المسائل قد صارت اليوم اكبر شغل يهم رأس المال وخصوصا في البلاد التي قلت الثقة العامة بماليتها ، ففي فرنسا مثلا يود الكثير ان لو يتم هناك نظام الفاشيست ولكنهم لم ينجحوا لقوة احزاب العمال ويقظتها

وقد يظهر ان العالم القديم الذي انتبه على اصوات القنابل قد ناله شيء من تاثير هذه الحركات لكنه تاثير بطيء يلزم ان ياخذ الوقت الكافي مع

القوات المعارضة له ، واكبر هم يعالجه العالم القديم هو نزع القـدم الاروبية الواطئة ارضه لاستغلالها واستغلاله بحق القوة والسلطان ويلزمه لذلك تجهيز نفسه بمثل ما عند دول الغرب من العلم وسائر اسلحة الكفـاح ، ويوم تسلم هذه الدول بوصوله الى مكان العزة فستحرص ان ابقتهـا القوات الفـائرة فى بطنهـا ان يكون نظام هـذا العالم ماليـا واذ يكون ذلك فسيكون تاريخه طويل الذيل .



الحالة الاجتماعية الاقتصادية

بتونس

لم يكن بالبلاد التونسية رأس مال كبير مثل ما هو موجود فى اوربا بتاثير النهضة العلمية التي انتجت اختراع الآلات الصناعية الكبرى للانتاج ، بل كان السائد بها هو رأس المال الصغير ، ولئن وجدت الاملاك الواسعة عند بعض الاشخاص فقد كانت بوراً ، والمستثمر منها قليل الانتاج بسبب الكسل العام الذى منشؤه الجهل باسباب الرزق الناجحة ، والخوف على المال من التلف بالاستعمال ، ولقد كانت العائلات الكبرى تانف الاشغال اليدوية فهي اما ان تنحاز الى الوظائف العليا عند الحكومة او تستغل بعض الاراضي بايدي عمال تستعملهم للتحصيل على ايراد سنوي من مجهودهم فى تلك الاراضي ، على ان التجارة ما كانت تبعد فى نظرها عن درجة الاشغال اليدوية ففيها من الاحتياج للمشترين ، وملاطفتهم ، وحل رباط السلع لعرضها عليهم ، واختيارهم بعد ذلك فى الشراء ما يجعل ذلك ثقيلا عليها ومهانة لها ، ويستثنى من ذلك بعض عائلات باشرت تجارة الاشياء النفيسة والاعطار وصناعة الشاشية فى الظل الظليل تحت السقف السميكة المانعة من حر الشمس وقر الشتاء ، ومدن المملكة تتقارب فى هذه الاخلاق ، اما البادية فيمتاز الكبراء فيها عن كبراء المدن باستعمال نشاطهم فى ركوب الخيل واللعب بالسيوف وانواع من الرياضة يشتركون فيها مع مسا كنيهم ، ولقد كان كل هؤلاء الكبراء عين السلطة وعمادها فى مد سلطانها على البلاد فكانت اخلاق الترفع عن الصناعات والانفه من الاختلاط بسواد الامة مناسبة لهم اذاك ، اما بعد الاحتلال فقد تحول ذلك السلطان الملوكي الذي كان لهم الى

ايدي الفرنسيين فأمسوا له آلـة ومن لم يرض او لم ترض به حكومة الاحتلال فله فى زاوية بيته احسن مقام ، وما لبث ان ضايقهـم الاستعمار في الارض لتعميرها بالفرنسيين فتركوا اراضيهم له وافتقر من هذه العائلات الكثير فاضطرت بحكم الحال الى الاحتراف ، والتعرف بطبقات الناس لذلك ، والاعتراف بان الاجـداد قد بنوا لها قصرا من رمال الصحراء فعبثت به الرياح ، وكان من ذلك ومن الامثلة المحسوسة التى اعطاها الاستعمار الاوربي ان انبعث من جديد فى التونسيين حركة تمارات وتقليد ففهموا معنى الارض التي كانت بوراً وعرفوا ان قيمتها الاقتصادية في وفرة انتاجهـا لا فى مجرد امتلاكها ، فاستعملوا آلات الفلاحة العصرية واعتنوا بخدمة الارض وما زالوا سائرين بالتدريج وكذلك يوجد اليوم لهم نصيب من المزاحمة فى التجارة اما الصناعة فلم يتجدد منها شيء بصفة ظاهرة .

غير ان الروح الوحيدة التي تفقدها هذه الاعمـال الاقتصادية هي روح الشعور بلزوم التعاون والتضامن على الانتاج الزراعي والصناعي ، والترويج ، ولم يوجد من ذلك سوى بعض شركات تجارية أسسها اناس ودعوا الجمهور اليها ثم هم الذين قتلوها بايديهم ، وعسى ان تدرس البلاد هذا المشروع الهام للنجاح فى المعترك الاقتصادى وتحسين حـالة البـلاد بصفة عمومية ، لكن الذي يهمنا من هذا الان ان نبحث عن حالة العمال فى هذا الوسط المرتج ونصيبهم من الحياة آتين من الماضي قبل الاحتلال الى اليوم .

عمـال الزراعة

العمال عموما وان اشتركـوا فى نوع الالم الذي يعانونه فقد اختلفوا فى

ذلك باختلاف العمل الذي يباشرونه الى زارعين وصانعين ونافلين كعمال السكك الحديدية والاوصفة البحرية والى مستعملين فى دواوين الكتابة وهؤلاء قليل جدا فى العصر السالف ولا اهمية لهم من هذه الجهة تذكر ، ولنبدأ بعمال الزراعة فيما يلي :

عمال الزراعة هم الذين يدعون من القديم بلفظ الخماسة او الرباعة فى بعض الجهات نسبة الى الخمس او الربع الذي ينالونه مقابل خدمة الارض حتى تعطي اكلها وعادة هؤلاء الخماسة أنهم يعملون هم ونساؤهم وابناؤهم حتى تاتي النتيجة التي قد تكفيهم اذا كانت حسنة وكان عدد عائلة الخماس مناسبا ، لكن اعوام النقص والجائحة التي قد تتكرر كما يقع بكثرة لاسباب اهمها فقد الآلات الصالحة لانتاج الارض ـ هذه الاعوام تستلزم احتياجا متجددا من الخماس ذي العيال الى الفلاح الذي ينال من الصابة اربعة اخماسها فهو يعامله طبق نظام التسبقة متى شاء ومتى شاء قطع عنه ذلك واذا ثقل عليه حمل هذه الحالة فحاول الفرار لجهة يجد فيها من يعامله للعيش ومع تحقق هذه الحالة منه فان ذلك لا يمنع قوانين البلاد من تجريمه والحكم عليه بالسجن والرجوع جبرا الى خدمة سيده الذي امتنع من معاملته وقت احتياجه ، عدا ما يناله من هذا السيد اجراً على فراره بما له من اليد العليا والمطلقة عليه .. ! ويوم يغيب السيد لحاجة أو كان يسكن الحواضر فينال الخماس شيئاً من متاع ذلك السيد فان ذلك دليل على خيانة وغدر هذه الطائفة ووجوب التيقظ لهم والحذر منهم ، واذا اجتمع الفلاحون في ميعاد لهم فانما يتحدثون عن جهل الخماسة وفساد اخلاقهم وقبح اعمالهم ، ولكن لا لاستصلاح شأنهم بل لتبرير اعمال الانتقام منهم وانزال درجتهم عن استحقاق الكرامة ، ولا تزال هذه الروح وتلك القوانين المؤيدة لها جارية الى اليوم سوى صورة

الهيبة والعظمة القديمة التي انتقلت منهم الى المعمرين الفرنسيين الذين غيروا الجزء الذي ياخذه الخماس الى اجرة يومية مقابل عمله تقطع عنه اذا لم يحتج اليه اثناء العام . اما قيمته واعتباره عند العموم فيكفي ان احد الناس اذ يريد شتم صاحبه يقول له : « انني اخس عشرة من امثالك » ويقول احدهم للآخر يبرهن له انه لا يستحق منه الاهانة « انا لست خماسا في سقيفة دارك » !

انني لا اريد ذم احد ولا ان ابين بهذا ان الخماس بريء من كل عيب يشينه ولكني اريد ان أبين انه مظلوم في حياته مغبون في عيشته ، ولقد يخفف ذلك كثيرا من جرائمه في نظر الانصاف ، ولولا ضيق المقام لتتبعت حياة هذه الطائفة بالتفصيل اذ يلزم لذلك كتب خاصة ولا غرو فهي السواد الاعظم في الامة التونسية ، ولئن ساعدني القدر فسأهتم بذلك في المستقبل

عمال الصناعة

ان التقسيم العرفي الجاري في الصناعات انها تعتمد على ثلاثة وظائف :

معلم وهو صاحب رأس المال وفي الغالب يشتغل بعمل ما ولو بالبيع وقبض أثمان السلع ومراقبة عماله ، وقلفة وهو من يحسن الصناعة من المتخرجين فيها يعمل باجرة نسبية في الغالب ، وصانع وهو الذي يتمرن على الصناعة ليتخرج فيها وهو في الغالب من الاطفال ، وعمله مساعدة القلفة في عمله والتأمل من حركاته وقت العمل لاخذ التمارين عنه ، ولا اجرة له سوى احسان زهيد يعطيه المعلم عادة تنشيطا له حتى يستمر في خدمته ويسمونه « الجمعة » وايضا ما يعطيه المشتري للصانع عند تسلمه حاجته التي

صنعت له ويسمونه « الحلاوة » على وجه المبرة ، والمعلم لا يستنكف من استعمال الصانع لقضاء حاجاته المنزلية ذهابا وايابا والمعلمون على تفاوت في ذلك . ولئن كانت كتاتيب المؤدبين لتعليم القرآن ملآنة بالاطفال فان دكاكين الصناعة اعمر منها ولكن الطريق أعمر منهما جميعاً غير ان انشاء المدارس الدولية والحرة قد خفف كثيرا من هذا المشهد المكدر ، خصوصا عند ما اخذ عموم الامة يحس اليوم بضرورة التعليم ، ومعلموا الصناعات في دكاكينهم كالمؤدبين في كتاتيبهم لهم حق تربية الاطفال وضربهم ورفع ارجلهم بآلة يسمونها « الفلقة » ولا يقع هذا النوع من التاديب الا عند ما يقوم عرق الغضب والانفعال في وجوه المعلمين : وتختص بعض دكاكين الصناعة بكثرة الوافدين عليها والجالسين فيها للهو والحديث كحوانيت الحلاقين التي يجلس فيها الاطفال الطالبون للصناعة تحت مقاعد مرتفعة من الخشب خصصت للزائرين من مختلف الطبقات ، ولكثير من هؤلاء الزائرين آداب في الحديث تشمئز منها الفضيلة فيتلقفها اولئك الاطفال عن بساطة وجهل ، وهؤلاء الاطفال الذين اضطر الفقر او الجهل آباءهم لوضعهم هناك هم الذين يصيرون من بعد عمالا في دكاكين المعلمين الذين ربوهم وهم صغار على « الفلقه » .

ونظام التسبقة فاش في الصناعات كالزراعة ، يعطي المعلم للقلفة مالا مسبقا هو اجرة مقدرة للعامل على انجازه عملا مقدراً للمعلم الذي كلما احتاج لذلك العامل ضاعف له القدر المسبق حتى يبقى جبرا في خدمته ، وهذا ما ترك العامل اسيراً عند معلمه يعمل طبق الاجر المسمى الى الخلاص ، ولا خلاص ما تكرر الدفع وتأكد القبض لسد الضرورة ، وليس له أن يخرج من ذلك الا ان يدفع ما بقي عليه من الاجر الذي لم يعمل بقدره حسب الاتفاق

حالا نقدا بدون امهال او يدخل السجن تاديبا له حتى يمتثل أن يرجع لعمله عند المعلم الاول وان وجد أجراً عند غيره احسن ، وهذا هو القصد الذي يدفع المعلمون من اجله للقلفات مالا مسبقا عن العمل

من مجموع هذه الحالة نستطيع ان نفهم معنى الاتفاق الاختياري الذي يقع بين العمال والمعلمين ، ومقدار حرية الاولين امام الاخرين خصوصا وهم فاقدون لمدد العيش ، ولا يلقونه باستعدادهم وتمرنهم الطويل الا عند معلميهم

انني لا اذكر هذه المعلومات لغرابتها ، فليس فينا من يجهل هذه الحالة وهو يعيش فيها ، غير ان عرضها مجموعة للتـامل منها أمر تستدعيه الروية لمعرفة اصل الداء واوجه القضاء عليه

***

ان الامر لم يقف عند هذا الحد فان لنزول الراسمالية الكبرى الفرنسيه في تونس بنتائج معاملها ، وفتح الابواب للمعامل الاروبية بصفة عمومية ـ أثراً فعالا في حذف جانب عظيم من عمل الصناعات التونسية كاد أن يقضي عليها ولا تزال سائرة لهذه الغاية بنجاح كبير ، فقل الانتـاج وانسلخ كثير من عمال الصناعات اما الى البطالة او المشاريع التي اعدها الاستعمار الفرنسي مثل السكك الحديدية ، ورصف الطرقات ، والمناجم وما اليهـا من الاشغال

لم يستطع معلموا هذه الصناعات الذين هم اصحاب راس مالها ان يخففوا ولو قليلا من تاثير البضائع الاجنبية بجمع امـوالهم الصغيرة والتعـاون بها جماعة أو جماعات على الانتاج وتحسينه وفق الاميال المتجددة في هذه البلاد ، واعـداد الآلات اللازمة ، وسبب ذلك رسوخ فكرة التحاسد بينهم في كل صناعة والتزاحم الشديد على المشتري ، والخوف على ربحه ان يندمج في مال غيره ، وانتفاء الثقة بينهم بتاصل هذه الصفات الرديئة فيهم ، ولا تسمح منهم

عند تألمهم من ضرر الواودات الاجنبية الا شتمها وشتم من يقتنيها ناسبيه الى التفرنج ومحبة الاجانب ، ومن رأيهم ان يقف الناس جميعاً فى اميالهم وشهواتهم عند حد ما يخرجون لهم من مصنوعات غير قابلة للتحول والتشكل ، ولا يرون ان هذا استرقاقا للانفس في ميولها التي تنطبع فيها بانفعال الحواس بمرئيات ومسموعات متجددة تصير معقولات جديدة ، بل يرون ان الانسان مختار في ذلك أولا وآخراً ، واكبر عمل يلجؤون اليه عند حدوث خطر فجئي على صناعاتهم من وجود مزاحم قوي ان ينادوا الحكومة ويسترحموها بالتوسلات لمنع هذا الحادث كما وقع ذلك من الشواشين وهذا اعظم مظهر من مظاهر اتحادهم بعد اتفاقهم على غبن عمالهم

لقد كان مجموع هذه الحالة اكبر سبب للقضاء على هذه الصناعات لا مجرد وجود البضاعة الاجنبية فان انتشارها وكثرة اقتناء الناس لها انما جاء من وفاقها للحاجة الحاضرة وتاخر صناعاتنا عن ذلك بمراحل قاصية ، ولكن زافر الفم يظن ان ذلك من الطعام الذى استحضر له .



ان ما اصاب الصناعة بتأخر آلات الانتاج فيها قد اصاب الزراعة أيضا فان آلات الانتاج العتيقة فيها لا تزال مستعملة في غالب الاراضي التي بقيت للتونسيين ، ولئن منيت الصناعات عندنا بالواردات الاجنبيــة فان نتائج الزراعة محققة الرواج داخلا وخارجا بل انها في الخارج اوفر ربحاً ، ولقد بالغ التجار من اجل هذه الارباح في اصدار الحبوب والانعام فاوقعوا المدن في غلاء فاحش والبادية فى مجاعة قاتلة وهذا ما يقع كل سنة عندنا تقريبا فايقظ هذا الربح الكثير نفوس الفلاحين ، وايضا مجاورتهم للاراضي التي استعمرها الاروبيون ، وما رأوا من المحصول الوافر عندهم ، فانبرى الكثير منهم

لشراء الآلات الجديدة وخدمة اراضيهم بالطرق العصرية وما زالوا سائرين في ذلك بالتدريج ، غير ان اغلب الفلاحين لم يغيروا طريقتهم القديمة ، اما لقلة ما بايديهم عن اعداد ما يلزم وهذا هو الاكثر واما لكسل واقتناع بما يحصل خوفا من الخسارة وهروبا من الربح المشكوك وهذا الفكر رائج عند الشيب الذين اقعدهم الزمن وعز عليهم ان ينفقوا للانتاج شيئا مما ادخروه من ماضي ايامهم ، ولقد كان ضعف رؤوس الاموال في الزراعة ، وتشتتها ، ووقوع الجوائح في نتائجها منفعا فسيحا لجراثيم الربا الفاحش وفرصة ثمينة للمرابين من اليهود في الاكثر لاخذ نتائج الفلاحين ، ووضع ايديهم على اراضيهم ، وتحويلها اليهم في أحيان كثيرة وهو ما يجري الى الان ، ورغم توافر هذه الآلام ونمو هذا الخطر فانهم لم يتوفقوا الى ايجاد نظام التعاون بينهم على الانتاج ، وشراء ما يلزمه ، والاقتراض له ، ولا تسمع منهم غير حمل المسؤلية على الحكومة التي لم تقرضهم ولم تساعدهم كما ساعدت المعمرين الفرنسيين ، ولا شان لها معهم الا يوم تاتي لاستخلاص الضرائب المفروضة عليهم ، وكانهم يعتقدون ان الحكومة ما كانت هنا الا لتسعفهم بهذه الحاجات . بيد أن المعروف في الدنيا كلها ان الحكومات ما كانت لتعمل بنفسها في الزراعة او غيرها من الحرف وانما وظيفتها أن تساعد الجمعيات الوطنية القائمة بتلك الحرف مساعدة فقط بالمال والنفوذ لا ان تعطي رؤوس اموال للعمل ، وهذه الجمعيات الوطنية المرتكزة على انتخاب اعضائها هي التي توزع تلك المساعدات عليهم وتراقب صرفها في اوجه الانتاج بما لها من الارتباط بهم ليمكن رد تلك المبالغ في اوقاتها وتاتي بالنتيجة المطلوبة منها اما والبلاد التونسية خالية من هذه الجمعيات بالنسبة للوطنيين فان صلة تعرفهم بالحكومة هم موظفوها وعلى ايديهم تقع بعض المساعدات ، وكثيرا ما شكى الناس وتالموا من الغبن والتمييز الذي يقع في التوزيع

لا سبب لنا فى تجنب التعاون الذي هو طريقنا الوحيد لتحسين الحالة الا حبنا للاستثمار الفردي الذي تاصل فينا بالوراثة ، وحتى اذا كان عندنا شيء من الجهل بطرق العمل لعدم وجود تمارين سابقة فان نياتنا لو طهرت وعزائمنا لو صدقت لامكن اقتحام هذه العقبة بسهولة ولكان لنا فى أمثلة من سبقنا الى ذلك وتجاريبهم أوضح قدوة نحتذيها ، ولكن الذي يعوزنا حقيقة انما هو الاخلاص والتألم من ألم العموم .

ان انشط فئة رابحة فى البلاد التونسية لا سيما فى العصر الحاضر هم اليهود ، وبصفة عامة فان رؤوس اموالهم نقدية وقسم منها يستعمل فى ادانة الفلاحين والصناع ومن لهم أملاك ، ثم ان حاصلات البلاد الزراعية يقع اصدارها على ايديهم وعلى ايديهم ايضا تاخذ البلاد حاجتها من الواردات ويشاركهم في ذلك طائفة من الاجانب ولهم دالة على البنوك ومنهم كثرة عمالها ، وللتونسيين المسلمين مشاركة فى التجارة ولكن بصفة موزعين صغار يتسلمون بضاعتهم من الآخرين فان سمعتهم فى الخارج بصفتهم افراداً غير حسنة .

اما عموم التونسيين المسلمين فثروتهم الاراضي وعملهم الزراعة والصناعة على النحو الذي بيناه وهم فيه اوقاء لرأس المال النقدي لتجديده وتسييره ، بل ولقوتهم اليومي عند ما تضغط الازمات على اعمالهم الضعيفة فلا تعود تكسب العيش ، ولكثير من أغنيائهم أموال نقدية ولكن نصيبها أن توضع فى الصناديق حفظا لها وخوفا عليها من عوادي الزمن ، وهم اذا كانوا لا يستعملونها في توفير انتاجهم او مقاومة الآفات الطارئة على اعمالهم فمن دون شك لا يفكرون ابدا في مساعدة غيرهم بها على وجه القرض او اي عمل من الاعمال المشتركة فبقي عموم الطوائف العاملة في الصناعة والزراعة اوقاء لراس المال النقدي الذي بيد اليهود ، على ان المواد الاصلية التي تعمل

فيها الصناعات التونسية كلها آتية من الخارج لا بوساطة اهل تلك الصناعات ولكن بواسطة اليهود الذين يسلمونها لهم بعد وضع ارباح ثقيلة عليها مثل صوف الشاشية التونسية والحرير لمن ينسج والاقمشة لمن يخيطها ثيابا والخشب والحديد وسائر المواد المستعملة في الصناعات . اما الفلاحون فجميع آلات عملهم آت على يد غيرهم بربح ثقيل ، وجميع حاصلاتهم التي وضعوا لانتاجها رؤوس اموالهم وجدوا لها في برد الشتاء وصبوا على الارض عرق جبينهم في حر الصيف من اجلها ليس هم الذين يبيعونها لا داخل البلاد ولا خارجها بل يتلقفها التجار من اليهود وبعض الاجانب حتى قبل ان يتم نضجها في احيان كثيرة متى اشتدت حاجة الزراع ، وكثيرا ما يذهب الدين بها او بأهمها ثم ان اولئك التجار يبيعونها لمن يطلبها من الخارج بارباح لا تكلفهم اكثر من فتح شفاههم بلفظ البيع والقسم الذي يفضل عن التصدير وهو في الغالب قليل لا يكفي يبقى مخزونا عند اولئك التجار يتربصون به السوق المناسب لرغبتهم في الربح ويعطونه ايضا في الربيع لأولئك الزراع الذين باعوه اول السنة تمهيداً منهم لحاصلات السنة القادمة عندما يظهر صلاحها ، والتونسيون المنتجون بصفة عمومية لا يعرفون معنى للتوفير من ايام اليسر الى الازمات التي تعرض لاعمالهم وحتى لأقواتهم فاذا ما ايسروا بوفر الحاصلات انسابوا من المزارع وغابات الزيتون والنخيل الى عقد الولائم ، وبناء الدور وتحسين المعيشة دفعة واحدة ، وذبح القرابين للاضرحة ، وشد الرحال اليها مهما بعد مكانها وهم يعتبرون ذلك دينا عليهم حتى يوفوه فيجتمع آلاف الوافدين من جهات مختلفة في حرم « زاوية » لأسبوع وأسبوعين وشهر فرسانا وركبا وخيلا تصهل وبارودا يصرخ وسيوفا تلعب ونساء تولول وذبائح وقصاع الطعام بالليل والنهار تقدم لعموم الوافدين اكراما منهم لبعضهم في وقت

كلهم فيه واجد وغير محتاج ، وتلك عادة هم سائرون فيها بطريق الوراثة الى اليوم ، وأكثر شبانهم ينزلون الى المدن القريبة منهم والى العاصمة ليشاركوا شباب المدن الخليع والتعس ولا يبارحون ملذاتهم المهلكة الا بعد ان ينفضوا آخر درهم من جيوبهم ان لم يستدينوا من المرابين الذين يتعقبون امثال هؤلاء الشبان الذين اغراهم الجهل وشيطان الشباب باتلاف ثروتهم وثروات اهلهم قبل ان تصل اليهم

ان ثروة يشترك في استهلاكها الشيوخ والشبان واحد بحسن ظنه في الاضرحة والاخر بنزق الشباب لهي ثروة زائلة منتقلة ، وهذا هو المناخ الذي وجدته رؤوس امـوال الربا وغيرها صالحا فكل من اراد الربح بلا حساب ولا حد محدود فما عليه الا ان يدخل هذا الوسط النافض فيغمره الربح من جميع جهاته

ان المنتجين التونسيين بصفة عمومية يسيرون في عملهم بلا عقـل فليس عندهم غير حب الفرد لشخصه بصورة مشطة والتحاسد وذلك آت لهم من اعتقاد كل ان جاره الذي نزل قريبا منه لو لم يوجد لانظم حرفاؤه اليـه فيزداد بذلك ربحه وهذا ظاهر في الصناعات ، على ان الفلاحين لا يعدمون وسائل للتشاجر والتدابر فان التنافس على الكسب وطـواريء اليوم والليلة يخلق لهم كثيرا من اسباب الخلاف ، واكثر من ذلك فان النفرة وانقطاع الرابطة ليست خاصة باهل الاعمال في اعمالهم بل هي عامة فى التونسيين ، وماكاد

× انني اذكر هذه الأدواء بهذا التفصيل وقصدي من ذلك بيـان عظم العمل والمسؤلية التي يلزم ان يتامل فيها المفكرون لايجاد العلاج المناسب ، وليس لمجرد الانتقاد والتقبيح كما قد يفهم بعض من يرون ستر العيوب على ان من هم في هذه الحالة ليسوا على اختيار فى تركها فجأة وانما يلزم وجود رجال يعملون لتهيئة الانقلاب العام . وتلك مشكلة اليوم في البلاد التونسية

الشعور العام بالرابطة القومية ينتشر ظله بين التونسيين الا بتلك الحركة العمومية التي لمعت قبل الحرب الكبرى وظهرت بعدها بصورة أوضح منها

اما قبل ذلك فان المدن تحتقر البوادي بدعوى سذاجتها وخشونة عيشها ، وهذه تحتقر المدن بدعوى ضعف اجسادها ، وفقدها صفات الرجولة الماثلة في البادية ، والبادية نفسها تختلف قدوا في النسبة الى قبائلها ، والمدن تختلف بمن كان متأصلا فيها ومن جاء هو أو اهله حديثا وباسماء العائلات وأيها ارفع من الآخر ، وخصوصاً العاصمة وابناء العاصمة فان اعتبار ذلك فوق كل اعتبار ، وفعلا فان هذه الافكار قد اوجدت تاثيرها المناسب في جهات المملكة بمدنها فهم يعتبرون العاصمة مصدر الاشياء ومنبع الرجاء ، وكم للناس من ولع بالحديث عن العائلات وتفوق بعضها عن بعض في الاصالة ومجد البيوت فان ذلك ياخذ شطر فراغهم ، ولوجود هذا التنافس الذي تشتغل به عموم الافكار فان كل الطبقات تجتهد في التشبه بمن فوقها فى المعيشة والازياء والاعراس والمآتم وسائر العادات التي يلزم لها صرف المال ولو أدى ذلك الى الاستدانة بعد بذل الموجود ، وللنساء دالة نافذة على الرجال فى هذا التيار خصوصا فى الاعراس ، ومن لم يقدر على السير فيها على هذا النحو فانه يبقى فى انتظار القدرة عليه ، وكم كان هذا العائق ناشراً للعزوبة المهلكة فى الفتيان والفتيات ، وهذا من أكبر أدوائنا المعضلة اليوم

على ان ذلك لا يمنع اتصال الاثنين ببعضهما بدافع الطبيعة ، ولكنه ويا للاسف باوجه فاجرة ، وهادمة لحياة اساسها الحب والطهر : هي الحياة الزوجية .

كم ! وكم يلزمنا من المجلدات والتفكير العميق اذا اردنا انتتحدث عن البيوت ، والحياة الزوجية ، وحظ الازواج اليوم من ذواجهم ، واسباب

التشويش العائلي ، وكثرة الطلاق ، وسهولة وقوعه فذلك ما يستدعي الجهود العظيمة ، والافكار العميقة في الحياة .

ان هذه الحالة بجملتها هي التي ولدت لنا جسما مريضا هو : المجتمع التونسي ، الذي استطاع الاستعمار الفرنسي أن يخترقه بسهولة فيفرض عليه من الفروض ما شاء ويصدر عليه من قوانينه ما أراد ، فازدادت الحالة اضطرابا فوق الاضطراب وقل عمل الانتاج الصناعي وافتقر كثير من اصحاب الحرف وأفلسوا فانظم جمهور منهم الى البطالة وانضاف اليهم سكان الاراضي المجدبة بالجنوب ، والعروش التي زحزحت عن أراضيها للاستعمار الفرنسي ، فكان ذلك ضرفا مناسبا لرؤوس الاموال الفرنسية الكبرى التي تستثمر المناجم في البلاد التونسية ومدت السكك الحديدية لتنظيم المواصلات وبعض المعامل كأفران الجير والسيمان مثلا فانها وجدت جنداً من البطالين مآت وآلافا وما زال ينمو مع الايام ، واقفا ينتظرها فاخذت قدر حاجتها منه وعرفت كيف تستخدمه الخدم الشاقة باجرة تناسب احتياجه اليها ، وانساب الباقون وهم كثير في الطرق وشوارع البلدان اما للتسول أو قطع الطريق .

ما اخطر وأتعس الحياة التي تقطعها اليوم ، ويظهر انها لا تزال تنمو مع الايام الى أفظع مما تقاسيه اليوم فلقد عض البؤس بانيابه الحادة المسمومة روح الامة وجسمها المنهوك ، فلا ترى الا منظرا اسوداً يملأ العين حزنا وغما : ووجوها مصفرة تعلوها كآبة خرساء ، وهياكل شاحبة اضناها الجوع وضعف مواد العيش الذي يقتاتونه ، وثيابا بالية ومرقعة بكل الالوان واكثرهم متسولون ، فلا تجلس في احد الامكنة العمومية الا وتراهم يمرون بك على التوالي ، فراشهم الارض صيفا وشتاء وغطاؤهم السماء ، فتراهم ملطخين ليلا في الشوارع او الدكاكين المرصوفة على ضفاف بعض الطرقات ، والسعيد من

حصل منهم على ذلك وكثيرا ما نراهم يتزاحمون على تلك الدكاكين لضيقها عنهم ، يفجع منظرهم الغريب ، ويذيب من كان مثلهم كئيباً ، وكم من مناظر تسترها المنازل والبيوت وهي لا تبعد عن هذه المشاهد الا باحتجابها عن نظر العموم ، فلقد رأيت ورأى كثير من الناس ان آباء كثيرين كادهم الفقر واعيتهم طرق العيش فبعثوا بابنائهم الصغار وهم في سن التعليم يسترزقون لمساعدتهم على لوازم المعيشة فاندمجوا في صف الحمالين وماسحي الاحذية (الشياتين) . ولقد شاهدت بنفسي حادثة لم تزل من ذاكرتي منذ اربع سنين ولا ازال اذكرها مع الايام فبينما كنت ماراً متجولا بسوق الغلة بالعاصمة اذ سمعت اصوات صبية مدفوعين ضمن بيت صغير مقفل فقلت لرفيقي من محترفي السوق ما شان هؤلاء الصبية ؟ - فقال انهم يدخلون في وسط السوق لعرض انفسهم على الراغبين في حمل امتعتهم بدل أن يقفوا خارج السوق في مكان معين للحمالين فيقبض اعوان الشرطة عليهم ويضعونهم في هذا البيت واحدا اثر الاخر والنصيب المتحصل منهم يذهب به الى دار الشرطة المركزية برحبة الفول لتنظيفها كنسا ومسحا لارضها بالماء ولا يطلقونهم الا آخر النهار وهذه هي العادة الجارية يوميا . وبينما نحن كذلك اذ خرج رجل فرنسي من موظفي مكتب الشرطة بالسوق وبيده عصاً دخل بها على اولئك الصبية يضربهم لاسكات الغوغاء الثائرة بينهم فسمعناهم يقولون هذه الكلمة : « لا ياعرفي انا خاطي » أي لا يا رئيسي انا لم افعل شيئا

***

لقد تحركت عاطفة الرحمة والاحسان عند بعض النفوس السخية فانتشت من ذلك الجمعية الخيرية بالعاصمة سنة ١٩٠٥ ثم تلتها بعض مدن المملكه ، غير انها بطيئة السير جدا ولا ينال نفعها واحدا من عشرة آلاف تقريبا ،

ولئن قدر لها بعد زمن ان تنجح في تخفيف وطأة البؤس بوجود رجال فيها مخلصين وعاملين اكثر من الحاضرين واوفر حرية منهم فانها لا تصل مهما تناهت في النمو والقوة ان تنيل حاجات المحتاجين وهم سواد الامة من العملة وما يتبعهم من العائلات ، وهي لئن اسست لمساعدة الفقراء فليس في استطاعتها تنمية رؤوس اموال الزراعة والصناعة وما يتصل بها من المشاريع فذلك ما يشمله نظام التعاون ولا قيام له الا به ، وهو افضل وجوه العمل وانجحها في تحسين الحالة ، وتوفير ما يحتاج الانسان من الماديات اللازمة ، وتلقينه الادبيات الفاضلة والملكات المنتجة فيصبح عضوا حيا ناميا بعد ان كان اشل وآفة على نفسه والمجتمع الذي يعيش فيه



يكون التعاون لسد حاجات الاستهلاك وهو ما يسمى بالصناديق الاحتياطية التي يؤسسها العمال لما يطرا عليهم أو على عائلاتهم من مرض أو احتياج ، ولقد تكون هذه الصناديق حصنا مانعا لهم من شر المرابين الذين يستوعبون ذمتهم في فوائض الدين ، ومن بيع ملابسهم الضرورية وامتعة بيوتهم كما نشاهده الى اليوم باسواق العاصمة ومدن المملكة تلك الاسواق النامة عن البؤس وتعاسة العيش ولقد تمثل ذلك أتم تمثيل في عين الرائي .

ويكون التعاون للانتاج الزراعي والصناعي وللتجارة أو ماليا لمساعدة هذه المشاريع وهو عمل البنوك التعاونية ويسمى جميع ذلك التعاون الاقتصادي لان المقصود به تنمية المال وهو معنى الاقتصاد ، وليس التعاون مجرد عمل مادي ضمن مؤسساته فان السلطان الاعظم الذي تسير اليه وبه هذه المؤسسات انما هو بث روح التآخي والتعاضد على العمل وحب الاشتراك في المنفعة وتربية استقلال الفكر - الذي اضاعه رأس المال الكبير - ، وتنمية شجاعة

النفس - التي أضاعها الاحتياج - لمقارعة الازمات وما ياتي من مظالم رأس المال الكبير بما له من القوة والتفوق ، ولقد اقاموا لذلك في اروبا منذ التاريخ الى اليوم النوادي والمجتمعات للنصح والارشاد والخطابة والقاء المسامرات فى مختلف المواضيع الاجتماعية والاقتصادية وكل ما يهم الانسان منفرداً أو مجتمعا ، والفوا في ذلك كتبا عديدة بتطويل وايجاز ، واسسوا دور العلم لمطاردة الجهالة والغباوة عن الانسان ، وتسليحه بما يلزم من العلم لمكافحة هذه الحياة بالتعاون ، وكل ذلك كان من أموال التعاون ، وباخلاص القائمين بالاعمال ونبذ الانانية والتحاسد والاغراض الشخصية ، وبالطبع ما نجحوا في في كل هذا الا بالتدريج مع الايام

— لقد كانت بلادنا خالية من روح التعاون بصفة عموميه ولم يوجد من مؤسساته الا « بنك التعاضد المالي » الذي أسس سنة ١٩٢٢ وقد قيل في وقت تاسيسه انه جعل بقصد مساعدة صغار الزراع والصناع وهو اليوم مقتصر في عمله على توزيع المال وسحبه مع محترفيه حسب نظام متبع وكثيراً ما شكى الناس الغبن والتمييز في ذلك ، ثم ليس لمديريه ومؤسسيه مع عموم اعضائه المشتركين ادنى تماسس بالقلب والروح ، ولا تفكير في تحسين الزراعة والصناعة التونسية ومكافحة الحوائل المانعة لها من النمو ، وقد يعتذر بعض الناس بفقد المال الذي يلزم اعداده لهذه الاعمال العظيمة ، غير ان الدعاية التي استعملت في التاسيس عند ما لم يكن ثمت مال بالمرة قد كان من الممكن استعمالها في تنمية المال بقدر الحاجات والسير بالمشروع الى اقصى غايات التعاون لو لم يكن لاعضاء « التعاضد » من اعمالهم الخاصة ما يمنعهم عن تشغيل كامل وقتهم فى ذلك اذ يلزم له ولنجاحه هبة الاعمار خصوصا في بلاد كبلادنا حاجاتها اوسع من مساحة أرضها ، ولقد وجدت قبل هذا

المشروع شركة المصرف التجاري وكذلك سائر الشركات التجارية من زمن ليس بالبعيد فان جميعها اقتصرت على جمع افراد من المساهمين وبعض حرفاء لترويج تجارتها وما لبثت هذه المؤسسات الضئيلة أن تاخرت الى الوراء ، واعضاؤها أحياء لم يفقدوا ولم يصادموا بادنى منع او تحجير عليهم فى عملهم ، ويظهر ان الروح الوطنية لم تكن متمكنة فى اصحاب هذه المشاريع والا ما كانت لتقتصر على بعض مساهمين مع ضيق بالطبع فى دائرة اعمالها وانتشار دعوتها بل كانت تعم ارجاء المملكة من اقصاها الى أقصاها ولا تقتصر في دعوتها على افراد تختارهم من كل بلد لانهم من الاعيان بل تعم كافة الجماهير بلا ميز فتبين لهم حقيقة المشروع ومنافعه لا وقت التاسيس وجمع المال فقط بل ترسل المبعوثين على التوالي بقدر الامكان ، وبنمو المشروع تقيم النوادي الجامعة لبث روح التعاون في كل جهة وتعهد اعضائها بكل ما يلزمهم من المعلومات والارشادات النافعة حتى تجد منهم قوة في معاضدتها فيتسع عند ذلك المشروع ويعظم ويثمر بقدر ما يبذل فيه من الجهود المشتركة التي تضمن سلامته المحروسة بعين المجموع ، وما هلك مشاريع بلادنا الا انفصال اعضائها المشتركين عنها بمجرد ما تنتهي اعمال التاسيس والانتخاب ، ورضاء اللجان المنتخبة بهذا الانفصال ، واستقلالهم بالراى وتنافسهم بعد ذلك في الانتفاع من تلك المشاريع بما ادى الى سقوطها وسوء السمعة وانتفاء الثقة العامة فيما يحاول من المشاريع بعدها .

على ان مشاريع التعليم الحرة وسائر نوادي الادب يكاد صداها ان لا يتجاوز جدرانها وأوضح معنى لها اليوم هو السعي للمحافظة على الصلة التي وجدت بين متخرجي المدرسة واستمرارها ، يجتمعون للحديث والسمر في موضوعات أدبية ، واجتماعية ، وعقلية ، أغلبها لا يتجاوز من حضر الاجتماع

لفقد النشرات الدورية الخاصة بذلك ، وقد كان لجمعية قدماء الصادقية نشرة دورية ، لكنها احتجبت الى اليوم ، وبالجملة فهذه النوادي المنتشرة في جهات المملكة تبذل في داخلها مجهودا حسنا في الادب لا ينعكس ظله على عامة الشعب ولم تتعارف هي في نفسها لتبذل جهداً مشتركا برأي متحد وكذلك الامر في مشاريع التعليم ، فحسن الدعاية العمومية لبث روح قوية وصحيحة في عموم طبقات الشعب نحو هذه المشاريع الحرة ذلك ما لم يقع دوسه بصفة واضحة الى اليوم ، وذلك ما جعل هذه المشاريع تتاخر كثيرا في خطواتها الى النجاح . ولا يوجد عندنا اليوم الا التالم من الحالة بجملة ما فيها ، والحيرة في أوجه التخلص منها الى المستوى اللائق



يعتقد جمهور الشعب أن آلامه والسقوط الملم به متأت له بالاصالة من السلطة التي تحكمه ، فالزراع يشكو الغبن في صابته وضعف حاله ويعلق ذلك بالحكومة ، والصانع يشكو كساد صنعته وقتل الواردات لها وافلاسه بذلك ثم يقول كل ذلك من ظلم الحكومة ، والتاجر تحل ديونه وتمتنع البنوك الاجنبية من معاملته فتنصرم حاله وربما افلس اذا لم يجد ما يرهن او يبيع فيضيف ذلك الى ذنوب الحكومة ، والعمال المغبونون في اجورهم والبطالون كلهم يعتقدون ان انهزامهم فى الحياة من الحكومه التي لم تعطهم المواد اللازمة لهم ولم تمنع عنهم الطوادي التي تعترضهم في سيرهم ولم تعلمهم ما يحتاجون من العلوم ولم تجر العدل في حكمها عليهم . ولقد يكون لهم نصيب وافر من الحق في دعواهم ذلك على الحكومة فان الحكومات في قدرتها ان تبذل مجهودا معتبراً فى ذلك السبيل متى كانت صادقة في ضميرها ومخلصة لشعبها ولكن أي هذه الحكومات التي جاءت من نفسها مختارة الى هذا الصدق

والاخلاص دون أن تكون مدفوعة بتيار قوي من الشعب الذى تكاتف ضمن جمعيات حية تختلف طرقها في العمل وتتحد غايتها لارغام الحكومة على اعطاء نصيبها من الجهد لتحسين مؤسسات الشعب وحمايتها والرضوخ نهائيا الى سلطانه الشرعي الذي ما احتيج للحكومات الا لتخدمه

ان هذا الفكر السائد فى جمهور التونسيين نحو الحكومة هو الذي هيأ البلاد الى النهضة السياسية قبل كل نهضة اخرى وكذلك كانت نهضات الامم في التاريخ تقريبا حتى تمكنت من انتشار الحرية بينها وهناك فهمت ان المجهودات التي تبذلها بنفسها لنفسها لا يعد مجهود الحكومات أمامها الا جزءاً ضئيلا جدا فانبرت تعمل بنشاط لاشادة معالم العمران وبقي لحكوماتها حق حراستها والذب عنها بقوتها عند اللزوم ، ولقد نمت العاطفة السياسية في التونسيين وكثرت الشكوى من نظام الحكومة واعمالها بما أدى الى تشكيل حزب سياسي هو الحزب الحر اليوم الذي تأسس في ١٧ رمضان ١٣٣٩ الموافق سنة ١٩٢٠ والذي اعلن بالشكوى من سوء النظام الحاضر وطلب من الحكومة الفرنسية تغيير شكل حكومة البلاد التونسية طبق برنامج سطر فيه مطالبه التسعة المعروفة وعرضها على رجال فرنسا بواسطة وفود تكررت مرات لافهامهم حقيقة الحالة الموجودة بالبلاد التونسية واحقية المطالب التي قدمت لهم حتى يعطوها عن رضى منهم ، وليس قصدنا ان نتتبع هذه الحركة السياسية بالتفصيل وانما ذكرناها بهذا الاجمال من جهة انها كانت اول دور انتقل اليه الشعب بعد سكونه ونومه الطويل ففي هذه الاثناء بدأ الشعب يشعر ان الحركة السياسية وحدها لا تكفي لافهام الحكومة ما يطلب الشعب منها بل يلزم ان ينضاف اليها نهضة العلم والاقتصاد وتأسيس المؤسسات لذلك بصدق وعزيمة ، وتلك هي القوة التي تفهمها الدول

الوصية اليوم على الشعوب المستضعفة ، ولقد اخذ هذا الاستعداد ينمو كل يوم فى البلاد وصار حديثا منتشرا بين الجماعات الى سنة ١٩٢٤ فجاء في غرتها السيد محمد علي ذلك الذي يعرفه اليوم مواطنوه قادما من برلين بعد التحصيل من كليتها على الشهادة في علوم الاقتصاد السياسي اثر الامتحان الذي كان في ٢٢ فيفري سنة ١٩٢٤ كما حدثنا بذلك هو نفسه ، فلنتامل في النتائج والاعمال التي كانت عند وجوده

جمعية التعاون الاقتصادي التونسي

من يوم ما جاء محمد علي ونحن نتفاوض ونبحث عن عمل اقتصادي عام الفائدة يكون مطابقا لاستعداد الامة في ماليتها وافكارها فلقد جاءنا لاول مرة بافكار لا تتسع لها البلاد فارتأى تاسيس شركات تعاونية زراعية وصناعية وتجارية ومالية فى اهم نقط المملكة يكون على رأسها الشبان الوطنيون الذين يتفقون في روح الاخلاص، والغاية ليمكن تحضير هذه الجمعيات المستقلة بقوة نموها التدريجي الى الانضمام لبعضها فتشكل ادارة عامة تنظر فى التوازن العام بينها وتسييرها لغاية متفقة ، فلاحظنا له انه ربما كان يقرر بذلك حلماً من احلام الفلاسفة بالنسبة للوسط الذي نحن فيه وربما كان غيابه خمسة عشر سنة عنه حجبه عن تقدير طوقه اليوم فظن ان الامة انتقلت فيها الى تاسيس ما يقرر فى مرة واحدة ، فان المفكرين قليل ومع قلتهم فالاخلاص اقل منهم فلم ياخذ ذلك منه الا بعد ان احتك بطبقات مختلفة وزار جمعيات العاصمة فاخذت افكاره تعتدل في تقدير حقيقة الحالة ، وانتهى الامر الى تاسيس جمعية التعاون الاقتصادي التونسي لتتناول في بدئها التجارة

فقط في المعاش وحاجات المنازل اذ يلزم للصناعة والزراعة رأس مال اكثر مما يلزم للتجارة في البدء ، والمعاش يتناول عموم الطبقات خصوصا العمال الذين كنا ننظر اليهم في المشروع بصفة خاصة ولاجلهم تقريبا كان المشروع اذ كانوا هم الذين لضعفهم يتالمون من غلاء المعاش واحتكار اسواق التجارة له وبهذه الملاحظات تم الاتفاق على المشروع .

أرى من المناسب ان لا اهمل ذكر اسماء الذين ساعدوا بصفة خاصة على الاعمال التاسيسية لهذه الجمعية وهم السادة : الحبيب جاء وحده والعربي مامي والطاهر بوتورية والطاهر صفر وكاتب هذه الاسطر فقد قضوا اياما وليالي في تدوين القانون الاساسي واختيار الفصول المناسبة من عدة قوانين أساسية لشركات التعاون وتنقيح بعضها او حذفه بما يناسب الوسط الذي ستتكون الشركة فيه وتنمو وبعد الفراغ من ذلك وقعت دعوة كثير من المفكرين الى سماع مسودة هذا القانون والملاحظة عليها في فرع دار الخيرية الاسلامية التونسية بنهج الحجامين ثم وقعت دعوة الاجتماع العام للتاسيس والانتخاب والمصادقة على القانون الاساسي بقاعة الخلدونية وذلك ليوم ٢٩ جوان سنة ١٩٢٤ فغصت في ذلك اليوم قاعة الخلدونية الكبرى حتى الشارع المؤدي لها مما يثبت الاستعداد الذي اشرنا اليه فانتخب الحاضرون لحفظ نظام الجلسة رئيسا هو الشيخ السيد الطيب بن مصطفى بعضوية السيدين محمود بورقيبه وعثمان الكعاك ، وقد نشر محضر هذه الجلسة في رسالة خاصة ، ولما فيها من الخطب الشارحة لهذا المشروع التعاوني والغاية العمومية منه ننشر تلك الخطب كدعاية جديدة اذ لم يقع تنجيز ذلك المشروع الى اليوم بكل الاسف لاسباب ستاتي ونص الخطاب الاول الذي القاه كاتب هذه الاسطر :

اخواننا الفضلاء :

اني من صميم قلبي احيي هذا الجمع العظيم لانني اقرأ فيه سور الآمال الباسمة ثم لي كلمة اقولها عن جمعيات التعاون الاقتصادي :

تعتمد جمعيات التعاون الاقتصادي في بدء تكوينها على المادة فتجمع رأس مال حسي . غير انه لا يكون من غرضها أن تستحصل بواسطته على ارباح عظيمة توزعها آخر السنة على جيوب مشتركيها وتسعى بكل وسيلة لتحقيق هذا الغرض فتنتظر بما عندها من السلع اوقات اشتداد الحاجة اليها . وتشتري سلع البائعين الصغار لتحوجهم الى شرائها بارفع ثمن منها او من غيرها كما تفعل ذلك الشركات التجارية حيث لا هم لها الا التحصيل على الارباح المالية العائدة الى اشخاص واضعي رأس المال وان اضر ذلك بعامة المستهلكين الذين هم مصدر ارباحها . اما جمعيات التعاون الاقتصادي فغايتها الوصول الى امرين عظيمين : أمر مادي وأمر معنوي وهما مرتبطان ببعضهما احكم ارتباط فالمادي هو تخفيف وطأة المعيشة وكسر حدة الاحتكار الشخصي بتوفير المواد اللازمة لحياة مشتركيها وبيعها لهم بأثمان نازلة عن السوق مع ربح مناسب لحياة الجمعية ونموها تستخلصه من اختصار وسائط البيع والشراء او حذفها عند الامكان . وهذا الربح بعد تصفية الناض منه يستعمل في تكبير مشروع الجمعية كانتقالها من شراء مادة حاضرة الى انتاجها بنفسها مثل السميد تنتقل من شرائه حاضرا الى تاسيس معمل لتحويل القمح اه . وبالطبع تحتاج فى تاسيسات كهذه الى مديرين وايدي عاملة . وبهذه الصورة يمكن انقاذ كثير من أفراد الامة الذين افسدتهم البطالة او ضاعت مواهبهم باستعمالها فيما لا يطابق استعدادهم . والامر المعنوي وهو الاعظم اهمية في التعاون الاقتصادي ويعد من خصائصها : هو العمل الدائم لتربية الروح

للاقتصادي بنشر المبادي الاقتصادية وافهام الناس ضروب المعاملات العصرية واصولها . ونتائجها المتنوعة ويكون هذا بمحاضرات ومسامرات ونشرات خاصة ودورية ليكون عامة المشتركين على شيء مفيد من المعرفة والبصيرة فى سير الشؤون العامة وخصوصاً فيما يؤسسون ويؤيدون من المشاريع ويمكنهم عند ذلك ان ياتوا بجهود عظيمة تكون الوسيلة الفعالة فى حياة المشاريع ونجاحها الكبير وهذه الغاية اعظم غاياتنا فى المشروع وسترونها منصوصة فى القانون الاساسي عند ما يسرد عليكم .

ان المشاريع كافة اذا اقتصرت على جهد المامورين فيها دون ان تعتمد على جهود الجمهور الذي يشترك فيها ويعمل لفائدتها عن بصيرة وكفاءة لا يكون نصيبها الا التقهقر والانحطاط الى ان تصل الى الموت النهائي . وهذا ما وقع فى شركاتنا التجارية فانها باستغناء المنتخبين فيها عن جهور المشتركين واقتصارهم فى تسييرها على افكارهم واميالهم الخاصة تدحرجت الى دركات الانحطاط وفيها من افلست واقفلت ابوابها دون ان تجد من يحميها من جهور المشتركين . وهذا ايضا يرجع الى نقص عمومنا فى تقدير قيمة المشاريع وفقده المعرفة الكافية لحماية مشاريعه وصلاح ما فسد من شؤونها وتتبع اعمالها وتصرفات المامورين فيها . وهذه هي العلة الاصلية فى تاخر مشاريعنا وخروج المديرين لها عن الحدود الواجبة ولا من حسيب ولا من رقيب فتجدهم يؤخرون الجلسات العامة عن مواعيدها القانونية واذا حضر جهور المشتركين فى الجلسة العامة هيؤوا له من الاوراق مالا يفهمه حق الفهم فلا يسهل عليه ان يناقش وكثيرا ما يتهيب اشخاص المديرين للشركة او الجمعية فيظل ساكتا حتى ينقضي الاجتماع . وهذا ما افقدنا حرية القول وحرمنا من لذة المناقشة فى امور حيوية لنا وتركنا بعيدين عن تدبير شؤوننا وادارتها

بانفسنا وعودنا بالاهمال والاتكال على الغير وهذه الحالة هي التي تكونت فيها شركاتنا التجارية ومرت فى طريقها غير مكترثة بها او حاسبة لها حسابا . اما جمعيات التعاون الاقتصادي فاول غرض اساسي لها هو مقاومة هـذه الحالة الساقطة . والسعي فى تاهيل الجمهور بكل الوسائل المنتجة حتى يسير مشاريعه بقوة منه وتلك الوسيلة العظمى للنجاح . وايضا من اغراضها الاهتمام بالنشأة التي تتكون حتى نجد منها رجالا يمكنهم القيام بهذه الاعمال وتسييرها بعـلم واسع واستعداد عظيم . ثم ان من مبدا جمعيات التعـاون الاقتصادي ان تهتم بمساعدة التعليم العام وسائر المشاريع الخيرية . وستكون جمعيتنا هذه طبق قانونها الاساسي دائبة على السعي لتحقيق هذه الغاية الكبرى بفضل الجهود المتظافرة من الجميع والله الكفيل بتحقيق آمالنا .

ثم تلاه السيد الطاهر صفر ونص خطابه :

ايها السادة الكرام

اليوم وقد حفل بكم هذا المجلس وآنست فى وجوهكم بشرا لما تصدى الى القيام به بعض رجال تونس من انشاء جمعية اقتصادية تعاونية تنزع بنا الى مجاراة الامم الراقية فى الاقتصاد بالتعاضد ورأيت منكم تلبية لدعوة من بسط هذه الفكرة على بساط التـأمل ومخضها كل المحض فاتت بالثمر الذي نحن جانوه اليوم وحسن التفات الى نهضة مباركة كلنا نسعى وراءها وكفى لانها وحدها كـفيلة بانتشال البلاد من الفقر المهدد له المنشب فيه اظفاره الحادة الباعث فيه سمه الناقع ـ فانا لا يسعني الا توطيد ثقتكم بما لدي من قوة فى مشروع جليـل نرجو من وجوده بين أظهرنا تسلق بلادنا سلم الرقي والتحصيل على التقدم المادي الذي هو عنوان كل تقدم وان كان مستمداً من

الفكر . فان الامم لم تنجح فى السالف ولم يعل كعبها فى العلوم والاداب الا بعد ان فكرت فى تحسين حالها من الوجهة المادية والتحصيل على القدر الاوفر من الثروة . فكونت المشاريع الاقتصادية وأدركت بها الشأو الذي نسعى الى ادراكه اليوم . نحن اليوم نسبح فى خضم عظيم سفنه وبواخره هي المشاريع الاقتصادية فمن حازها اجتاز ذلك الخضم ومن فاتته غرق وقذفت به الامواج نحو الشاطئ مائتا او محتضراً ، لا حياة حقيقية اليوم الا باستبحار الحضارة والعمران ولا حضارة ولا عمران الا باتساع نطاق الثروة فى البلاد وتغلب الماديات على الخيالات والفكر العلمي المحض على العاطفة الفنية ولا يتسنى ذلك الا بتكاتف الافراد على انشاء المشاريع الاقتصادية والحزم فى القيام بها وضبط شؤونها حتى لا تسقط سقوط اخواتها فى السالف ضحية سوء التدبير وضعف العزيمة والميل الى الخمول . لا انكر ان فى امتنا التونسية خلة حميدة وهي النزوع الى كل ما فيه الخير بحماس وشدة لكن تلك الخلة العظيمة يقابلها عيب عظيم الا وهو عدم الثبات وحلول اليأس والقنوط مكان الأمل والرجاء لأول عقبة تبدو أو عرضة تتجلى كأن الانسان لم يخلق فى هذا العالم للمكافحة والجهاد حتى ان احد الفلاسفة عرف الحياة بالحرب وقال ان احسن الحياة ما كان حربا وان اسعد الناس من عاش مكافحا مناضلا مطالبا بحقوقه مدافعاً عن شرفه مصادما لما يعارضه في طريقه من العثرات ـ واشقى الناس من توسد وساد الراحة وجعل خدمة بني جلدته ظهريا وظن ان التقي فى اجتناب الناس والتباعد عن العمل والفرار من الجهاد فى ميدان الحياة ـ فبادروا اخواني بالعمل في سبيل ترقية بلادكم واعلاء كلمتها بين الامم وتقوية مركزها فى الاقتصاد وغيره وضاعفوا جهدكم للنهوض بهذا المشروع الذي ستنجلي لكم عن قريب درر قانونه الضابط لشؤونه . وذلك القانون هو السلاح الحاد

الماضي الذي تقد به رقاب المنتهكين لحرمة المشروع أو القاصدين اذايته فهيوا برجال يقبضون عليه بأيد من حديد ويتقلدونه بهمة وثبات ويجردونه محامين به عن المشروع مهرقين لدماء كل من يريد أنْ يمسه بضر غير معتبرين في ذلك مصالحهم الشخصية ومنازعهم النفسانية بل رامين الى الصالح العام في جميع اعمالهم ومهتمين بالقيام بواجبهم قياماً يعود على بلادهم بالنفع العميم قلت هذا مشجعا لنفسي ولكم على مساعفة جمعية التعاون . وها السيد محمد علي ابو هذا المشروع ومبتكر هاته الفكرة المتفنن في علم الاقتصاد ذلك الرجل الذي قضى زمنا يجوب البلاد ويتغرب للتحصيل عما يكشف عن الفكر ظلم الجهل المتكاثفة وينزع بالنفس الى مساواة اعاظم الرجال - ها هو متصد الى بيان الغاية السامية التي ترمي وراءها هاته الجمعية المباركة من توسيع نطاق البلاد واصلاح حال العباد .

ثم تلاه المؤسس الاول لهذا المشروع ونص خطابه :

سادتي واخواني الاعزاء اشكركم من صميم فؤادي على تلبيتكم دعوتنا نعم قد اجبتم نداءنا بابتهاج وفي الحقيقة كلنا حضرنا لنمد بعضنا بعضاً بآرائنا ونفكر في هذا المشروع عسى الله ان يجعل لنا فيه باب النجاح . اخواني الكرام اني ارى نفسي اليوم سعيداً حيث وصلت الى درجة يمكن لي بها ان اخدم امتي وبلادي اذ كنت منذ خمسة عشر سنة قبل مبارحة وطني العزيز اشتغل في الاتوموبيلات وكان سبب خروجي عن بلادي اندفاعا لاحساساتي الاسلامية فسافرت الى بلاد الشرق من تركيا الى مصر ثم طرابلس الغرب ورأيت من احوال الامم الشرقية وحركاتهم وتطوراتهم ما جعلني افكر في بلادي ومستقبلها وشجعني على العمل ما رأيت في مشاهير رجالهم الذين اجتمعت بهم من العزم والحزم والنشاط كل يسعى وراء سعادة بلاده ورقيها فكنت كلما



محمد علي الحامي

واضع مشروع التعاون الاقتصادي وزعيم الحركة النقابية التونسية

سبرت احوالهم اخذتني حسرة على بلادي فجعل ذلك الشعور ينمو شيئاً فشيئا حتى اخذ مني ماخذا عظيما فتاقت نفسي الى العلم والكرع من حياضه اذ الشعور وحده لا يكفي اذا لم يكن مدعما بالعلم الـذي هو المرقاة الى سماء السعادة وهو الذي ينير البصائر ويرشد الى طريق النجاح فعزمت على مجاواة اولئك الرجال العاملين الذين لم يصلوا الى الدوجة التي ادهشتني الا بالاقبال على دوس العلوم والتفنن فيها فاشتغلت في تركيا بالدرس والمطالعة ولم اترك لحظة من اقامتي فيها تذهب سدى الى نهاية الحرب الكبرى . فسافرت اذ ذاك الى المانيا لاباشر الدواسة بها وآخذ عن اساتذتها واكلل تاج معلوماتي الشرقية بما يعوزني من انوار المعارف الغربية فدخلت الى جامعة برلين ولكني احترت ولم ادر ما هي العلوم التي يتسنى لى بها ان اخدم امتي وبلادي فاستدللت من الجرائد التونسية التي كانت ترسل الي ان بلادنا متقهقرة من حيث حالتها المالية والاقتصادية مفتقرة الى جميع المشاريع الحيوية ورأيت ان الامم الاخرى لم تترق وتبلغ الذووة القاصية التي تبهر العقول الا من اهتمامهم بفـلاحتهم وصنائعهم وتجارتهم وهذه الفروع هي الاساس لعلم الاقتصاد فقبضت على هذا العلم بالنواجذ وجعلته محل اهتمامي وقبلة مرامي . فكنت كلما تعمقت فيـه وكشفت عن اسراره تيقنت انه علم جليل وغاية عظمى ترتكز عليها جميع القوانين المتعلقة باستحصال الثروة وانقسامها وتداولها واستهلاكها

ولكن هذه تنحصر في ثلاثة اقسام : الفلاحة والصناعة والتجاوة . فالمنبعان الاصليان للثروة هما الزراعة والمعـادن . اذ كل ما نراه حولنا تغير بواسطة الصنائع التي تكيفه وتبدله الى الصور والاشكال البديعة التى نراها . اذا دقق الانسان النظر في هؤلاء المحترفين سواء بالفلاحة او الصناعة وكل منهم مهتم بما يعود عليه بالمنفعة غير ناظر غيره فالفلاحون يسعون في خدمتهم ولا يهمهم

غيرهم من اهل المعادن والصنائع واهل المعادن يستخرجون كل الاشياء المفيدة من تحت الارض غير ناظرين اهل الفلاحة ، واهل الصنائع يحولون المواد التي يتلقونها من الفلاحين والمعدنيين من صورة الى صورة اخرى بدون التفات الى غيرهم كان لم تكن بين الجميع رابطة وكأنهم لا يحتاجون الى بعضهم . والحال ان الفلاح مثلا ينتج المواد الغذائية وغيرها من المواد التي يحتاج اليها الصانع والمعدني وهؤلاء ينتجون له جميع المرافق التي يحتاج اليها من آلات زراعة واثاث منزل ولباس الى غير ذلك من الاشياء التي تلزم له ومن هنا يظهر لكل متأمل ان بين هذه الفروع الحيوية رابطة متينة ومبادلة مستمرة ولكن من عسى يقوم بهذا الواجب العظيم الذي لا بد لهم منه هل هم بانفسهم يشتغلون بمنتجاتهم من جهة وينقلونها الى الاسواق ليبيعوها ويبحثون عن المواد التي يحتاجونها كلا ! لا يمكنهم ذلك لان اوقاتهم لا تسمح لهم به ومن هنا تظهر فائدة التجارة للمجتمع ولا سيما لاصحاب الفروع المذكورة لانها توفر عليهم اوقاتهم الثمينة لقيامها بهذا الواجب العظيم فخذ مثلا منتجات الفلاحين وترويجها بين اهل الصنائع والمعادن وغيرهم اذا كانت مطلوبة في داخل البلاد والا تبحث عن الاسواق الخارجية لتصدرها من جهة وتستجلب لهم ما يحتاجونه من الخارج من جهة اخرى فلا شك ان التجارة بعملها هذا تريحهم فيصرفون اوقاتهم وافكارهم في تحسين وتكثير ما ينتجونه وهم مطمئنون ولا ريب في انه يكثر فيهم الرخاء وتتحسن احوالهم ولهذا ترى اليوم الامم الراقية تهتم بالعلوم الاقتصادية وذلك بفتحها المدارس والنشريات المفيدة لتنوير افكارهم بالعلوم الحقيقية وعندئذ يتكون فيهم رجال دهاة في التنازع الاقتصادي ، وناموس التنازع والتنافس طبيعي في البشر وهو روح التقدم .

واذا لم تعتن امة بذلك فلا بد ان تضمحل طال الزمان اوقصر وكل من

يفكر منا يرى جيداً أن كل ذلك مفقود عندنا وذلك من عدم وجود مفكرين بيننا يرشدون اهل صنائعنا وفلاحتنا وتجارتنا لانهم عاجزون عن النهوض بانفسهم . ففي اثناء دراستي كنت اتصور هذه الصعوبات التي لا يمكن اقتحامها الا بالتفنن في علم الاقتصاد فاستمررت على الدراسة وكنت اتساءل عن الطريقة التي يمكن ان تكون بها حركة اقتصادية فى بلادنا اذ الحركة الاقتصادية يمكن تكوينها بطرق مختلفة وذلك استناداً على احوال البلاد وشكل حكومتها ودرجة معارفها فالطريقة التي اراها انا موافقة لبلادنا ويمكن الابتداء بها تدريجياً هي شركات التعاون التي نجحت بها اكثر الامم ولا سيما التي كانت حالتها تماثلنا اليوم حطة وفقراً وهذه الشركات اساسها التعاون والتضامن بين اهل كل حرفة من فلاحة وتجارة ويتخذون الوسائل التي تؤدي الى سعادتهم وهي تقسم الى شركات

١ — استهلاكية

٢ — استقراضية

٣ — استنتاجية

وقد رأيت ان اول ما يجب أن نبتدئ به اليوم هو شركات التعاون الاستهلاكية وعاضدني على هذه الفكرة نخبة من الشبان التونسيين الذين عرضتها عليهم فبقينا مدة طويلة ندرس جميعاً حالة بلادنا ونمخض مخضاً في هذه الفكرة حتى نضجت فقمنا اذ ذاك نسن القانون الاساسي مستعينين بنخبة من قوانين الشركات التعاونية الاستهلاكية اعتمدنا فيها قوانين عدة امم حتى تم قانوننا بحمد الله وها نحن دعوناكم اليوم لنعرض على مسامعكم الشريفة ونستعين بارائكم الثاقبة اذ نحن كلنا متممون لبعضنا والله يهدي الى طريق النجاح والفلاح

***

ثم في الجلسة التالية لهذه الجلسة يوم ٦ جويلية من عين السنة الذي أخرت له المفاوضة في القانون الاساسي تمت المصادقة عليه وانتخاب لجنة وقتية لقبول الاسهم وضبطها الى ان يتحصل ما يكفي لابتداء العمل فاخذ الحاضرون في امضاء اوراق الاسهم وكان ذلك الاجتماع فى مرسح بن كاملة صاحب المحل الذي تطوع بفتحه للاجتماع ومن ثم طبع القانون الاساسي ووزع على المساهمين وغيرهم واخذت اللجنة المنتخبة برآسة محمد علي تعقد الاجتماعات المتوالية فى كامل جهات العاصمة لبث دعوتها ونشر اوراق الالتزام بالاسهم بين العملة والمحترفين الصغار ، ومن ذلك انها عقدت اجتماعا لعملة رصيف العاصمة لافهامهم معنى المشروع وحثهم على الاشتراك فقبلوه باستحسان عظيم واخذوا يكتبون اشتراكاتهم بسرور وابتهاج ظاهر في ملامحهم اذ ما اعتادوا أن اناسا من غير طبقتهم يشعرون بآلامهم ويخطبون بها عليهم كانهم عاشوا فيها ثم يدعونهم لما يزيل ذلك عنهم ، ولقد خطا المشروع في الدعاية له خطوة كبيرة وكاد ان يصل دور انجاز العمل لولا ما اعترض ذلك من حدوث اعتصاب برصيف العاصمة كان مبدأ لتاريخ جديد لعمال المملكة التونسية تأسست فيه عدة نقابات في بعض مدنها ذات الاوصفة البحرية وقامت على ذلك التاسيس جمعية عامة هي : جامعة عموم العملة التونسية .

تهيؤ العمال للنقابات

كان العمال التونسيون يشتغلون في الصناعات القديمة عند معلمين يملكون رأس مالها وياتي لهم الآباء بابنائهم الصغار لتخريجهم في الصناعة عمالا فيكونون

معلمين وقيمين عليهم ، لهم حق تربيتهم وزجرهم حتى بالضرب الى أن يتم التخرج ، وبدون شك فان هؤلاء الاطفال الذين سيصيرون عمالا عندهم كانوا ينظرون اليهم نظر المحجور القاصر الى حاجره القوي الكافل له أو قل نظر العبيد الى اسيادهم ، اذ ان طرق التربية التي يستعملها المعلمون لهم لا تكون في الغالب الا شتما قبيحا وذما قد يعاقب عليه القانون وتهجما عليهم بالضرب والتفل في وجوههم لمجرد مخالفات قد تكون جزئية يرتكبها اولئك الاطفال اما عن طيش صغر أو غفلة ، ومن يمر بدكاكين هؤلاء المعلمين المكشوفة على الطريق فانه لا يصعب ان تصادف منظراً او مناظر من ذلك ، ولا يصعب أن نتصور مقدار الرعب والجبن الذي يغرسه المعلمون في قلوب اولئك العمال وقت ان كانوا اطفالا عندهم ايام التخرج في الصناعة ثم هو ينمو بنمو احتياج اولئك العمال الفقراء الى معلميهم الذين عرفوا كيف يستثمرون ذلك لانفسهم ولم يعد يؤثر في هذه الحالة شيء الا كما يؤثر مرور الايام فى الصخرة الملساء وعاش العمال معيشة ضنكا هم ونساؤهم وأبناؤهم الذين يرثون منهم هذا الذل المنتقل في الاجيال ، ولا قانون فى الدنيا يحميهم من ذلك أو يعترف لهم بحق الحياة بنسبة ما ينتجون سوى قانون « الفلقة » الذي شاع استعماله عند المعلمين خصوصا معلمي الشاشية الذين كانوا اشبه شيء بالملوك على عمالهم اذ كانت صناعتهم تفوق غيرها فى رأس مالها وأرباحها ، والزائر لدكاكينهم في اسواقهم يرى ما يشبه الملوكية في تصدرهم بقعر المكان فوق منصة عالية مضروبا بينهم وبين عمالهم (القلفات) بسور مكرش ومخرب ومزوق بانواع الزينة

غير انه مهما كان هذا الطغيان الذي نالت الايام شيئا من عظمته فانه لم يصل الى حشر العمال في مصانع كبيرة بالمآت والالوف بل كانت تلك الدكاكين الضيقة بنسبة رأس مالها لا تسع في الغالب أكثر من عشرة عمال

للدكان الواحد بل الغالب أنها لا تصل لهذا العدد ، وسبب ذلك تشتت رأس المال عند الافراد واستقلال كل منهم بعمل لنفسه ، وهذا ما جعل مشاريع الاستعمار في بلادنا تمتاز وتتفوق في الانتاج والارباح على صناعاتنا القديمة فانها ليست مشاريع شخصية بل هي شركات كبرى قد تكون اعمالها في بلادنا شعبة من كامل اعمالها في جهات اخرى ، فكانت بطبيعة سيرها محتاجة لتكثير الايدي العاملة فى عملها فحشرت فيه المآت والآلاف وعشرات الآلاف كمنجم المتلوي وما يليه فكانت هذه الاعمال المشتركة مظهرا واضحا في كثرة الانتاج الحاصل ووفرة الارباح الناجة منه وثقل ما يعانيه العمال فى ذلك وتفاهة ما ينالونه أجراً.

ان الامر لم يقف عند هذا الحد فان الآلات الصناعية الكبرى التي صارت تستعمل في المعامل العصرية ومفرقعات الديناميت فى المناجم ومقاطع الحجر قد كونت اعظم خطر على حياة الانسان وسلامته ثم عائلته من بعده لم يكن من قبل فكم افقدت آلات هذه المعامل من نفوس بريئة وأصابت من الانسان ما به يدب أو يكتسب ، وكذلك المناجم والمقاطع فكم ردمت جبالها من عملة يشتغلون في ثقوبها فضمتهم اجزاء اليها وبقيت عائلاتهم من بعدهم اشلاء ضائعة في المجتمع فكانوا مثالا متمما لمشهد البؤس العام

ان هذه الآلام التي تمزق قلب الانسان العامل قد كانت كاللسع في الجسم الهامد. غير ان الزمان أنضجها وهيأتها الحوادث للتاثير على العمال التونسيين ولكنه التاثير البطيء ، وأهم اسباب هذا التاثير هو نجاح حركة العمال في اوروبا التي الزمت القوانين ان تعترف بها وبمؤسساتها النقابية وبحق الاعتصاب الذي يضر رأس المال قطعا في سيره ، ولكنه حق طبيعي للعامل ، ثم مجيء طبقات من العمال الاوروبيين مع الاحتلال الفرنسي وجعلهم ممتازين فى عملهم واجورهم عن العمال التونسيين ورؤساء لهم نافذي الكلمة ويقدمون اذا طلبوا

الشغل عن العمال التونسيين باجور ارفع بكثير حتى ولو لم يكونوا اكثر معرفة واقتدارا منهم ، بل اقل في بعض الاحيان ، ثم ان هؤلاء العملة الاوروبيين قد جاءوا الى تونس متأثرين باوساطهم الاوروبية فأنشأوا بعد مدة اتحاداً نقابيا يربطهم بجامعة العمال في باريس وذلك سنة ١٩١٩ ولم يجدوا في ذلك معارضة من السلطة وصاروا يباشرون اعتصابات منظمة فى المعامل وشركات سكك الحديد وينالون من ذلك ربحاً ، ولم يقتصر العمال التونسيون على مشاهدة ذلك فقط بل اشتركوا معهم فى الاعتصابات وانتظموا فى سلك نقاباتهم وحضروا اجتماعاتهم وسمعوا خطب الزعماء منهم امثال م . دوريل وم . ماليفان وم . بلقران الذين كانوا ينادون بحرية الانسان ، والمساواة بين افراده ، وان دين العمال هو العمل وعدو هذا الدين هو رأس المال ، فليس لهم بعد ذلك أن يتمايزوا باجناسهم وأديانهم فينقضون حبل اتحادهم بايديهم ويجعلون من ذلك منفذا لرأس المال لتشتيتهم واخفاق مسعاهم .

لقد اثر هذا العمل تاثيراً هاماً في نفوس العملة التونسيين بما جعلهم ينفصلون عن تاريخهم الماضي في الرضاء بالواقع المقدور ، والحذو كل الحذو من طلب الحق في غير مذلة واستعطاف كل فيما يخص نفسه ، وهم من هذه الجهة قد ربحوا ربحاً يلزم اعتباره وتقديره أحسن تقدير ، غير ان نجاح العملة الاوروبيين في مطالبهم ، ورجوعهم للشغل بمجرد ذلك وتساهل زعمائهم في الاخذ بناصر العملة التونسيين وحتى فى توزيع الاعانات لهم ايام الاعتصابات مع انهم يؤدون واجبا واحداً ، كل ذلك جعل العمال التونسيين يشعرون بوجود الحيف والميز حتى فى داخل هذه النقابات التي تدعوهم الى مقاومة الحيف ونبذ الميز والمفاضلة بالاجناس والاديان ، فكانوا يتسللون من هذه النقابات شيئا فشيئا الى العزلة والتشتت او تاسيس جمعية مستقلة كصندوق

تعاونى كما كان لعملة شركة السكك الحديد المسلمين الذين اسسوا جمعية « الاتفاق الودادي » اثناء الحرب الكبرى وكذا عملة معمل التبغ (الدخان) الذين رفضتهم نقابة معملهم الفرنسية التى لا تقبل المسلمين بنص صريح الى اليوم ، وهي منخرطة فى الاتحادية الفرنسية العالمية دون ان يمكن رجوعها عن فكرتها الداعية للانقسام ، على ان العمال الفرنسيين الذين يتربون في الاتحادية على مبادي العملة قد اصبحوا منذ نشر قانون التجنيس الفرنسي دعاة له فهم يغتنمون فرصة تذمر العملة التونسيين من ثقل وطأة المعاش وطفافة الاجور فيحبذون لهم التجنيس بصفته الطريق الوحيد لعلاج حالتهم تلك ، ودوء البؤس عنهم ولا تسمح لهم حدبتا غير هذا معهم .. ؟

لكن ذلك قد ضاعف آلام التونسيين وزادها عليهم تألبا وقسوة وحسرة فبقوا ينتظرون مرور الزمن وما عسى أن يلد من الحوادث حتى جاءت حادثة اعتصاب عملة الرصيف بالعاصمة

عملة الرصيف

يبلغ عدد هؤلاء العملة برصيف العاصمة ايام الصيف اذ تكثر حركة الصادرات والواردات الى نحو ستة عشر مائة وما يقارب الالفين ثم يتناقص بقدر خمود الحركة الى ان يتجدد بنموها فى الصيف القادم وأكثر هؤلاء العمال من مختلف جهات المملكه المقيمين بالعاصمة يشتغلون بيومهم فمن اشتغل أكل الخبز ومن لم يجد شغلا أو لم يشتغل احرقه الجوع هو ومن يعوله من اهله ، ولذلك كان نظار هؤلاء العملة (الكبرانات) يوزعون عليهم أيام الشغل بالتناوب بقدر ما يكثر أو يقل لامتناعه ان يسع جميعهم ،

وعملهم رَفْعُ البضائع الى البواخر وترصيفها وتنزيل اخرى لوضعهـا فى مستودعات الديوانة بالرصيف ، وبما أن اغلب السلع ثقيل الحمـل كصفائح الحديد واعمدته والدنان الكبيرة المملوءة فانه يقـل ان يخلو يوم من حوادث الاصابات كالجرح والكسر والتهشيم وقد تكـون الاصابة بالموت تحت السلع الثقيلة وليس هذا بالحادث النادر مثله فقد يتجدد كل سنة أو سنة بعـد سنة تقريبا ، غير انهم قد اعطوا حق الاسعاف الطبي عنـد الاصابة من الشغل ، وأجرة نصف يوم للمصاب منه حتى تناله العـافية وليس هذا الاسعاف آتيـا من الرحمة بهم بل ذلك قانون الاصابات الذي جاهد عمال العالم لاثبات حقهم فيه فنجحوا في هذا المقدار ، وليس هذا خاصا بعملة الرصيف بل يعم سائر الاشغال التي لنظر متفقد الشغل في تونس بخلاف صناعاتنا القـديمة فان معلميها لا يعرفون هذه التـكاليف نحو عمـالهم واذا احسنوا اليهم اعطوهم ما يعالجون به امرهم وكتبوه دينا عليهم يجعلهم وهن خدمتهم جبراً الا ان يردوه اليهم او ينالهم من ذلك السجن للتاديب والزجر !

على ان هذه الشركات الراضخة لقـانون الاصابات قد تستميل الطبيب الذي تختاره لاختزال ايام المرض والتيسير في امر العلاج ، ولذلك يخير قانون الاصابات العمال فى اختيار الطبيب الذي يرونه ، غير ان هذه الشركات لايزال تاثيرها على العملة نافذا اذ أكثرهم يجهلون ما سطر لهم القانون من الحق أو يخشون بأس الشركة ان تطردهم من الشغل وهم محتاجون.

ان عملة الرصيف يختلفون الى قسمين منهم من يشتغل فى عمق الباخرة (العنبر) لقبول وترصيف السلع النـازلة بها أو اخراجها منها ، وقسم على جانب الرصيف يقبل السلع فيضعها بمستودعات الديوانة أو يخرجها منها الى البواخر ، والقسم الاول أوفر اتعابا من الثاني فكان يقبض أجرة تزيد عن

الثاني بقليل ، ولقد تدرج عمال الرصيف في أجرتهم مع السنين حتى بلغت سنة ١٩٢٤ الى اثني عشر فرنكا لمن على الرصيف واربعة عشر فرنكا لمن يشتغل داخل العنبر ، وهي سنة اشتدت فيها وطأة غلاء المعاش عما قبل . خصوصا اذا عرفنا ان أكثر ما ينوب الانسان من ايام الشغل هو يومان في الاسبوع فيكون محصله من عمله ٢٤ أو ٢٨ فرنكا في الاسبوع ولا شغل لهم بغير الرصيف فكان ذلك داعيا لتكرير طلبهم الزيادة من الشركات بدون جدوى ، ولما اعياهم الطلب ولم يسمع صوتهم اعلنوا الاعتصاب في ١٣ اوت ١٩٢٤ ـ وكان تعارفهم "بمحمد علي" وسائر اعضاء جمعية التعاون الاقتصادي قبل ذلك بقليل فجاؤا اليهم يستهدون برأيهم في الحادث الذي ألمّ بهم . وقد اعتصبوا في سنوات ماضية دون ان يلتفت اليهم احد من العموم ، وحتى اتحاد النقابات الفرنسي ، فانه ما كان يعنى بهم او يحسب لمستقبلهم حسابا ، وسواء عنده أأعلنوا اعتصابا او رضوا بكاس الهوان شرابا فان ذلك شان لا دخل له فيه .

كذلك كانت اعتصابات الرصيف التي تكررت منذ سنوات دون ان تكون لهم نقابة مؤسسة قبل ذلك تشد أزرهم وتخفف بمتانة اتحادهم من جبروت معارضيهم فكانوا يتجرعون مرارة البؤس والاحتياج في اول الطريق زيادة على عنف البوليس وتحفزه لاقل حركة منهم يتأولها بجرائم تستحق الزج في السجون ، والى هذه الاسباب يرجع اخفاقهم كامثالهم في أكثر ما يعالجون ، وذلك ما اهلهم للاستفادة من كل طارئ عليهم والاستهداء برأي النابهين من بني جلدتهم . وقد عرف محمد علي تفاصيل هذه الحالة بعد أن سألهم عنها فافضوا بها اليه فلم يكن له بد من ارجاء مشروع جمعية التعاون ريثما يتم هذا الحادث الفجئي فكان مع بعض اخوانه من الشبان امثال السادة احمد المدني واحمد بن ميلاد والمختار العيادي ، ورجال من عملة

الرصيف المحنكين يراقبون سير الاعتصاب ويحذرون العملة من الوقوع فى مخالفات القانون التي يتربص لها خصماؤهم للتنكيل بهم والانتقام منهم ، ويهدونهم لاقرب الطرق لفصل هذا المشكل بأمر مرضي ، ويستحثون افراد الامة لمساعدتهم على ما يعالجون من المصائب والنكبات ، ولقد أحسنت هذه اللجنة التأثير على الامة التي كانت لا تشعر برابطة مع هؤلاء المتصبين أيا كانوا ، فساعدت بسماح وبقدر استطاعتها ، غير أن ذلك كان بطبيعة الحال لا يكفي لعيش اولئك العمال المتصبين ولا ذخيرة لهم اعدوها ، ولقد صبروا على ذلك صبر الكرام بما يسجل لهم فخراً في تاريخ العزائم ، وبدأوا يدركون من ذلك فائدة التعاضد وتاسيس النقابات لجمع المدد اللازم والتمرن على مقاومة النوائب واخذ الحيطة لذلك ، ودام اعتصابهم الى يوم ٧ سبتامبر فكانت مدته ثلاثة وعشرين يوماً

كيف كان الاعتصاب

جرت عادة عمال الرصيف انهم عند ما يريدون الزيادة في الاجور او اي مطلب لهم يذاكرون فيه شركات الشحن مشافهة بواسطة نوابها بالرصيف اذ انهم لم يعتادوا الكتابة ووضع مطالبهم في كراس مضبوط فكانت الشركات تعدهم وتمنيهم وتاخذ الاجل بعد الاجل واذ يفقد صبرهم يعلنون الاعتصاب وقد مرت خمس اعتصابات لهم بهذه الصورة ، واخيرا هذا الاعتصاب فقد بدأوا المذاكرة مع الشركات من شهر جويلية حتى الى يوم ١٣ اوت بدون جدوى ونص المطالب التي عرضوها على الشركات هي هذه :

(١) جعل الاجرة اليومية ٢٤ فرنكا للجميع بلا فرق كما ذلك لعملة رصيف مرسيليا

(٢) زيادة خمسين في المائة في ايام الاعياد

(٣) زيادة ثمانية وثلاثين في المائة في خدمة الليل

(٤) دفع ٤٫٥٠ للساعة الواحدة الزائدة على قانون (٨ ساعات) في اليوم

وفي يوم ١٣ — اوت اجتمع العمال ونـواب الشركات الاجتماع الاخير قبل الاعتصاب بادارة مشيخة المدينة بحضور مدير المحافظة وكان من رأي الشركات انها بذلت جهدها لحل هذا المشكل باعطائهم التعريفة الاستثنائية في الاعياد الاسلامية طبق الامر العلي المؤرخ بـ ٢ ماي ١٩٢٤ المنشور بالرائـد الرسمي في ١٢ جويلية ١٩٢٤ في اعتبارها اعيادا رسمية ، اما الزيادة في الاجرة التي هي المطلب الاصلي فقد الغي الجواب عنها بتاتا ولما ثبت العمال في مطلب الزيادة قال لهم مدير المحافظة « اذا اردتم ان تشتغلوا بسعر مرسيليا فاذهبوا اليها » فأجابه أحد العملة وهو السيد جوده الزغواني كما حدثنا هو نفسه : « قد ذهبنا الى مرسيليا واشتغلنا بها مدة من الزمن ولما ظهر لهم الاستغناء عنا قالوا لنا (ليذهب كل اجنبي الى بلاده) وقد اتوا بي مخفورا باعوان الضبط الى مرسى تونس كمجرم او سجين فاذا كنت تحسن صنعا فامر ان يذهب كل الاجانب من هنا الى بلدانهم أيضا وعندها يمكنني وانا في بلادي ان اخدم ولو بستين فرنكا في اليوم » ولما اصرت الشركات على رفض مطلب الزيادة ولم يتبين وجه للحل خرج مدير المحافظة مغاظبا في وجه العملة الذين لم يصيخوا اليه ويقبلوا باعتبار الاعياد الاسلامية لهم دون الزيادة في الاجرة ، ولم يتم بعد ذلك شيء على يد شيخ المدينة فخرج الجميع من عنده وابلغ الوفد ماكان في هذا الاجتماع فاتفق الجميع على مقاطعة العمل ، واعلان الاعتصاب في ذلك الحين .

وفي اليوم الثالث للاعتصاب تشكلت اللجنة التي اشرنا اليها سابقا لمراقبة

سيره وامداده بالاعانة اللازمة بقدر الامكان ، اذ كان هذا الاعتصاب جزئيا بالنسبة لقسم من افراد اللجنة حيث شاركوا فيه بعد مرور يومين عليه .

وقد انتخب العمال لقيادة حركة الاعتصاب طبق امر اللجنة السيد البشير بودمغة بمساعدة السيد البشير الفالح الذي صار كاتبا لنقابة الرصيف فيما بعد فكان جمهور المعتصبين ايام الاعتصاب ياتون بكرة النهار الى الرصيف لتشجيع بعضهم ومراقبة اعمال الشركات هناك وما عسى ان تاتي به ضدهم من الاعمال وهم في غاية الهدو ثم يرجعون عشية الى نادي اجتماعات العملة بنهج الجزيرة للمفاوضة في حوادث يومهم وتشجيع بعضهم بالخطب على الثبات والهدو حتى ينحسم خلافهم مع الشركات ، غير ان ادارة الامن قد عدت مجيئهم للرصيف تشويشا منهم وهيجانا استحقوا به استعمال العنف والقسوة من رجال البوليس ، ولم يقف الامر عند ذلك بل قد صارت فرقة من عساكر الخيالة تنزل كل صباح للرصيف لسد الطرقات الموصلة له ومنعها عن عماله ، وحماية من تاتي بهم الشركات والحكومة من اطراف الجهات بصورة عمال في الرصيف وهم يجهلون هذا الشغل وليس لهم فيه ادنى تمرين ، والشركات تعرف هذا المقدار ، ولكنها تؤمل بذلك ان تبث الفشل والخوف في صف المعتصبين لتنقض حبل اتحادهم ، لكنهم فهموا هذا المعنى وقرروه لبعضهم في قاعة الشغل حتى اقتنع به الجميع ، وذلك ما جعل السلطة تتعقبهم خصوصا عند ما طالت ايام الاعتصاب عليها ، ولقد ارتأت ادارة البوليس في اول الامر ان تاخذ السيد البشير بو دمغة مع اثنين من رفقائه اثر حادث باب الجديد كما سياتي ، وفعلا ابقته بعض ساعات بالكوميسارية المركزية بنهج قسنطينة لاعتقادها انه المنشط الاقوى على استمرار الاعتصاب واثارة الحوادث غير ان المعتصبين الذين كانوا يعدون فوق السبعمائة قد اصطفوا في ساحة الكوميسارية

وفي الطرقات الموصلة لها وقالوا اما ان نسجن جميعا أو يطلق رفيقنا اذ لا شيء يمتاز به عنا ، ولما جاء محامي العملة عندم . كمبانيا مدير المحافظة اعلمه هذا بانه لا يقصد سجن السيد البشير بو دمغة وانما يريد استفساره عن اسباب الاعتصاب وما يطلبه العملة بعد ان استحثه للرجوع للخدمة ، وفعلا خرج بعد قليل ذلك الرجل النشيط الى وفقائه فحملوه سائرين به على الاكتاف وما زادهم ذلك الا نشاطا .

ان هذا لم يكن كافيا فقد ظهر ان تاجرا فرنسيا امكنه ان يجلب عشرين شخصا من طائفة الورقلية التي لا تحسن عادة غير الحراسة لتنزيل سلعته من احدى البواخر الراسية بالميناء يعمها السكون وتكللها الكآبة وذلك صبيحة يوم ٢٧ اوت وكان المعتصبون موزعين جماعات جماعات بالرصيف فرأى اعوان البوليس لزوم طردهم بعنف وقسوة منعا للحوادث وعسى ان يكسر ذلك من نفوسهم فتذل وترجع للشغل ميؤوسة ، ولقد كان من ذلك ان جرح عدد غير قليل من المعتصبين وعاين ذلك الاطباء ، وبالرغم من هذا فقد تحمل المعتصبون جميعه بكل صبر وهدو وفي صبيحة يوم الخميس ٢٨ ـ اوت جاء المعتصبون كعادتهم الى الرصيف فوجدوا كالعادة بينهم وبينه سدا من العساكر ورجال البوليس فرجعوا براي متحد متجمهرين الى المحكمة الفرنسية بقصد الاحتجاج والتسجيل على اعوان البوليس الذين آذوا اخوانهم بالضرب والجرح ، وقد مروا في طريقهم على دار السفارة الفرنسية الى المحكمة فاقتبل نائب المدعي العمومي م . بواسياو وفدا منهم اذ كان المدعي العمومي غائبا اذاك وذهب بقية العمال الى ساحة القصبة ينتظرون الوفد ، وبعد ان بسط هذا انواع التعديات الواقعة من اعوان البوليس ، وصبر المعتصبين عليها دون ان يرتكبوا ادنى رد لها بالعنف اجابه

ذلك النائب بأن الحكومة ستفتح بحثا لعقاب المعتدين ، ورجع الوفد الى ساحة القصبة فاعلم بذلك المعتصبين ، وعندها قام كثير منهم يخطب في أحقية مطالبهم ، ومشروعية الاعتصاب ، وتعنت الشركات لاخضاعهم بلا نتيجة ، وممالاة الحكومة لهم في ذلك وانتصارها اليهم ، واعتداء اعوانها على المعتصبين بدون حق ، وان ذلك لا ينبغي ان ينال من عزائمهم شيئا حتى يعترف لهم بحق العيش الذي لم يروا فيه غير أيام مرة وأليمة ، وبعد ذلك استأنفوا سيرهم الى ساحة باب السويقه فافترقوا هناك دون ان يقع أي حادث سوى بعض شراذم من اعوان البوليس تسير معهم لتراقب حركاتهم من بعيد ، وفي مساء هذا اليوم ذهبوا كعادتهم الى قاعة الشغل بعد الزوال بساعتين ليتفاهموا في حوادث يومهم فقام السيد البشير بودمغه ، والقى الخطاب الآتي :

« لقد صبرنا اليوم ستة عشر يوما كاملة استطعنا أن نقطعها دون ان يحدث أدنى »
« هرج أو تشويش وغم الفقر والاحتياج الذي يهدد حياتنا كل يوم ولكني ارى »
« انه قد قرب اليوم الذي تمتنع فيه عنا مواد المعيشة لعجزنا وعند ذلك »
« لا نستطيع الصبر ، ولعلهم ينتظرون ان نصل اليه ، وسنسير في اعتصابنا »
« طبق برنامجنا الذي سلكناه من قبل غير أننا لا نستطيع ذلك أكثر من »
« ثلاثة أيام حيث نتحمل فيها جميع المظالم والتعديات القاسية فاذا انتهت »
« فاننا سنضطر ان نكزهم اذا وكزونا ونضربهم عند ما يضربوننا وان »
« ارادوا منا دماءنا فاننا نتركها تسيل »

ولقد هتف لهذا الخطاب كل السامعين وقام الكثير منهم يخطب في تاييده ثم انفض الاجتماع نحو الساعة الرابعة بعد الزوال بغاية الهدو ، وقد حدث في مساء هذا اليوم على الساعة السادسة تقريبا نزاع كبير بين جماعة الورقلية

الذين أتي بهم لحل الاعتصاب وبين آخرين بهيـأة عمال أفضى نهائيـا الى الضرب فلا ترى الا كراسي المقاهي المتراصفة بشارع باب الجديد غادية رائحة على وجوه الورقلية وقد صدموا في هذه الواقعة شيـخ التواتية اذ كان أمام مقهاه ولقد جرح عدد من الورقلية ولم يحضر هذه الحادثة اعـوان البوليس الذين شايعـوا الورقلية في طريقهـم من الرصيف الى منازلهم بباب الجديد وبعد ذلك حضر م . كمبانا مدير المحافظة وجماعة من اعوانه فلم يجدوا غير شراذم من الناس متوزعة في الطريق فشتتها بحزمه وامر بقفل المقاهي القريبة من مكان الواقعة شرقا وغربا ، ثم من الغـد كلفت كوميساوية القسم الرابع بالبحث عن المسؤلين في هذه الواقعة وقد وضعت المحافظة شكوكها في ثلاثة من عملة الرصيف احدهم السيد البشير بودمغه وذلك ما اشرنا اليه سالفا فوقع أول مرة ايقافهم ثم لما عرضوهم على المضروبين من الورقلية ولم يعرفوا وجوههم اطلقوهم ولم يثبت البحث ان أحداً من عملة الرصيف قد اشترك في هذه الواقعة وكان الكوميسار المكلف بذلك هو م . جولينو ورغما من هذا فقد زاد الاعـوان منذ ذلك اليوم قساوة وعنفـا مع المعتصبين ففي صبيحة يوم ٥ سبتامبر حين جاء المعتصبون الى الرصيف كعادتهم صادمهم الاعـوان ضربا بالاحزمة ، والجند باعقاب البنادق ودعاً لهم وارجاعاً الى الوراء حتى لا يصلوا في زعمهم الى مفسدي الاعتصاب ، غير ان بعض المعتصبين لم يسعه الصبر على ذلك فتلقفوا أيدي معاول ومساحج كانت أمامهم ملقاة وردوا بها فعـل الاعوان والجنود فاضطربت الحالة في الرصيف وفر المشتغلون وجرح عدد من المعتصبين وبعض الاعوان (١) واوقفوا خمسة من الاولين بدعوى ضرب الاعوان وحوكموا في اليوم التالي لايقافهم دون تاخير أمام المحكمة الفرنسية وقد

(١) ماذكرناه هو نص يوميات لجنة الاعتصاب في سبق الاعوان باستعمال العنف

اطلق واحد منهم وحكم على الاربعة الاخرين بالسجن لشهرين واربعة اشهر فاستانفوا أمرهم لمحكمة الاستيناف بالجزائر فايدت الحكم عليهم وقضوا بقية سجنهم هناك ، ثم رجعوا بعد ذلك على حسابهم ، وهم من علمت ضعفا وحاجة حاملين ذكرى ألم مر .

المفـاهمة لحـل المشـكل

لقد صبرت شركات الشحن على تحمل خسائر الاعتصاب ولم تشأ أن تفاتح العملة فى شان مطالبهم من يوم ١٣ اوت الى نهاية يوم ٢٢ منه ولما لم يظهر وضوح من جانب المتصبين للخدمة بدافع الاحتياج والجـوع ، وتأكد انهم سيتحملون كل شيء الا ان يجابوا عن مطالبهم اجتمع الآجرون وقدموا مطلبهم الى معتمد السفارة العامة الفرنسية ـ حيث كان مقيمها غائباً ـ في استخدام العساكر او المساجين في حركة الشحن حتى يرجع المتصبون الى العمل ففي مساء يوم ٢٣ اوت اقتبل المعتمد السفيري م . سان فيكتور وفدهم الذي فاتحه في هذا الشان فاجابهم : ان هـذا اول اعتصاب دخـل به الآجرون في علاقة مع الحكومة وانه لا يرى من الممكن تحقيق مطلبهم فى الظروف الحاضرة » ثم وقع الحديث فيما يخص اسعار المعاش من عام ١٩٢٠ وتدرج الاجـور المبذولة لعملة الرصيف من ذلك التاريخ ، واعتـذارهم بانخفاض اسعار النقل فى البحر وشكهم في ان شركات الشحن التي ينوبونها ترضى بغرض الزيادة التي تنشأ عن الزيادة في اجور العملة ، بعد ذلك كله أجابهم المعتمد السفيري : « انني احدد وظيفة الحكومة في هذه الحالة لانها تريد ان تبقى على الحياد فلا تتدخل لفائدة الآجرين أو المستاجرين ومع

ذلك فهي مستعدة للنظر فى جميع الملاحظات التي يريد الآجرون عرضها عليها » .

ان هذه النتيجة قد هونت من تشامخ الشركات ، وأمالتها نحو المفاهمة مع المتصبين ولكنها من جهة اخرى فكرت في استجلاب عملة من جهات مختلفة بصفة وقتية تحت حماية السلطة وهكذا تم الامر حتى نشأت تلك الحوادث الآنفة الذكر .

فى يوم ٢٥ اوت اجتمع بدار نيابة شركة « الترانزاتلانتيك » نواب الآجرين ونواب العملة يتقدمهم السيد البشير بودمغه فكان حديث الشركات الرجوع للخدمة بدون شرط مع الوعد منهم بتقرير الاجور التي تعطى للعملة عام ١٩٢٥ في اواخر نوفمبر القابل ، وهذا آخر ما امكن للشركات بذله في اول مقابلة لهم مع المتصبين ، ومن الغد ذهب وفد العملة الى السفارة العامة واعلموا المعتمد بها عن النتيجة الحاصلة من اجتماعهم بنواب الشركات الذين دعوهم للمفاهمة فأملوا عليهم بدل ذلك أوامر مجردة من اي شرط لفائدة المتصبين ، كما ذهب في اليوم نفسه الى السفارة العامة م . ديسبورت رئيس الحجرة التجارية الفرنسية مصحوبا بـ م . الكولونيل جيليسى و م . كوديرك من اعضائها لاعطاء رأي الحجرة وليس هو غير اقامة عذر الشركات وتلافى خسارتهم وحمل المتصبين على الرجوع بالشدة .

وقد استمر انقطاع المذاكرة الى يوم السبت ٣٠ أوت ففي مسائه اجتمع سبع نواب عن العملة وعن الشركات كذلك بمكتب ادارة الداخلية بحضور م . كمبانا مدير المحافظة أيضا وهو ساكت ينظر ماذا يتم وكان مدير الداخليه غائبا فناب عنه م . قدياني فاخذ يبين لهم مشروعاً تعاونيا لبيع الماكولات للرصيف تقيمه الحكومة لفائدة عماله وتضع لهذا العمل عشرة آلاف فرنك

غير ان المفاهمة فى المسالة الاصلية لم تتيسر - بسبب تصلب نواب الشركات - الا بعد مناقشات طويلة عرضت بعدها الشركات زيادة ٧٥ صانتيما للعامل على الرصيف وفرنكا واحدا للعامل فوق البواخر في اليوم وذلك ابتداء من غرة جانفي ١٩٢٥ المقبل واذ أن عامل الرصيف لا يشتغل في الاسبوع اكثر من يومين كما اشرنا اليه سالفا فان ما يناله من هذه الزيادة يكون ١،٥٠ لمن على الارض و ٢ فرنكين لمن على الباخرة فى الاسبوع بعد انقضاء اربعة اشهر مقبلة ، فكان جواب نواب العملة عن هذه الزيادة سلبا قاطعا وادركوا انها التفسير المقصود من الزيادة المبهمة التي وعدوا بها في الاجتماع الاول ، لكن مدير المحافظة اراد ان يعجل على نواب العملة فيضطرهم لقبولها ففرض عليهم ان تكون هذه الزيادة من أول نوفمبر الآتي ، وفى لهجته نوع انذار ، فاجابوه بانهم يبلغون ذلك الى المتصبين الذين يهمهم الامر فقال : انتم المسؤلون اذا لم ينحل الاعتصاب صبيحة يوم الاثنين القادم ويلزم ان تؤثروا على رفقائكم بما لكم عليهم من النفوذ وأشار الى السيدين البشير بودمغه والبشير الفالح بصفتهما رئيسي لجنة الاعتصاب المسيرة وانفض الاجتماع دون نتيجة مرضية

يظن م . كمبانا مدير المحافظة كعموم الفرنسيين ان العملة التونسيين بصفتهم من المسلمين ليس فيهم اهلية استقلال الفكر والارادة ويرى ان قائد حركتهم هو الملك المطلق عليهم يسيرهم حيث شاء كما ذلك لملوك الطوائف ورؤساء القبائل ، ولذلك كان يعتقد وجود التاثير الكافي في السيدين البشير بودمغه والبشير الفالح على بقية المتصبين لترؤسهما حركة الاعتصاب فهو يلزمهما بحل الاعتصاب ويجعلهما مسؤولين أمامه ان لم ينحل ، تهديداً لهم ، معتقداً حصول النتيجة من ذلك .

ففي الغد صبيحة يوم الاحد اجتمع عموم المتصبين بنادي العملة لعرض نتيجة مفاهمة الامس فقام السيدين بودمغة والفالح يبينان النتيجة كما وقعت الى النهاية فاثر ذلك فيهم أسوأ تاثير وادركوا تظاهر الحكومة باحتقارهم واهانة نوابهم بالضغط عليهم ومحاولة تقسيمهم فقامت اصوات مختلفة من جهات النادي انكارا لهذه الطريقة التي استعملت معهم وانتهى حديث المبعوثين بتفويض الامر الى الجلسة المنعقدة حسبما قالوا لمدير المحافظة بالامس ، وبعد مناقشات مع الوفد استقر الراي باغلبية مطلقة على تجديد لجنة العمل واسقاط الاولى فوقع بالاصوات انتخاب السادة محمد الخيادي وجوده الزغواني واحمد المؤدب ومحمد صالح بلحسن برئاسة الاول ووقع من دون شك رفض الزيادة التافهة المعطاة لهم بالامس في مكتب الادارة الداخلية فما وسع لجنة العمل الجديدة الا ان تذهب من الغد يوم ١ سبتامبر الى الادارة الداخلية لتعلمها برفض الزيادة المقترحة ولم يظهر اذاك وجه آخر للحل

وفي يوم ٣ سبتامبر ذهب المتصبون الى قصر الباي بقرطاج يتقدمهم اعضاء لجنة العمل لعرض حالهم على الامير الذي بقي آخر من أفضوا بشكاياتهم اليه فخرج اليهم السيد مصطفى الدنقزلي الوزير الاكبر اذاك ، وبعد ان سألهم عن مسالتهم التي جاؤوا من اجلها قال لهم : « ان الحضرة العلية تقول لكم انها متأثرة من هذه الحادثة وقد بلغها التشويش الذي اوقعتموه بباب الجديد مع الوقلية وبالقلالين وتريد منكم الرجوع من الان الى الشغل وستضع يدها في النازلة »

وبعد مناقشات دارت بين المتصبين والوزير قال له رئيس الوفد السيد محمد الخياري : « يا حضرة الوزير اننا لم نات الى الباي ليكون عضداً للشركات في جبرنا على الخدمة وقد دخلنا كل مكاتب الحكومة تقريباً من

السفارة الفرنسية الى الادارة الداخلية الى ادارة المحافظة ، ولئن لم نلق منهم معاضدة حقيقية فانهم ما استطاعوا ان يجبرونا على العود للشغل فان قوانين العالم اليوم كما قررت حرية الشغل قررت حرية الاعتصاب لمن يريد ذلك وليس من قصدنا ان يضع الباي يده وانما اتينا اليه بصفته المثل الاعلى لحكومة البلاد لعرض حالنا عليه تقديرا لمقامه عندنا وتسجيلا منا على من منعونا حقوقنا حتى لا يقال قد بقي باب لم نلجه أو ان لنا غرضا في ابقاء المشكل مستمراً . هذا كل ما اردناه من قدومنا الى هنا . اما ما ذكرتم عن حادثة باب الجديد فقد اثبت البحث على يد الكوميسار م . جولينو براءة المعتصبين منها وكذا حادثة القلالين فانها اجنبية عنهم والعجب كيف تتهم بعمل غيرنا »

رجع اللاجئون للحضرة العلية مستائين اشد الاستياء مما سمعوا وظل الوزير واقفاً مكانه .

وفي صبيحة يوم ٤ سبتامبر الموالي نشر المعتصبون بين العموم البلاغ الاحمر الذي نشأ عن اليأس التام من انصاف جميع الادارات ومراجع الحكومة وقد نشرته من الغد جريدة « النهضة » يوم ٥ سبتامبر وصدرته بجملة عن الظروف التي صدر فيها وذلك تحت عنوان : « اعتصاب عملة الرصيف » كما ياتي :

« منذ مدة وقع اعتصاب عملة الرصيف بالحاضرة ومرسى بنزرت »
« واخذت قضيتهم طوراً كان من اللائق ان تصل اليه وقد وقع اعتقال »
« بعض زعمائهم ثم أطلقوا ومهما ذهبوا الى مرجع الا ووجدوا الابواب »
« موصدة في وجوههم بما اضطرهم الى نشر البلاغ الآتي : »

---

(١) اخذ هذا التصريح من تقرير الوفد المواجه لحضرة الوزير .

بلاغ من عملة الرصيف الى الشعب

منذ ثلاثة وعشرين يوما وانتم معاضدونا فى الاعتصاب !

ثلاثة وعشرون يوما مضت ولم نستعمل فى خلالها الا بعض وسائل شرعية للدفاع عن حقنا الحيوي

وقد كانت وعدتنا الحكومة بملازمتها للحياد التام فى النزاع الواقع بيننا وبين شركات البحار ولكن هذه المواعيد لم تكن فى الحقيقة الا خداع وافتراء ، ولم تكتف الحكومة باستخدام جنودها فى منفعة الشركات لحماية مفسدي الاعتصاب مع استعمالها لطرق جنائية للاعتداء علينا ولزرع الشقاق بيننا ، بل صارت تستجلب اليد العاملة للشركات لتقتل اعتصابنا وتقتلنا جوعا

« فاليكم جميعاً يا من اعتنموا على الحياة نوكل اليكم الحكم على هذه
« الحالة ـ أمام هذه الحكومة التي تريد قتلنا شراً ـ عزمنا على الدفاع »
« للحصول على قوت ابنائنا ولو أدى ذلك الى ضياع حياتنا ولذا نرجو »
« منكم ان تكونوا معنا ضد المتسببين فى مجاعتنا اعداء الانسانية »

وقد نشر في ذيل هذا البلاغ نصه مترجما باللغة الفرنسية ، ولقد أثرت على المعتصبين خيبتهم ويأسهم من انصاف الحكومة حتى لم يعد احد منهم يتحمل بعد ذلك اعنات البوليس وعنفه وذلك ما اثار حادثة يوم ٥ سبتامبر الآنفة الذكر ففي عشية ذلك اليوم اذ كان المعتصبون مجتمعين بقاعة الشغل يتفاوضون فى شان الاعتصاب وشان من أوقف منهم اثر الواقعة اذ اقبل عليهم السيد حسن قلاتي محامي الموقوفين قادماً عليهم من عند مدير المحافظة يبلغهم انه يطلب اثنين منهم لاستيناف المفاوضة في مطالبهم والسعي لحصول الوفاق فاختاروا من بينهم السيد محمد الخياري رئيس لجنة العمل، والعضو بها

السيد حمود الزغواني وقد خرج وراءهم نفر قليل من المتصبين ولما وصلا عند مدير المحافظة عرض عليهما ما ياتي :

١ — زيادة فرنك واحد لليوم يكون للعامل على الباخرة أو على الرصيف سواء

٢ — دفع الاجور الجديدة يكون من يوم الرجوع للعمل

٣ — تشكيل لجنة مركبة من نواب عن العملة والآجرين والادارة لتعيين شروط الشغل فى عام ١٩٢٥ المقبل

فلما سمعوا ذلك منه أجابه السيد محمد الخياري بانهذه الاقتراحات بعيدة جداً عن مطلب ٢٤ فرنكا لليوم الذي قدمه المتصبون فقال له مدير المحافظة انك منتخب جديد ولم تدر قيمة هذه المساعدات الجديدة بالنسبة لما قبلها أما السيد حوده هذا فيمكنه ان يوافق عليها بدون توقف لانه واقف على اطوار القضية ، واذ اعياه امرهما اذن في انتظارهما ببيت آخر وجعل الاعوان يدخلون على المدير كل من لاقوه من المتصبين دون تمييز وهو يرغبهم فى الزيادة والرجوع للخدمة ويهددهم ان امتنعوا حتى أمكنه ان يضع امضاآتهم في كراس له ، وبعد ذلك جاء بالسيدين الخياري وحوده واعاد عليهم المسالة وأراهم امضاآت غيرهم وانهم يكونون سبب كل تشويش وقع او سيقع ان لم يمضوا كغيرهم وأخيراً ما وسعهم الا ان يوافقوه اصالة عن انفسهم ويبلغوا الامر الى المتصبين ليروا رأيهم فى الاعتصاب.

ومن جهة اخرى فبينما كان هؤلاء النواب بمكتب الكوميسارية المركزية عندم . كمبانا اعطت الحكومة الاوامر للاعوان والعساكر في اخراج المتصبين من قاعة الشغل ليتفرقوا وقفلها في وجوههم فما انتبهوا لذلك حتى احاط بهم العساكر من كل جهة ، ولما امتنع المتصبون من

الخروج حيث انهم بحق يجتمعون في هذا النادي كغيرهم هددوهم بالعنف في اخراجهم جبراً وتهيأوا لذلك ، فما وسع العمال المجردين الا من سلاح الحق الا ان يخرجوا طوعا لأوامر القوة ، واذ خرج النواب من عند مدير المحافظة وجدوا الطريق مملوءة بالعساكر والاعوان ولم يجدوا احدا من اصحابهم في القاعة فادركوا أن هذه القوة لم تمكنهم من انتظارهم وان الامر بالغ حده ، ومن الغد صباحا يوم ٦ سبتامبر اجتمعت لجنة العمل مع لجنة المساعدة حيث لم يمكن في ذلك الحين عقد اجتماع عام وقررتا باتفاق : ان الحالة لم تعد قاضية بالاعتصاب وقد اشتد صبر الناس على الم الجوع والاحتياج بسبب نقص المساعدة المالية آخر ايام الاعتصاب حيث لم تكن لهم نقابة مؤسسة من قبل ، ولذا

١ً — يقع الرضاء وقتيا بما عرضه اخيراً م . كمبانا مدير المحافظة من تعميم فرنك في اليوم لمن على الباخرة او على الرصيف .

٢ً — يعتبر الاعتصاب منحلا صبيحة يوم ٧ سبتامبر ـ غداً ـ ولا حرج حتى على من باشر الخدمة اليوم

وفعلا فان نفراً ممن أمضوا عند مدير المحافظة اصبحوا من الغد عاملين في الرصيف ، وقد كان لهم عند بقية أصحابهم عذراً مقبولا وطاف جماعة على عموم المعتصبين يعلمونهم بحل الاعتصاب بقرار اللجنتين وما استقام العمل بصورة واضحة الا يوم ٧ سبتامبر ، وكثير من العملة قد ضل مغادراً الشغل الى نهاية سبتامبر آسفا من النتيجة الحاصلة بعد تلك الجهود التي بذلت والتضحية التي احتملت والسجون التي زج فيها بعض رفقائهم لاجل أنهم اعتصبوا فنالهم من العقاب ما نالهم !

لقد كان م . سوقان متفقد الشغل ونائب الحكومة في فصل مسائل

العملة والآجرين غائبا في فرنسا من اول الاعتصاب الى ما بعد ذلك بقليل وكان واسطة الاتفاق الذي عقد بين العملة والشركات لتنظيم العمل لعام ١٩٢٥ وامضى عليه الجميع كما ياتي :

اتفاقية نقابة الرصيف

حصل الاتفاق بين شركات ومشاريع الشحن بتونس :

شركة الترانزاتلانتيك العامة . الشركة التجارية التونسية . دار ج . ت بوتقارت ليب . شركة الشحن والفحم . دار بيقار . شركة « اوليفة » (م . فراند وشركاه) . دار رينو رو وشركاه .

التي يمثل جميعها م . م . بوتقارت ليب وسلامة وستافانوبلي من جهة وبين عملة الرصيف الذين يمثلهم

من عملة البحر : السادة البشير بودمغه . محمد الخياري . حموده خليفه

ومن عملة البر : السيد صالح بن صالح من جهة اخرى

والغرض من ذلك تنظيم الشغل وتعيين الاجور اليومية ابتداء من ١٥ نوفانبر ١٩٢٤ الى غاية ٣١ ديسامبر ١٩٢٥

فتم الاتفاق وتقرر كما ياتي :

١ ً - مدة العمل — مدة العمل تكون ثمان ساعات بين الساعة السابعة والساعة التاسعة عشر تفصل براحة ساعة على الاقل بين الثانية عشر والرابعة عشر طبق مصلحة العمل ويبتدئ نصف النهار الثاني على الساعة الثالثة عشر او الرابعة عشر حسب مصلحة العمل

٢ ً - الاجور اليومية — قدر اجر العمل لعملة الرصيف في البر او في البحر ١٥،٥٠ فى اليوم

كل نصف يوم وقع الشروع فى عمله ولم يتم اما لحادث فجائي او بسبب المستخدمين (بالكسر) يدفع اجره كما لو تم بالفعل

٣ً - الساعات الزائدة — قدر اجر ساعات العمل الزائدة النهارية بـ ٢،٣٥ للساعة الواحدة اي عشر اليوم أجر يوم ٨ ساعات عملا مع زيادة ٥٠ في المائة وقدر أجر ساعات العمل الزائدة الليلية بـ ٤،٧٠ أي ضعف اجر الساعة النهارية الزائدة

كل ساعة وقع الشروع فيها يدفع اجرها كما لو تمت بالفعل

٤ً - الآحاد والاعياد — الآحاد والاعياد الرسمية وفى ضمنها الاعياد الاسلامية الرسمية الواردة فى الامر العلي المؤرخ بـ ٢ ماي ١٩٢٤ تعتبر على ما جرت به العادة القديمة اي كسائر ايام الاسبوع مع زيادة ٥٠ فى المائة واجر الساعات الزائدة ضعف ذلك على انه لا يتعدى اجر الساعة ٤،٧٠

٥ً - العمل بحلق الوادي وبماوالاه — اوقات الشغل المذكورة والتعريفة المذكورة آنفا يطبقان على العمل بحلق الوادي وبماوالاه

وللعملة في هذا الظرف منحة قارة قدرها ٢،٥٠ لليوم الواحد في مقابلة تعب نقلتهم . وعلى المقاول زيادة على ذلك ان يحقق لهم مصاريف او وسائل النقل التي تنقلهم الى حلق الوادي ذهابا وايابا

٦ً - عموميات — كل سنة يجتمع في نوفنبر نواب العملة ونواب مشاريع الشحن بقصد تجديد هاته الاتفاقية لمدة عام ابتداء من غرة جانفي

يمكن لكل من الطرفين طلب اعادة النظر في هذه الاتفاقية اذا لوحظت زيادة او لوحظ نقص بقدر ٢٠ في المائة فى سعر المعاش وهذه الطريقة تنطبق ايضا على المدة التي بين ١٧ نوفانبر ١٩٢٤ و ٣١ ديسامبر ١٩٢٥ التى وضع من اجلها هذا الاتفاق

تونس في ١٤ نوفانبر ١٩٢٤

اطلع عليه وحصلت عليه الموافقة	اطلع عليه وحصلت عليه الموافقة
نواب شركات ومشاريع الشحن	نواب العملة الاهليين
الامضاء : بونقارليب	الامضاء : البشير بودمغة
سلامة	محمد الخياري
ستيفانوبلي	صالح بن صالح وحوده خليفه

قوبلت فصحت : متفقد الشغل

صدا الاعتصاب

لقد اعتصب عمال الرصيف قبل عامهم هذا أكثر من خمس اعتصابات مرت ولم يشعر بها وبهم أحد لا من العملة امثالهم في جهـة اخرى ولا من عموم الشعب فكانوا أمة برأسها في ذلك الرصيف يتالمون لضعف حالهم ويتجرعن وحدهم مرارة بؤسهم يعيشون افراداً متفرقين لا يجمعهم الا يوم الاعتصاب ولا ذخيرة لهم أعدوها لاحتمال وطأته الثقيلة ، وليس لا كثرهم مبادي بسيطة لتدبير شؤونهم وانما قائدهم هو الجوع وهو الذي يضطرهم الى الاعتصاب أول مرة وهو ذاته الذي يجبرهم على نقضه بايديهم ، وبعكس هذا فى الشركات الآجرة لهم فان كل وسائل العمـل والمكافحة متوفرة لديهـا ، والحكومة بجانبها ترعاها بعين لا تـنام ، والى هذا السبب الاصلي يرجـع اخفاق العملة التونسيين فى جميع ما يحـاولون من المصالح ، اذ أن هـذه الحال التي ذكرناها وصف شامل لجميعهم وليست قاصرة على طائفة منهم

لكن هذا الاعتصاب الاخير قد فارق الاعتصابات الماضية وكان مبـدأ لحياة جديدة ، فان وجود طائفة من المفكرين الصادقين التحمت بالمعتصبين ووجود حركة عامة قبل ذلك في البلاد معناها طلب حقوق ضائعة قد غير استعداد اولئك العملة وحول خمولهم جداً وضعفهم ارادة ويأسهم أملا ، ولقد عملت هذه النخبة المفكرة لربطهم بعامة الامة وربطها بهم بحسن الدعـاية النشيطة التي استعملت في ايجاد التضامن والشعور العام الذى يضم اجزاء الامة الى بعضها فاقبل الكثير من الناس على المعتصبين وتعـارفوا واجتمعوا بهم وكان من ذلك امداد كبير للمعتصبين سد كثيراً مما ينقصهم من الاستعـداد والتأهب للاعتصاب ، ولقد اثرت هذه العواطف الشريفة على المعتصبين فدبت

فيهم روح الحياة ، وادركوا ان قـوة هائلة قد كانت محجوبة عنهم ، فزادهم ذلك ايمانا بحقهم وقوة فى عزائمهـم فجاعوا وصبروا وأوذوا فى اعتصابهم وما انحلوا ولكنهم تظاهروا واحتجوا وملؤوا الشوارع وطرقات العاصمة بمشهدهم المؤثر ، وخطبوا الخطب الحامية باصوات عالية أمام الاعوان والجنود وعلى مسمع منهم ، واعطوا بذلك مثـالا صادقا للارادة والتمسك بالحق ، ومؤثرا لولا العنـاد البـالغ والتعصب فى جانب معارضيهم

لكن العملة فى العاصمة وجهات المملكة قد ادركوا هذا المثال الصادق الذى اعطاه عملة رصيف تونس فأصبحوا يرونه المثال الذي يجب ان يحتـذي في الراي والعزيمة فتراهم يتتبعون حوادثه وينشدون اخبـاره باليوم والساعة وانبثق من نفوسهم فجر الامل الذي اخمده اليأس يوم انفصالهم من اتحاد النقابات الفرنسي وجعـل كثير من مختلفهم يترددون الى عملة الرصيف ويسايرونهم في مظاهراتهم ايام الاعتصاب اشتراكا معهم في الشعور والتضامن ويجتمعون مع السيد محمد علي للاستفـادة منه والاستهداء برأيه فيما عرض ويعرض لهم من الشؤون وقد اعتقدوا انه القوة الفعالة فى تشييد هذا البنـاء الذي تقوم على ركنه آمالهم واحلامهم في المستقبل ، ولقـد ازداد يقينهم بمرور الزمن حيث جاءت الحوادث المتتالية اثر بعضها مصدقة لذلك ومؤيدة .

اقوال الصحف المحليـة

« النهضة » (١) في ٣١ اوت ١٩٢٤

« ... أما الحالة بالعاصمة فانها لا تزال تنذر بالخطر كما قدمناه بسبب »
« تشدد الشركات وقيام الحكومة باعمال لمصلحة الماليين مخالفة لما يجب »

---

(١) جريدة تونسية مشايعة للشعبة الاشتراكية تمثل « النخبة الاصلاحية »

« سلوكه في مثل هذه الظروف اذ جلب أحد التجار الفرنسويين يوم »
« الاربعاء الفارط عشرين عاملا لتنزيل بضاعة من احدى البواخر وكان »
« العملة متجمهرين بالرصيف الا ان البوليس رأى وجوب ابعادهم وقد »
« سلك في سبيل هذا الابعاد مسلك العنف والتشدد حتى اصيب عدد من »
« العملة بجروح عاينها الاطباء وحرروا لهم في شانها تقارير الا ان العملة »
« لازموا الهدو التام ولم يقابلوا هاته الاعمال الوحشية الصادرة من البوليس »
« الا بالسكينة وعدم الدفاع »

هي في عين المقال

« ... قد كنا نظن ان الحكومة تعير هذه المسالة الهامة جانبا عظيما »
« من الاهتمام وتبادر بالتوفيق بين العملة وأرباب رؤوس الاموال بالزام »
« هؤلاء الآخرين بالزيادة في أجورهم حيث ان مطالبهم عارية عن الغلو »
« وسوء القصد فان الاسعار قد ارتفعت بصورة فاحشة حقيقة وصار امرها »
« معلوما لدى العام والخاص والاجور التي يتقاضونها في الاسبوع وهي ٢٨ »
« فرنكا على الاكثر لم تعد تكفي للقيام بضرورات العائلة في مثل هاته »
« المدة الفسيحة وبذلك تقوم باهم واجب من واجباتها وتتوطد دعائم »
« الامن في المدينة وتعود الحركات الاقتصادية الى ما كانت عليه قبل »
« وبذلك تعود الحياة الى مجاريها ويامن الناس غوائل هذه الاخطار التي »
« تتهددهم ، ولكن لسوء الحظ لم تصادف كلمتنا آذانا واعية من الحكومة »
« ولم تقابلها الا بالاعراض وعدم الاهتمام والحال انها المسؤولة وحدها »
« عن حفظ الراحه العامة وعما ينجم عن هذا الاعتصاب من الاضرار التي »
« لا تحصى اذ لا يعقل ان تبقى ٧٠٠ عائلة بتونس دون قوت من غير ان »
« يحصل في المدينة ما يكدر الراحة ويخل بنظام الامن العام ويؤدي الى »
« وجود الفتن والقلاقل وارتفاع اسعار الاشياء لفقدها واذاك تسود »
« الفوضى ويعم الهرج »

« ومهما يكن من شيء فاننا نجدد للحكومة النداء ونؤكد عليها ان »
« تسعى في اقرب وقت ممكن في حسم هذا الخلاف وتمكين العملة »

« المنكودي الحظ من هذا الحق الطبيعي الذي يسعون وراءه وكف كل يد »
« عادية تحاول ان تكون حائلا بينهم وبين حقوقهم اذ الحكومة وحدها »
« هي القادرة على حسم هذا الخلاف واعادة الامن الى نصابه »

« تونس الاشتراكية(١) » ١٦ اوت ١٩٢٤

الاعتصاب مستمر من دون تغيير . والعملة عازمون على الاستمرار في المقاومة الى الحصول على النتيجة

انخراطهم في جامعة عموم العملة (الفرنسية) سيقع قريبا

هي في ١٨ اوت ١٩٢٤

في تونس اعتصاب الرصيف مستمر من دون حوادث وقد كون العملة نقابة ولم يتقرر لحد الآن انخراطهم في اتحاد النقابات وجامعة العملة

هي في ٢٠ اوت ١٩٢٤

قد تقرر نهائيا تكون عملة الرصيف في صورة جمعية ودادية تونسية تحت اشراف الدستور وشيخ المدينة فليكونوا كما شاؤوا

هي في ٢٨ اوت ١٩٢٤

... يجب الوصول حتما الى حل انساني للخلاف

وقد ثبت تعقل العملة المعتصبين بما يبهر في كل مكان الحكام الحائدين فلم يحدث اي حادث ذي اهمية مثل الحوادث التى تزين اعمال هذا النوع من المعتصبين في فرنسا وفى غيرها

ولكن هل تظنون انه وقع الاعتراف لهم بذلك ؟ كلا . انهم استعملوا ذلك ضدهم

هؤلاء العملة عاقلون فلم يريدوا انشاء نقابة غير قانونية ويفكرون فى ذلك كما يفكـرم . تريدون فى مسائل اجتماعات العملة . حسن فليقع استثمارهم باكثر مما كان

---

(١) جريدة فرنسية تمثل الشعبة الاشتراكية واتحادية العملة الفرنسيتين

« البتي ماتان (١) » ٢٠ أوت ١٩٢٤

هل تعم الحركة ؟ وهل يعتصب ايضا عملة السميذ ؟ ان الدعوى الخالدة التي تصدر من الحقة كشيطان ذي شارب غليظ هي الزيادة في الاجور ......

يقال ان هناك اسبابا تحمل على الظن بوجود امر صادر من فرنسا هو الذي كان سبباً فى الاعتصاب بواسطة بعض المشوشين الذين اتخذوا الاعتصاب مهنة .... وقد قال لنا احد احبابنا الاختصاصيين فى العربية انه سمع من احد شغالة الرصيف الاهالي هذا السر الذي هو فى طعم الفلفل المقلي : « أمر من نانت »

تلك هي كلمة مختصرة ولكن ذات معنى غزير

هي فى ٢٢ أوت ١٩٢٤

وقع اعلام آجري شغالة الرصيف بان لم يجب طلبهم فى تشغيل اليد العاملة الحربية او المسجونة .

ونلاحظ نحن ان في الهافر لم تتردد السلطات ذات النظر في مثل هاته الظروف فى استدعاء بحارة الدولة وتلك السلطات لا يمكن ان يتطرق الشك في عواطفها الديمقراطية . تحت اسقف متغائرة ....

هي فى ٢٨ أوت ١٩٢٤

بالامس على الساعة الثانية اجتماع « بنادي الشغل ٤٠٠ شخص تقريبا وخطب » : يقع الاستمرار في الاعتصاب وغما عن وسائل حفظ الامن التي وقع اتخاذها والمهينة لشغالة الرصيف

هذه فكرة ـ وليست هي فكرتنا ـ لانه اذا كان لشغالة الرصيف استعدادات حسنة او على الاقل بريئة نحو الشغالين الوقتيين فلماذا يتشكون ؟

هي فى ٢٩ أوت ١٩٢٤

حول الاعتصاب ـ يظهر ان قائمات اكتتابات لفائدة عملة الرصيف تطوف فى المدينة وهذا الامر اولا هو مخالف للقوانين وثانيا علمنا ان اعيانا من التجار اكتتبوا بمبالغ مرتفعة وليس ذلك الا من البله الخالص من دون شك

---

(١) جريدة اسرائيلية فرنسية المبنى والذوق تمثل المصالح التجارية والمالية

« الديبش تونزيان (١) » في ٦ سبتامبر ١٩٢٤

.... ان المتساكنين لا يفهمون ان اموراً اجنبية عن هذا الخلاف او حتى مصالح شخصية بسيطة لا ترتكز على مبادي عادلة تعطل نشاط مرسى تونس والحياة التجارية به اكثر مما عطلت

« تونس الفرنسية (٢) » في ١٧ أوت ١٩٢٤

من الاسباب الاصلية لاعتصاب عملة الرصيف الحالي ـ الامر الذي يجهله العموم ويجهله على ما نظن ايضا آجروهم هو انتشار المقامرة بحانات المرسى حيث ان اغلب عملة الرصيف لا يتكلفون مصاريف « تواليت » لان قيافتهم لا تتجاوز شكارة لستر نصفهم الاسفل واخرى لستر راسهم وكتفيهم وهذا يكفيهم وزيادة لان حياتهم تقضى غالبا في الرصيف.

ان الاجور التي تبلغ ١٢ و ١٤ فرنكا في اليوم تصرف اذا قبضوها بعد دفع ما عليهم للخمار ـ على بساط اللعب (!!)

اعتصابات بنزرت

ما كاد ينتشر خبر اعتصاب الرصيف بتونس حتى كان كجذوة امتد لهيبها في مدينة بنزرت ونواحيها، وجدير بهذه الاعتصابات أن تنسب الى المدينة كلها اذ شملت معظم الاشغال بها وبالجهات القريبة منها بالتدريج ونحن نبين تفاصيل هذه الحركة في مواطنها بحسب تاريخها :

---

(١) جريدة فرنسية تمثل المصالح الصناعية الاستعمارية وقد التزمت خطة الاخبار في حادث الاعتصاب وما نقلناه اهم فقرة فيها تشير الى الراي

(٢) جريدة فرنسية تمثل المصالح الزراعية الاستعمارية وبصفة عامة النفوذ الفرنسي في كل شي.

اعتصاب الرصيف

ان اول اعتصاب كان في بنزرت لعام ١٩٢٤ هو اعتصاب عملة الرصيف يوم ١٥ اوت بعد اعلان الاعتصاب برصيف تونس بيومين ، وسبب هـذا الاعتصاب طفافة أجورهم وثقل وطأة المعاش عليهم بارتفاع اسعاره وحالهم لا تختلف عن حال رفقائهم عملة رصيف تونس في نوع الشغـل الذي يباشرونه غير أن اجورهم اقل بكثير منهم ، فهم يشتغلون بحساب ١٫١٠ ، للساعة الواحـدة وليس لهم « قانون ٨ ساعات » بل جميع الساعات مهما امتدت كلها بسعر ١٫١٠ ، للواحدة بخلاف عملـة رصيف تونس فقد اعترف لهم بقانون الثماني ساعات التي لهم عليها أجرة ١٢ أو ١٤ فرنكا قبل اعتصابهم الاخير

واذ كانت هذه الحالة السيئة لا تحتمل فقد طلبوا الحاقهم بعملة رصيف تونس وفسروا ذلك باجرة ١٣ فرنكا في اليوم وقانون الثماني ساعات ، ويظهر من هذا أنهم مع عملة رصيف تونس على غير اتصال ، اذ ان ما طلبوه التحاقا بهم ليس هو ما حصل عليه اولئك لا قبل اعتصابهم ولا بعـده ولم توجد لهم مطالب قدموهـا كتابة قبل اعتصابهم ويبلغ العدد الاعتيـادي لهؤلاء المعتصبين ١١٥ عاملا

عملـة معمـل الآجر

« بمنزل جيل »

يوجد في سفح التل المقامة عليه بلدة « منزل جيل » الجميلـة والمطلة على البحر قرب مدينة بنزرت معمل لصنـع الآجر لصاحبه م . جاكوب

اليهودي المتجنس والمحصل على رتبة « كابتان » في الجيش الفرنسي واذ ان اجور عملته كانت ضئيلة مع انهم يشتغلون عشر ساعات في اليوم طلبوا زيادة فى اجورهم بنسبة غلاء المعاش ولم يعينوها فسخر صاحب المعمل من طلبهم هذا بكبرياء وشموخ أنف فاعلنوا الاعتصاب يوم ٢٢ اوت ١٩٢٤ فكان ذلك موجبا في نظره لسجن افراد منهم تهديدا وانتقاما حتى يجبرهم على استيناف الشغل واستعان بالسلطة المحلية هناك فسجن خمسة منهم بدعوى استعمالهم العنف مع من لم يعتصب ورغم قدوم المحامي السيد حسن قلاتي الى بنزرت ومنزل بجيل وافهامه لاعوان السلطة حرية الاعتصاب وأنه حق من حقوق العملة لا جريمة فيه وطلبه الافراج عمن سجن لم يقع اطلاقهم الا بعد رجوعه لتونس بمدة حيث توالت الاعتصابات وخشي الموظفون عاقبتها فجاء الاذن من مدير العدلية باطلاقهم ، وعدد العملة بهذا المعمل ١٠٨ .

عملة مرسى بنزرت

« شركة هيرسان »

تشتغل هذه الشركة باصلاح مرسى بنزرت ووضع قوالب الصخور فى جهات من البحر واصلاح ما انثلم منها وعملتها يشتغلون ١٠ ساعات فى اليوم باجرة من ٧ الى ٩ فرنك فى اليوم ، واذ كان هذا القدر لا يكفيهم قدموا يوم ١٥ أوت ـ يوم اعتصاب الرصيف ـ مطلب زيادة خمسة وسبعين فى المائة ومن عادة الشركة انها تحاسب العملة فى أجورهم اليومية كل نصف شهر لتسلمها لهم ، فاجابهم مدير الشركة على طلبهم هذا يوم ٢٨ أوت انه غير ممكن وانما يعدهم بزيادة ١،٥٠ في اليوم للجميع ويعتبر لهم هذه الزيادة من يوم تقديمهم

للمطلب أي منذ ثلاثة عشر يوما ، وهو يعتبر اجابته على مطلب العملة بهذه الصورة تحريا من تفشي الاعتصاب الذي ظهر بالرصيف وبمعمل الآجر في منزل جميل ، لكن عملة الشركة لم يرضهم جواب المدير فصبروا الى موعد قبض الاجور يوم ٤ سبتامبر فاعلنوا الاعتصاب وتركوا الشغل واقفا وعددهم الاعتيادي ١٩٤ عاملاً وحدث قبل يوم ١١ سبتامبر ان افراداً من الايطاليين اشتغلوا بعمل الشركة فذهب اليهم نحو ٣٠٠ عامل من عملة الشركة وغيرهم ووقعت مضاربة قبض فيها على احد المعتصبين فجاء معه جمهورهم الى الكوميسارية وقالوا اما ان نسجن جميعا او يطلق صاحبنا وكان الكوميسار م. كزاتيسي عاقلا فهدأهم بقوله : ان صاحبكم لا يسجن وانما آخذ عنه تقريرا ويذهب وكذلك كان الامر ولم يقع شيء بعد ذلك .

عملة جبل خروبه

يشتغل هؤلاء العملة باعمال زراعية بجبل خروبه كالتنقيه والحصاد وأحيانا بالمطار القائم بها وعملهم لا ينتظم طول السنة بل يختلف اليهم حينا بعد حين ، ولذلك لم يشتغل به عملة من أهل بنزرت وضواحيها وانما ياتي اليه النازحون من الجهات البعيدة يطلبون الشغل حيث وجدوه ، وهم يشتغلون ١٠ ساعات فى اليوم بأجرة من ٥ الى ٨ فرنكات فقدموا مطلب الزيادة فى أجورهم بنسبة غلاء المعاش الى مخدوميهم فلم يسمعهم أحد فاعلنوا الاعتصاب يوم ٦ سبتامبر وعددهم ٨٧ سبعة وثمانون عاملا

عملة عربات النقل
(بسيدي احمد)

سيدي احمد بلدة من احواز بنزرت وفيها عملة يشتغلون بالنقل على عربات

لمستخدميهم فيها فيرفعون الحجارة ونحوها ما بين سيدي احمد وبنزرت وما قاربهما من الجهات ، وعملهم ١٠ ساعات فى اليوم باجرة ٦ فرنكات فى اليوم فقدموا مطلب عشر فرنكات فى اليوم وثمان ساعات ولا احد أجابهم فاعلنوا الاعتصاب لكن اعتصابهم لم يكن فى يوم واحد بل اعتصبوا افرادا بعد افراد لتشتتهم اول مرة في الرأي وذلك من اوائل سبتامبر وعددهم ٦٠ عاملا

***

هذه هي الهيآت المعتصبة في بنزوت وضواحيها واغلب هؤلاء العملة يعرفون بعضهم بعضا لتقارب أمكنة اشغالهم واتحادهم في البلد أو تقاربهم فالطريق يجمعهم والمقاهي تضمهم في راحة المساء وسهرات الليل فاقل حركة تكون في طائفة منهم يفضون بها الى بعضهم في وقتها ، وذلك ما يجعل تاثيرهم على بعضهم قويا ولا يصعب بعد هذا أن نرى توالي اعتصاباتهم اثر بعضها ، على ان اتفاق آجريهم بالصدفة أو القصد على اجابتهم بالسكوت عن اجابتهم ـ عدا شركة هيرسان ـ يعد اكبر مؤثر في سرعة توالي حركة الاعتصاب حتى شملت في النهاية خمسمائة واربعة وستين عاملا

ان لكل طائفة من هؤلاء المعتصبين افرادا منها منتخبين لتسيير حركة الاعتصاب والدخول في مفاوضة الآجرين متى امكن لحل المشكل بصورة مرضية وهذه اسماء المنتخبين المفوضين من عملة الرصيف وهم السادة : الميزوني ، محمد البكوش ، الجيلاني السعدي

اما عملة معمل الآجر ، و « شركة هيرسان » ، وجبل خروبة ، وعربات النقل فانهم في كل مناسبة يعينون افراداً منهم على التناوب

وقد كان على راس هذه الهيآت العاملة الشاب النشيط السيد محمد الحميري من اهل بنزوت بصفة كاتب عام لهم يساعدهم على تنظيم شؤونهم ويعينهم

على السير نحو مطالبهم بثبات وتعقل والى جانبه بانتخاب العملة ايضا ساعده الاقوى بل وكنه القويم السيد الطاهر بن سالم ذلك الشاب المخلص الذي ظهرت بطولته في اعتصاب حمام الانف حيث كان قائده الاكبر كما سياتي في حينه ، وقد كان لهذين الشابين تاثير عظيم اذاك على عموم عملة بنزرت وضواحيها لاعتقادهم في اخلاصهما وصدق غيرتهما وحسن درايتهما بالشؤون فضبطت اسماء كل المعتصبين وحالتهم الشخصية فى دفتر خاص مع الهيآت المنتخبة منهم وخصص دفتر آخر لضبط الاعانات الواردة ونظمت مسالة توزيع الاعانات حسب الحاجة ، وفى كل ايام الاعتصاب يجتمع العملة بقاعة الشغل هناك فى اي ساعة شاؤوا من الليل والنهار فيخطب فيهم السيد محمد الحميري والسيد الطاهر بن سالم حيث يبينان لهم حق الاعتصاب والثبات فى مطالبهم وملازمة الهدو حتى لا ترتبك الحالة فيجد اعداء الاعتصاب من ذلك منفذا لمقاومتنا بالعنف وحل اعتصابنا بالقوة فان الحكومة وان تظاهرت اليوم بالحياد فما هي الا الخادم الامين لرؤوس الاموال ، فكانوا يجيبون على هذه النصائح بالهتاف والتصفيق الحاد ويقوم الكثير منهم يخطب في بيان الحوادث اليومية وأوجه فهمها ، وحثهم على مداومة العزم والثبات في مطالبهم ، وبسط الحديث عن معيشتهم المتعسرة وما يلاقونه من ارتفاع الاسعار وطفافة الاجور التي يتقاضونها عن جهودهم الثقيلة .

لم يبق هؤلاء المعتصبون كاول يوم منقطعين عن العاصمة فقد جاء السيدين[1] محمد الحميري والطاهر بن سالم الى تونس ووقعت المفاهمة مع النخبة المفكرة التي ساعدت اعتصاب الرصيف بالعاصمة وقرروا وجوب المساعدة بعد الاعانة المالية للمعتصبين ما داموا لم يتفاهموا مع آجريهم وتفقد رجال لهم من العاصمة حينا فحينا تقوية لهم ودفاعا عنهم اذ يهضم جانبهم ، وفملا

فقد كان يتردد اليهم على التوالي السادة المختار العياري واحمد توفيق المدني واحمد بن ميلاد مع من يرافقهم في الاكثر من العاصمة فيجتمعون بهم في النادي فيخطبون فيهم بالنصائح المفيدة وتحذيرهم من الوقوع في دسائس اعداء الاعتصاب . اما السيد محمد علي فقد كان القوة العاملة في العاصمة لجمع المساعدات الممكنة باعانة رفقاء له نشيطين ومخلصين وقد كان يتفاهم مع الاعضاء الذين يذهبون من تونس الى بنزرت على البرنامج الذي يسيرون عليه اوقات اجتماعهم بالعملة هناك ، وقد زارهم م . دوريل كاتب اتحاد النقابات وبعض من بطانته فعقدوا اجتماعا حافلا بمرسح « باتي » حضره جمهور عظيم من العملة وذلك صبيحة يوم ٢٤ اوت ١٩٢٤ من الساعة العاشرة الى الزوال فقام م . دوريل خطيبا فيهم مبينا فوائد الانخراط في النقابات التي توحد صفوف العملة ضد المتمولين الذين لا يريدون لهم غير الانقسام والخذلان وحقق لهم نفي الميز بين العملة باجناسهم واديانهم اذ أن مستعبديهم من رؤوس الاموال لا يعتبرون هذه الفوارق في استعبادهم وارضاخهم لسلطانهم فوجب ان يكونوا يداً واحدة عليهم ، وتلك هي الوسيلة الوحيدة لجبر المتمولين على احترامهم والاعتراف بحقهم في الحياة ، وقد قام بعده السيد احمد بن ميلاد وخطيبان ايطاليان من الاتحادية الفرنسية فضربوا على هذه النغمة اللذيذة التي برع أنصار الاتحادية في صوغها ، واخيراً حرضوهم على الهدو واذاك لم يكن ثمت خلاف ظاهر للعموم مع م . دوريل واشياع اتحاديته في تاسيس النقابات التونسية طبق القاعدة الترابية التي بني عليها النظام النقابي في العالم أجمع كما نبينه فيما بعد ، ولذلك كان لم . دوريل الامل القوي في ان خطبه لا تضيع سدى بل ستدفع اولئك العملة الى الانخراط في الاتحادية المتزعم فيها فبذل من هذه الجهة جهداً نشيطاً أفاد

المتصبين واعتنت جريدة « تونس الاشتراكية » بحركتهم اعتناءاً مختلفا . وهذا ما يجب على رجال المشاريع في الدعوة اليها .

لقد استمرت هذه الحالة دون وقوع مفاهمة مع العملة والآجرين لان الاخيرين اشترطوا الرجوع للشغل قبل المفاهمة في الزيادة ولم يقبل ذلك منهم العملة ، وحدث ذات يوم بمنزل جيل ان السيد محمد الحميري أراد أن يتفاهم مع م . جاكوب صاحب معمل الآجر عساه يصل معه لحل مرضي فيما يخص عملته فاجابه هذا بقوله : « انني لا اقبل تدخل احد بيني وبين عبيدي » . واخيرا قفل ابواب معمله وذهب الى فرنسا آملا ان عملته سيضطرهم الاحتياج اليه بعد قليل .

لكنه بعد ذلك اخذ الجو يصفو ومال الآجرون نحو المفاهمة مع العملة وان لم يتضح ذلك بصورة معقولة وهنا كان قدوم م . كمبانا مدير المحافظة الى بنزرت يوم ٩ سبتامبر فكان قدومه اليها مبدءاً لماساة أسيفة وحوادث أليمة اعتقد م . كمبانا مدير المحافظة انه نجح في انهاء اعتصاب الرصيف بتونس وان ذلك كان بالتهديد والعنف الذي استعمله معهم حتى احنى رؤوسهم اليه فزاده ذلك اعجابا بنفسه وبسلوكه الناجح فقدم الى بنزرت بهذه النفسية التي يسميها الناس سياسة ، واول عمل له يوم ١٠ سبتامبر ان دعا اليه السيد محمد الحميري واخذ يهدده ويريه معاني السلطة في شخصه وألزمه ان يجبر العملة على حل اعتصابهم بما له فيهم من الحرمة ونفوذ الكلمة ، فاجابه الحميري : « انني لا أملك نفوذا على العملة استطيع به ردهم الى الشغل وانما جاءوا بي لاعينهم واكتب لهم ما يحتاجون من الشؤون وهم ينقدونني على ذلك ثلاثمائة فرنك في الشهر » فقال له مدير المحافظة : « اذا كنت كما تقول وغير نافذ الكلمة فيهم فانا اعطيك الثلاثمائة فرنك واضمن لك ان شئت دوامها وتركب

الليلة الى تونس في جوف الظلام لاتولى بنفسي المفاهمة معهم في غيابك ولا بد لك من هذا الامر ، فاطرق الحميري ملياً وخرج وكان ذلك عشية ولكنه لم يرجع حسب امر مدير المحافظة الا يوم ١١ سبتامبر باستدعاء ثانٍ بصفة جبر ، وفي يوم عشرة وقع بالمراقبة المدنية اجتماع نواب العملة بمدير المحافظة للمفاهمة في الاجور ولكنه لم ينجح لتفاهة الزيادة .

يوم ١١ سبتامبر

— صبحة يوم ١١ سبتامبر ركب م . كمبانا سيارته نحو الساعة السابعة مصحوبا باعوانه الى منزل جيل فتلقاه شيخ المكان فسأله المدير عن معتصي معمل الآجر فقال له هم امامك في هذه المقهى فخاطبهم اذا شئت ، فدعاهم مدير المحافظة فالتفوا حوله وجعل يسألهم عن اسباب اعتصابهم ثم قال لهم انه بمنزلة ابيهم ولا يريد لهم الا الخير ولذا يلزم ان يستانفوا الشغل وهو يعدهم بوجود زيادة في اجورهم مرضية ، واخيرا اجابوه انهم متضامنون مع عملة بنزرت وان لهم نوابا للمفاهمة فيما يخص جميع المعتصبين فاذا شاء المدير ان يتفاهم معهم فذلك الرأي الاصوب ، فقال المدير ومن هم هؤلاء النواب ، فقالوا له اذهب الى السيد محمد الحميري فانه رئيس هيأتهم وهو يتفاهم معكم في المسألة فلم يسع المدير الا ان يرجع من حيث أتى

في صبيحة هذا اليوم بعينه كان عونان من البوليس السري يبحثان عن السيد محمد الحميري بدعوة من المدير ، ولما لم يجداه ذهبا الى دكان السيد الطاهر بن سالم يسألان عنه ويلحان في ذلك ، فقال لهم انه لم يره هذا الصباح ولا موجب للالحاح ، وبينما هم كذلك اذ اقبل السيد محمد الحميري آتياً من

نادي العملة اذ كان يكتب فيه بعض شؤون منفرداً . فلما رآه العونان اسرعا اليه واعلماه بدعوة المحافظة اليه فقال لهم وهل يلزم الآن ومعكم ايضا ؟ فقالوا نعم ، فقال وان امتنعت فماذا ؟ فقالوا نجبرك يقتضى اذن لنا في ذلك ، فطاوعهم على المسير ، واذ وصل بجانب مكتب محامي هناك انسل من بينهما اليه فوقف العونان امام الباب ودخل السيد محمد الحميري الى ذلك المحامي فاعلمه بامر العونين وقال له ان الحكومة لابد انها تريد ان تستعمل معي العنف

ر
وص
الاعاة
وهذ
فهو
هذ



من اليمين الى اليسار السادة : احمد المدني . محمد الحميري . الطاهر بن سالم

ظلما بغير حق فاريد منك الحضور معي بصفتك محامي للتسجيل على ما عسى ان يرتكبوه نحوي من الجور ، فوعده المحامي ان ياتي في اثره الى الكوميسارية حيث كان اذاك يشتغل بتنجيز بعض اعمال فخرج من عنده ومحبه العونان الى الكوميسارية وكان ذلك نحو الساعة التاسعة وقد ازدحم على الكوميسارية جمهور من العملة اذ رأوا كاتبهم بها ، وكان اشيع منذ حلول مدير المحافظة ببنزوت انه جاء لنفي الحميري فشوش ذلك افكار العملة وتأكد عندهم اذ رأوا كاتبهم الحميري داخلا للكوميسارية محبة الاعوان صدق الاشاعة فجعلوا يهرعون الى الكوميسارية حتى امتلا بهم الطريق امامها واثر ذلك جاء المحامي م . سيرو حسب وعده واحتج على مدير المحافظة في ايقاف الحميري وتشويش البلاد بهذه الصورة بلا موجب ، وقال ان الحميري معروف وذو وجاهة ونحن محاموا البلد نضمن فيه ، غير ان ذلك لم يؤثر شيئا على المدير .

وكان كوميسار بنزوت اذاك هو م . كزاتيسي فكلفه مدير المحافظة بكتابة البحث فكتب استنطاق الحميري وكان هذا الكوميسار يعتبر للحميري مقامه وسمعته في البلد فهو يحترمه ويقدر جسارته وتعلق العملة به ، فاخذ يساله عن اسباب الاعتصاب ومن هم الذين يسيرونه وما هي وظيفته فيه وكيف يقع الانخراط من العملة في النقابة ومسالة الاعانات التي تجمع للمعتصبين لكن السيد محمد الحميري أبى ان يمضي على التقرير بعد قراءته ولبث هناك دون أن يمكن من الخروج .

وفي نحو الساعة العاشرة قدم السيد الطاهر بن سالم الى المحافظة مصحوبا بعونين فزاد اهتمام العملة وتجمهرهم امام الكوميسارية فصعد الى الطاق الاول حيث دخل مكتباً هناك وجد به الكوميسار م . كزاتيسي والى جانبه قاضي الصلح ببنزوت فقال له الكوميسار : انت السيد الطاهر بن سالم فقال

نعم ، فاخـذ يساله عن وظيفته بين هؤلاء العملة المتعصبين فقال له : انني مستشار العملة في بعض شؤونهم وليس لي وظيفة عندهم أو أني زعيمهم وانما اساعدهم فيما يحتاجون فيه الي بقدر جهدي حيث اني منتقب من قـديم في نقابة السراجين وها هي بطاقة انخراطي ، فقال الكوميسار ان السيد الحيري يقول انك مكلف بمسالة الاعانات التي تجمعها للمتعصبين فقال له لم أكن كما ذكرت واذا قال ذلك الحيري فقد أخطأ فقال الكوميسار ان الحـيري هنـا فهل تريد ان اقابلك به لتحرير هذه النقطة ؟ فقال لا بأس ، فلما حضر حيّ رفيقه وبدأ الكوميسار يسرد تقرير بحث الحيري والحيري يشير له برأسه حتى وصل مسالة الاعانات وعندها بادر الطاهر بن سالم فقال للكوميسار . ان لفظ الاعانة باللسان الفرنسي يشبه لفظ الانخراط فلعـل الحـيري يعني ذلك وهذا صحيح ، فقال الكوميسار : ان كلاما كهذا لا يقال بالنسبة الى الحيري فهو يحسن اللسان الفرنسي أحسن منك ومني أيضا ، وكان الحـيري يسمع هذا الحديث فابتدر الكوميسار بقوله : ان ما قاله الطاهر بن سالم صحيح فانا لا احسن اللسان الفرنسي كما تقول ولم اقل انه يجمع الاعانات وانما ذلك خطأ في التقرير ، فقـال له الكوميسار : انني أصلح العبـارة كما قلت وبعد ذلك تمضي في تقريرك ، فقال الحيري مالك تعيـد علي مرات أمر الامضاء على التقرير ومن هم الـذين سامضي لهم هذا التقرير ؟ وانا لا اعتقد وجـود انصاف في هـذه الحكومة التي لا اعترف بها وانمـا أرى كمشة من الظلمـة اجتمعت لقهر الضعيف واستثماره . (١)

حكى الي السيد الطاهر بن سالم انه بينما كانوا مع الكوميسار في المباحثة

---

(١) أخذنا هذه الجملة بالضبط من تقرير السيد الطاهر بن سالم الذي كان واقفا أمامه وشاهد حوادث اليوم ووضعها في تقريره لمركز لجنة النقابة بالعاصمة

اذ سمعت ضجة في الخارج أمام الكوميسارية حيث لج اعوان البوليس في ابعاد الناس بالعنف حين جاء مدير المحافظة في سيارته من المراقبة المدنية فانكر بشدة تجمهر الناس هناك وعنف الاعوان على ذلك ، فما كانت الا لحظة حتى ارتمى السيد محمد الحميري على الروشن ونحن في الطاق الاول وفتحه وأطل منه على الشارع حيث الجموع متجمهرة هناك حتى ظننت أنه سيرمي بنفسه من الروشن وقد ضل الكوميسار مبهوتا شاخصا اليه ، ولكنه صاح بصوت عال وهو يضرب بيده على صدره حاسر الرأس : احتج كل الاحتجاج على اعوان الحكومة وبكل قواي ضد العنف الذي يرتكبونه مع رجالي »

وقد كانت هذه الجملة مؤثرة عند من سمعها من الجمهور والاعوان فوقفت اثرها حركتهم في مزاحمة الجمهور وابعادهم بالعنف من أمام الكوميساوية وأثر ذلك على المتجمهرين فزادهم قوة وثباتا في تعلقهم بكاتبهم الحميري ، فلم يفلح اذاك مدير المحافظة الذي كان ينوي أن يذهب بالحميري في سيارته بعد ابعاد الناس من طريقه ، واذ جاء الزوال واعياه الصبر وضاق عنه الوقت أمر باحضار سيارته في وسط الجموع فخرج عند ذاك السيد محمد الحميري كاتبهم مصحوبا بالاعوان وقد أركبوه السيارة مع مدير المحافظة الذي اذن بالمسير فتحققت اذاك عندهم اشاعة نفي الحميري فما تحرك عجلات السيارة الا وهي تجري في الهواء بين ايدي العملة الذين صمموا ان يدافعوا على كاتبهم الى النهاية لاعتقادهم انه مخلص وبريء من كل مسؤولية تنسب اليه بصفة جريمة واذ راى ذلك المدير قال للسائق قف مكانك ، واخذه في ذلك الحين شيء من ضيق التنفس وقد ارتجت البلاد في هذه اللحظة وأخذ عدد المتجمهرين يزداد ازديادا عظيما فنزل مدير المحافظة والحميري الى الكوميساوية وما وسع المدير الا ان يقابل عمل المتعصبين بشيء من البرودة وقد احتاط في

ذلك وأدرك اذاك الحكمة وخشي العاقبة لو انه قابلهم بالعنف والشدة ، لكنه اصر على ايقاف كاتبهم رغماً من الحاحهم الشديد ورغما من انه لم يكن مجرما وانما كان رجلا مخلصا للعملة ومساعداً في احرج وقت لديهم على فصل قضيتهم بوجه مرضي في جو مملوء بالهدو ولم تؤثر عنه جملة قالها تعاكس هذا المعنى وانما انكر عليه مدير المحافظة تعلق كافة المعتصبين به وتفويضهم في انهاء قضيتهم بواسطته وهو لم يقبل لهم بثمن الغبن ويرضى لهم بما يمليه م . كمبانا فيجبرهم عليه ، فصمم على ابعاده وهو مفوض له في ذلك من الحكومة وخطر بباله انه يفصل مشكلة الاعتصاب بنفسه اذ يصبح الحميرى بعيداً عن التراب !

وقد لاحظ الكوميسار م . كزاتيسي لمدير المحافظة انه لم يظهر موجب من البحث لايقاف الطاهر بن سالم فصادقه المدير على ذلك وفي نحو الساعة الثالثة بعد الزوال خلى الكوميسار سبيل السيد الطاهر بن سالم فلما رآه مدير المحافظة وكان واقفا تحت القوس الخارجي للكوميسارية أمام الجمهور اسرع اليه واعترضه في الطريق وقد ظنه الحميري فقال له الى اين تذهب أو لست الحميري ؟ ـ فقال له لا ولكني بن سالم ، فقال له المدير : أهكذا تريد ؟ أيرضيك تجمهر الناس بهذه الصورة ؟ ـ فقال له شيء واحد يمكنك ان تفرق به المتجمهرين حتى لا يبقى منهم أحد ، فقال المدير وما هو هذا الشيء ؟ ـ فقال أن تطلق كاتبهم الحميري وعند ذاك يمكن فصل المشكل بسهولة فقال المدير واذا لم أطلقه ووضعته في السجن ماذا يكون ؟ ـ هناك لا ادري ماذا تكون العاقبة ، واخذ في المسير نحو الجمهور الذي على يسار الكوميسارية فناداه المدير أن عرج الى جهة اليمين فمال اليها ، واذ رآه الجمهور امامهم هتفوا له وصفقوا تصفيقا حاداً ، وانسل جماعة منهم واعترضوه في طريقه

خيامهم ونصح لهم بالرجوع الى مكانهم امام الكوميساوية حيث يتأكد أن مدير المحافظة صمم ان لا يطلق الحيري

ذهب السيد الطاهر بن سالم اذاك الى جهة محطة الارتال فاعترضه اعوان البوليس ونصحوا له ان لا يحاول السفر باي وسيلة كانت حيث لا يتيسر ذلك بسبب اعطاء الاذن في منع السفر حتى الى دور السيارات الكهربائية ، وكذلك كان جوابها له اذ سألها اكتراء سيارة لتونس ولكنه بعد المحاولة وبذل الجهد امكنه اكتراء سيارة لايطالي يجهزها في جهة الرصيف القديم حيث سبقها الى ما وراء « البطاح » واذ وصلت اليه ركب وساوت به بسرعة البرق الى تونس حيث حكى الحالة التي ترك عليها بنزوت واستقر الراي ان يذهب السيد احمد بن ميلاد مع السيد الطاهر بن سالم الى بنزوت لمشاهدة الحالة ، وتسجيل ما عسى ان يرتكب اعوان الحكومة من الاعتداآت والعنف ، وبذل ما يمكن من العمل المفيد لتخفيف الحالة أو تحسينها

لقد بقي التدافع بين الاعوان والجمهور كامل عشية يوم ١١ سبتامبر وفي الساعة الخامسة تقريبا بعد الزوال انزلت الى جهة الكوميسارية طائفة من العساكر المشاة السمر للمشاركة في المحافظة على الراحة كما يقولون ، اذ رأى حضرة المدير ان اعوانه لا تكفي لدفع الناس من امام الكوميساوية وتشتيتهم واعطى الاذن بواسطة خليفة البلد في قفل دكاكين البلاد ومن كان من الناس لا يعرف الحادثة فقد جاء يسأل عنها ليعرف سبب قفل دكانه فعظم التجمهر ، ولذلك اخذ الاعوان في القبض على افراد من الجمهور الى داخل الكوميساوية بدعوى المقاومة الى ان بلغ عدد الداخلين نحو السبعة والعشرين ومن دخل لم يخرج فتشوش الناس وفهموا ان الذين ذهبوا بهم قد سجنوا هناك فنموا الاعوان من زيادة ادخال افراد منهم الى الكوميسارية ووقع العنف والصلابة

من الجانبين الى ان صارت مضاربة فعمد افراد من صبيان المدينة ومن حذا حذوهم الى الحجارة ، وجعلوا يرمون بها من امامهم من الاعوان ، وقد حكى غير واحد ان مدير المحافظة اصيب منها بحجرين في صدره وفخذه وقد اخذ اذاك ظلام الغروب يستر المدينة بجلبابه الادهم ووقع الاذن باطفاء مصابيحها فكانت ليلة دامسة لا ترى فيها غير الاشباح المتلملمة ولا يتعارف الناس الا باصواتهم وهم ثابتون في مراكزهم ثبوت الرواسي رغم كل القوات التي صدمتهم ، ينتظرون اطلاق كاتبهم حيث لا ذنب له ، او يسجنوا جميعا .

نحو الساعة العاشرة بعد الزوال قدمت لبنزرت من تونس سيارة تشق جوف الظلام حاملة السيدين الطاهر بن سالم واحمد بن ميلاد فما وصلا حتى اورتقى الاخير على الاكتاف وصاح في الناس صائح : هذا السيد احمد بن ميلاد جاءكم من تونس فاستمعوا له وقد كان ظنه الناس لاول مرة الحميري لشدة الظلام فخطب خطابا هذا معناه بالضبط : « اذا ضربوكم فتحملوا ولا تضربوا واتركوا لاعوان الحكومة مسؤولية العنف ، ولكن ايها الرفقاء لا تتزحزحوا عن مكانكم قبل ان يطلقوا اليكم رفيقكم الحميري » .

وقد قام بعده م . روبير باك الشيوعي الفرنسي فاعلن حق الاعتصاب ، وانتقد الحكومة في تحيزها للشركات ومما قال : « ان الحكومة قد اخصتكم فانتم اقل من النساء شجاعة والا فكيف امكنها ان تحتقركم اليوم بهذه الصورة » ولكنه لم يتم كلامه فقد فوجئ باطلاق نار البنادق ، وعندها مال الناس عن جهة الكوميسارية وصاح صائح : الحجر الحجر ، فصاح السيد احمد بن ميلاد ومن معه : لا تفعلوا لا تفعلوا ، وعندها صاح بعض الاولاد : ان الضرب بالبارود لا بالرصاص ، فرجع الناس الى اماكنهم ، ولم يؤثر في هذه الحالة الا ضرب الرصاص الذي نفذ في لحوم الناس ففروا من ذلك

وتبعهم العساكر يصرخون ويضربون باعقاب البنادق ولا يرى شيء في ذلك الظلام ولم يبق الا طوائف الجيش والاعوان موزعة في جهات المدينة كامل الليل — وقد استمرت هذه الحراسة الى ثلاثة ايام من بعد بهذه الصورة — وفي نحو الساعة الثالثة بعد نصف الليل امكن لمدير المحافظة ان يرجع الى تونس في سيارته مصحوبا بالسيد محمد الحميري الذي اركب البحر من الغد الى مرسيليا ليمكث فيها شهرا كما شاع ذلك من افراد الحكومة حيث يتم الاعتصاب وتنفصل القضية في مغيبه .

اما عاقبة الصرخ يوم ١١ سبتامبر فقد جرح منه عدد كثير واكثر الجرحى اختفى يعالج نفسه في منزله خوفا من تحميله اي مسؤولية تنشأ عن ذلك اليوم ، ونسي انه مظلوم لانه رأى ايقاف مثله بالسجن ، اما الجرحى الذين امكن ضبطهم فهم اربعون جريحا مات منهم اثنان وهما السيد العربي ابن احمد الكومي رجل مسن عمره ٦٠ سنة وقد اصيب برضوض في جسده من الضرب باعقاب البنادق والسيد مبروك بن محمد الداهش الذي اشتهر في بنزرت باسم يوسف الماطري . ولم يمكن اجراء الفحص الطبي على كامل الجرحى اذ لم يكن للعملة المال الكافي في ذلك الحين وانما اجري الفحص على سبعة ، منهم القتيلان بواسطة الدكتور موسون طبيب بنزرت المشهود

ان الصرخ قد وقع بدون نزاع والجرحى ومن مات منهم أمر مسلم كذلك وليس ممكنا ان يكون ذلك من رجوم السماء لاهل الارض ، وسواء كان من العساكر او اعوان البوليس او هما معا — كما هو حديث الحاضرين وقت الصرخ من عموم الاجناس والاديان حسبما سمعنا منهم وتلقى ذلك اصحاب الصحف عنهم — فان الحكومة هي التي تتحمل مسؤولية هذا الصرخ في شخص ممثلها ، على ان كبار ضباط حامية بنزرت والوالي العسكري

والاميرال قد شهدوا بما يبرئ عساكرهم المأمورين لهم من تبعة الصرخ ،
وقد قيل لنا من جمهور الناس ان مدير المحافظة قال لاعوانه : قولوا للمتجمهرين
اذا لم يتفرقوا بعد خمس دقائق فاني آذن باطلاق العيارات عليهم » وعندها
اجاب المتظاهرون : « اننا نتفرق حالا متى سلم الينا رفقاءنا جميعا »

لكنه بمجرد مرور خمس دقائق سمعوا كلمة « النار » وبعدها وقع
الصرخ بالبارود ثم اذ لم يؤثر ذلك بالرصاص . اما الموقوفون من العشية فقد
نقلوهم الى السجن المدني بتونس ليحاكموا فيها بدعوى الاعتداء على الاعوان
واكثرهم من الجرحى ! وقد قبل بالمحاماة عنهم الاستاذ دوكيزير المحامي
ببنزرت واطلق كثيرا منهم ببذله مجهودا في ذلك يستحق عليه الثناء الحسن

وفي صبيحة يوم ١٢ سبتامبر الموالي ليوم الواقعة قدم من تونس الى
بنزرت م . دوهوق نائب المدعي العمومي بصحبة م . سيكر دي فونبرين
قاضي البحث بالمحكمة الفرنسية ليضعا تقريراً عدليا عن حوادث الامس
ويقبلا شهادات من حضر الواقعة وفي يوم ١٣ سبتامبر وقع ايقاف السيد
احمد بن ميلاد ببطاقة جلب من قاضي البحث ليحاكم بدعوى التحريش
على القتل وحمل الناس على العصيان بالقوة فى حادثة بنزرت وليس له من ذلك
شيء سوى خطابه الذي ذكرناه ، لكنه بعد ان لبث فى السجن نحو ثلاثة
اشهر خرج منه بمناسبة صدور العفو العام فى الجنح والجرائم السياسية التي
وقع ارتكابها قبل يوم ١٢ نوفمبر ١٩٢٤ - هو والموقوفون معه في حوادث بنزرت

وفي يوم ١٩ سبتامبر نشرت السفارة الفرنسية بلاغا في « الديبيش
تونزيان » نشرته « النهضة » فى اليوم الموالي وعلقت عليه ونص ذلك بالحرف :

نظراً لصورة الانفعال التي نشرتها بعض الصحف التونسية فيما يخص
حوادث يوم ١١ سبتامبر من الشهر الجاري ببنزرت تأكد الاتيان على

تدقيقات في هذا الشان بما صورته انه في كل اليوم ١١ وليلة ١٢ سبتامبر لم يكن للجنود التي شاركت في المحافظة على الراحة خرطوش وعليه فانه من المستحيل فى حقهم طلق عيارات نارية . لكن بداية من يوم ١٢ عند ما تحقق ان المتظاهرين لهم اسلحة نارية أمر الاميرال الحاكم البحري وقائد الحامية ببنزوت بان جميع الجنود البحرية والترايور وغيرها التي تشارك في المحافظة على الراحة تحمل باكوات من الخرطوش وانه وقع العمل بهذا الامر وسيستمر العمل بمقتضاه الى ان يرى حاكم بنزوت العسكري ان الوقت حان لرفعه ـ (تقرير)

النهضة

يزعم هذا البلاغ ان الجنود الحافظة للنظام ببنزوت اثناء المظاهرة يوم ١١ وليلة ١٢ من الجاري كانت بنادقهم فارغة من الكرتوش مع ان كل حاضر لتلك الواقعة المهولة سواء كان من سكان تلك المدينة على اختلاف عناصرهم وتباين اجناسهم او غيرهم من الوافدين عليها يحكى ان طلق البارود استمر ما يقرب من اربعة ادراج وان عدد الطلق كان كثيرا في حين ان المقبوض عليهم من الاهالي لم يجدوا عندهم سلاحا ناريا بل كان الجميع عزلاً من السلاح وعدد اعوان البوليس كان ضئيلاً بالنسبة لعدد الجنود بحيث لا يمكن ان يكون جميع ذلك الطلق الكثير صادراً منهم ، على ان الجرحى الذين كانت جروحهم من خلف قد اخرج الحكيم من تلك الجراحات الرصاص وسلمه هولاء الجرحى الى كوميساو البوليس فمن اين ذلك الرصاص يا ترى اذا كانت بنادق الجنود فارغة من الكرتوش ؟ فهل امطرت السماء رصاصاً على الاهالي خاصة ؟ ......

الدفاع عن ضحايا الواقعة!

اغلب المسؤولين عن الواقعة والموقوفين من اجلها هم من الجرحى الذين ضربوا بالرصاص أو باعقاب البنادق وقد ظهر للحكومة ان لا مسؤول غيرهم وقد أخذهم . كما انا كشاهد في الواقعــة حضر لا كموظف عامل أمر ، ولا يفهم من هذا الا أنه م . كما انا قد تصرف فى ذلك اليوم ما تصرف باذن الحكومة ورضائها فكان من اللازم جعل مسؤولين آخرين عن حادثة وقعت ولا يكونون غير اولئك المتصبين الذين اكرهوا مدير المحافظة بثباتهم على سلوك سياسة العنف معهم لفصل قضيتهم فى اقرب وقت ، ولقــد ناب عنهم امام المحكمة الفرنسية السيد حسن قلاتي فى بادئ الامر ثم أنابوا بحجج عدلية على يد العدول الرسميين السيدين احمد الصافي وصالح فرحات ليقوما بالنضال عنهم والمطالبة بحق الجرحى ومن مات منهم ، فبادرا بسرعة الى بنزرت حيث اجتمعا بمدير المحافظة الذي ما زال هناك ، واجتمعا أيضا بعموم المتصبين ورجعا اثر ذلك فوجها الى رئيس الوزارة الفرنسية اذاك م. هيريو برقية فى طلب السراح الوقتي للموقوفين نشرتها جريدة « الزهرة » في ١٥ سبتامبر ١٩٢٤ كما يأتي :

م . هيريو وزير الخارجية بباريس

بمناسبة أعتصابات بنزرت تدخل البوليس بصرامة فى الوقت الذي قرب فيه الوفاق بين المتصبين والشركات والقي القبض ظلما وبدون سبب على كاتب نقابة العملة بالرصيف فنشأ عن ذلك تضاوب وصرخ أعوان البوليس الرصاص على المتجمهرين فتسبب عن ذلك موت وجرح خطير لعدة اشخاص أبرياء ويوجد الان نحو الثلاثين مسجونا وبما ان سراح هؤلاء من شانه ان

يهدئ الافكار المنزعجة ويقع به اتقاء حوادث جديدة فنحن نطلب من فكرتكم الحرة ان تتدخلوا لاطلاق المسجونين حالاً ولتوصية ادارة البوليس بالاعتدال وتفضلوا بقبول عواطف احترامنا   احمد الصافي ، صالح فرحات

وكيلي المنكوبين

وفي يوم ١٦ منه اقتبلهما م . سان فيكتور المعتمد السفيري وبعد ان فاوضاه في شان موكليهم أجابهما على لسان رئيس الوزراء « ان مسالة الموقوفين بيد العدالة ولا يمكن انتزاعها او التدخل فيها ومن الآن تأمركم الحكومة ان تبادروا بارجاع حالة الهدو السابق اذ لا يمكن ان يكون للخلاف الا صبغة اقتصادية بحتة »

وكان فصل هذه المسالة بصدور أمر العفو العام الفرنسي فخرج الموقوفون جميعاً

الرجوع للمفاهمة

قدم يوم ٢٠ سبتامبر عامل بنزرت السيد سالم الصنادلي آتيا من فرنسا حيث كان يقضي ايام استراحته للتداوي بمياه فيشي وقد لبث شهرا ونصفا غائبا عن بنزرت فقدم اليها مبهوتا مما سمع عنها فقد تركها ساكنة يخيل لناظرها ان لا روح فيها ، وكان ينسب ذلك لحذقه ومهارته في الادارة ، وقد بقيت له بقية من أيام رخصته حذفها وجاء ليباشر وظيفته بنفسه اعتباراً للحوادث النازلة اذاك ، واول قسم اهتم به من المتعصبين هو عملة الرصيف فاستدعاهم اليه وخاطبهم في حل الاعتصاب وبذل جهده لفائدتهم من بعد وكان في نبرات صوته شيء من التعاظم الذي اعتاد استعماله من قبل ، فاجابه عملة الرصيف : « لا كلام في الرجوع للشغل حتى يرجع الحميري من منفاه ، ويطلق المساجين بدون حق ، وبعد ذلك فنحن لسنا وحدنا في

الاعتصاب حتى نقرر بانفسنا حله اذ ذلك يرجع الى اتفـاق عموم المتصبين المتضامنين ، فلما رأى العامل ذلك منهم خفف من لهجته وأخذ يعدهم ان الحميري لا يلبث أكثر من شهر في منفاه وهو يتعهد لهم بذلك ، واذ كان عملة الرصيف وحدهم هم الذين دعاهم اليه فقد خرجوا من عنده بلا نتيجة .

وبعد يومين دعا العامل اليه نوابا عن كافـة المتصبين والتف جمهودهم حول ادارة العمل ينتظر النتيجة وقد أبطأت المفاهمة عليهم ، وعند ذاك جاء م . فانتيرني الفرنسي العامل بعمل فيرفيل الدولي فدخل على العامل اثناء مفاهمته مع العملة وأراد الاحتجاج عليه اذا كان يحاول تهديد العملة أو جبرهم بنفوذه على الدخول كرها للشغل ، فاجابه العامل انه ما دعاهم اليه الا لمصلحتهم وهو من جهته يبذل جهده لتحصيلهم على اجور حسنة ويحقق لهم ان الحميري لا يمكث شهرا في منفاه الا وهو راجـع الى بنزرت ، واخيراً اجابه النواب الحاضرون انهم سيتفاهمون مع عموم المتصبين فيما قدمه اليهم السيد العامل والمأمول حصول النتيجة غير انه بعد عرض ما ذكر وقع الشك وخافوا ان يكون ذلك ذريعة لحل الاعتصاب مع ابقـاء الحميري في منفـاه وهم لاجله تحملوا دوام الاعتصاب الذي يضاعف احتياجهم أن يطول ، وهذا غاية منهم في الاخلاص لمن يصدق معهم ، وشرف خالد لهم في التاريخ .

ولما ابطأ المتصبون في اعلام العامل بالنتيجة التجأ الى دعوة كاتبهم بعد الحميري وهو السيد الطاهر بن سالم الذي كان كاتبا ثانيا مع الحـميري وعضدا أقوى مكملا لجسارته وشرف مواقفه برايه السديد واذ لم يات اليـه دعاه بواسطة اب الحميري السيد محمود ودخل معه الى العامل فرحب به وأظهر اللطف والبشاشة ثم اخذ يفاوضه في امر الاعتصاب الذي طال بدون فائدة وحقق له رجوع الحميري بانتهاء الاعتصاب وهـا هو والده يستحسن هـذا الراي

ويشكركم على ما اظهرتم من التضامن مع ابنه ويطلب منكم ان لا تزيدوا في ذلك ، وقد صادق والد الحميري على ما قال العامل فاجابه السيد الطاهر بن سالم : انه لا سلطة له على العملة حتى يامرهم او ينهاهم ولكنه يؤمل نجاح المسالة اذا أكد له العامل رجوع الحميري ، فاجابه العامل : بدون ان يتطرق لكم أدنى شك فى ذلك .

اتفاق عملة الرصيف

في يوم ٣٠ نوفامبر اذ قبل العملة جميعا بالمفاهمة في الاجور بناء على ما أكده العامل اجتمع ستة نواب عن العملة وعلى رأسهم السيد الطاهر بن سالم مع نواب شركة الرصيف وقرروا بينهم الاتفاق كتابة وأمضي من الجانبين وخلاصته :

١ — اعطاء كل عامل على الرصيف اجرة ١،٥٠ للساعة الواحدة . وتكون مدة الخدمة ثماني ساعات في اليوم

٢ — لكل عامل فوق البواخر اجرة قدرها ١،٧٥ للساعة الواحدة

٣ — يزاد لكل عامل ٥٠ في المائة في كل الاعياد الاسلامية : يومين فى عيد الاضحى ويومين في عيد الفطر ويوم المولد ويوم عاشوراء وايام الجمع من الاسبوع

٤ — الساعة الزائدة عن الثمانية تكون بحساب زيادة خمسين في المائة

وهكذا تم الوفاق بين المعتصبين والشركات في غيبة البوليس والجند ورجعت المياه الى مجاريها

اقوال الصحف المحلية

« النهضة » فى ٢١ سبتامبر ١٩٢٤

... واثر هذا الخطاب (أي خطاب احمد بن ميلاد) المحث على الهدو وعدم المقاومة امر المسيو كمبانا الجنود ورجال الشرطة بتفريق الجموع واستعمال الاسلحة وعندذلك صرخ الاوربيون الذين كانوا بالرواشن المطلة على الكميسارية بكلمة « كفوا لا تصرخوا » وبالرغم عن ذلك وقع الصرخ . وكل من حضر الواقعة سواء من الاهالي او الاجانب يحقق ان الصرخ وقع من الجند والشرطة غير ان الجند كان طلقه بالبارود خاصة . وهذه التصريحات التي تلقيناها من عدد وافر من الاهالي والاجانب تخالف ما تضمنه التقرير الرسمي المصدر بطالعة هذا الفصل .

... والخلاصة ان الحادثة تكونت من الاسباب الاتية : تداخل مدير المحافظة فى اعتصاب سلمي وايقاف كاتب العملة المعتصبين وكاتب نقابتهم محمد الحميري بدون موجب ومحاولة اخراجه من بنزرت بمحضر الجمهور وغلق المحلات العمومية والمخازن والدكاكين ببنزرت الامر الذي شوش الافكار واعطى الخلاف بسيط بين عملة واصحاب معامل صبغة غير صبغته ودليل ذلك ان الهدو رجع الى ما كان عليه مع استمرار الاعتصاب بمجرد مبارحة المسيو كمبانا بنزرت

« النهضه » فى ٢٧ سبتامبر ١٩٢٤

... اننا في اخر زمن الصيف واول فصل الخريف وقد ارتفع ثمن المائة كيلو من القمح الى ١٤٠ ف والمائة كيلو سميذ ١٩٠ . فاذا كانت هاته اثمان مواد المعاش الضرورية وهي على غاية من الارتفاع فكيف حال الفقراء امامها وما يلزمهم من الاجور اليومية لاقتناء ضرورياتهم منها بقطع النظر عن اجر المسكن وثمن الملبوس مع ايام البطالة للعامل سواء للراحة او المرض

اليس من العدالة توفير اجورهم امام هذا الغلو والارتفاع الذي لم نره ايام الحرب العالمية الكبرى ؟ انه من المتحتم المتعين الوساطة بين الشركات والعملة في ترفيع اجور الاخيرين واحداث الاشغال للبطالين دفعا للشرور الناتجة عن المجاعة

(تونس الاشتراكية) ١٢ سبتامبر

... نحتج بآخر شـدة ضد السلطة البنزرتيـة التي هي وحدها المسؤولة عن الماساة التي حدثت في بنزرت وذلك لانفعالها وطيشها الغريب ونوجه لرفقائنا المعتصبين ضحايا هذه الضربة القاسية من القوة عبارات انعطافنا وتألمنا ونحقق لهم ان تونس الاشتراكية واحبابها لا يقفون الا ان يحصلوا على حقوقهم .

(هي) ١٥ سبتامبر ٢٤١٩

... لم يحدث اى حادث يكدر الامن من ابتداء الاعتصاب والمباحثات بين نواب العملة وآجريهم تقع باستمرار ولم يكن لم. كمبانا وءيس البوليس العام الا ان يعمل شيئا واحدا هو المحافظة على الامن ولكن ليس له صفة تخوله التدخل في الخلاف

فهل يمكن ان يقال لنا باسم من وباي حق يتدخل ويدعي انه الذي يجبر العملة على الرجوع للشغـل ضد ارادتهم ويجب ان نعلم اذا كانت القوة العامة هي ديموقراطية تحت تصرف ارباب المعامل ضد العملة

... م . كمبانا هو الذي وضع النار في البارود وهو وحده الذي وضعها وهو الذي اثار الماساة التي مثلت ببنزرت .

(الديبش تونيزيان) ١٣ سبتامبر ١٩٢٤

بنزرت ١٢ سبتانبر (لمكاتبنا الخاص) قدم لهذا الطرف على اثر الحوادث الواقعة امس التاريخ م . دهوق نائب وكيل الحق العام و م . دي فونتبرين قاضي البحث لفتح بحث عدلي

وقد انتج بحث هذين الحاكمين ان الموت الذي وقع نتج عن داء السكت لا عن عنف كما وقع ادعاؤه

وقد وقع جرح اثنين من المتظاهرين والذي يظهر عليه منهما انه مصاب باكثر خطورة سائر الآن نحو المعافاة

اما حوادث اول امس فان الاوساط الاووبية والاهلية تعلق عليها شروحا وتعاليق كثيرة ولكنها مجمعة على لوم المحرشين الذين قد فتح

ضدهم الآن بحث عدلي وقد انقضى امس في هدو تام . وقد ظهر من عدد من المعتصبين الميل للرجـوع الى الخدمة بالشروط التي بذلت اليهم وذلك في اجتماع مناقشة وقع عقده بين المعتصبين

« البتي ماتان » فى ١٥ سبتامبر ١٩٢٤

لما انفصلت لحسن الحظ مسالة اعتصاب الرصيف بتونس كان من المناسب ان يقع حل الخلافات العديدة التي شجرت فى بنزرت بين العملة وآجريهم — تلك الخـلافات التى لم تكن في الاصل طائفية ولكنها بالاحري شجرت لاسباب عاطفية لان اعتصابات هذه البلدة لم تكن الا بنات التعاضد وهنـاك أيضا عناصر سياسية فى منشأ الاختلاف تجعل تحقيق الوفاق من الصعب العسير .

وعليه فمن المهم ان تعاد المذاكرات التي وقع ابتداؤها كمزين جو مستعد لان يصير غير قابل للتنفس

من اجل ذلك ذهب الى بنزرت م . كمبانا مدير المحافظة العـامة الذي كان تدخله بتونس نفسها ذا نتيجة باتة .

ويوم الاربعاء مساء — ليلة الحادثة — كان الرجوع للشغل منتظرا للغد . وعلى الساعة السادسة الى التاسعة اجتمع امام الكوميسادرية ٦٠٠ أو ٧٠٠ شخص وفى الامل وقوع عملية تفريق . وليس فى الامكان احسن مما كان

هدو — سكوت تام . ابن ميلاد حضر فى الحين ولا يعلم من الحوادث شيئا : لا رجوع للشغل — الاعتصاب الى النهاية — لا خوف — نستعمل القوة الى الموت الخ . وهنا امر م . كمبانا بتفريق الجماعة فوقع اللفيف على الحصى ووقع اطلاق عيار ناري من السطح واستمر الحصى واستمر الطلق من جهة المتظاهرين

الى هذا الحـد والسلطة مضربة عن المعارضة بما يستوجب الاعجاب ولكن ذلك لا يمكن ان يدوم فاطلق الاعوان فى الفضاء فسقط رجـل من المتظاهرين واستمرت الحجارة وفي الآخرة كان عدد الجرحى من الاعوان ومن الجند ٢٧ ووقع رفع اثنين من المتظاهرين

أ « تونزي فرانسيز » فى ٢٥ أوت ١٩٢٤

نشرت جريدة « الليبرتي » من مكاتبها المذكرة التالية :

النتـائج في بنزرت

ان عملة رصيف بنزرت اعتصبوا اتباعا لعملة رصيف تونس والباخرة « وجدة » الواصلة يوم الاحد الماضي لم تنزل شيئا من بضائعها الآتية من فرنسا ووجهت حاملة للبضائع الموجهة على طريق البريد وكذلك الرسائل البريدية .

ان عملة رصيف بنزرت يطلبون ان ترتفـع اجرتهـم الى ضعفي ما يتقاضون اليوم فانهم يطلبون ٢٤ فرنكا . وقد قال لنا احد آجريهم هاته الملاحظة التي لم يفهمها الـذين يتهمونهم باستثمار عرق الاجير : انا لا نرى مانعا من ان نعطي لعملتنا مثل ما يتقاضى عملـة رصيف فرنسا ولكن هل يعطونا نتائج مثل نتائج عملة فرنسا ! لقد طلبناهم في العمل (جملا) بالياطاش لانه لا يمكن الجهل بان الآجرين في رصيف فرنسا يدفعـون اجورا حسنة ولكنهم يطلبون نتائج تعد بالطن على كل أجير وعلى كل ساعة . وعملة بنزرت لا يسمعون من هذه الاذن فانهم يطلبون ٣ فرنكات في الساعة واذا قايسنا بين نتيجة عامل ببنزرت وعامل بمرسيليا نجد ان عمل الثاني يساوي عمـل الاول اربع مرات ويلزم لذلك ان ينال الثاني ١٢ فرنكا فى الساعة »

هي في ٢٦ أوت ١٩٢٤

ابان اعتصاب تونس واعتصاب بنزرت بجلاء ان الحكومة تسخر من مصالح المجتمع وبالفعل اذا لم تكن الحكومة ساخرة من مصالح المجتمـع لا تنزل البواخر بضائعها في عنابة مثلا او ترجع الى مرسيليا البضائع الموجهة الى تونس ، ان للحكومة ان تستدعي اليد العاملة العسكرية والسجنية واذا لم تفعل فليس ذلك الا لانها تسخر من الذين يدفعون لهـا الضرائب الذين يحتلون مركزا معتبرا في الدولة . هذا خلف قد دام بقدر الكفاية

الاجور والمعاش

عملة الرصيف الاهالي

قائمة فى المصاريف اليومية لعائلة متركبة من خمسة انفار (أب وأم و ٣ اولاد)

اسعار البضائع	وحدات	جويلية ١٩٢٣	اكتوبر ١٩٢٤
الخبز	الكيلو	١،١٠	١،٥٠
الدقيق	الكيلو	١،٢٥	٢،١٠
زيت الزيتون	الليترة	٤،٣٥	٦،٠٠
الصابون	الكيلو	٢،٣٠	٣،٣٠
القهوة	الكيلو	٨،٠٠	١٢،٠٠
السكر	الكيلو	٢،٨٥	٣،١٠
اللحم	الكيلو	٣،٠٠	٦،٥٠

الاستهلاك

	١٩٢٣	١٩٢٤
اما ٣ ك خبزا	٣،٣٠	٤،٥٠
او ٣ ك دقيقاً	٣،٧٥	٦،٣٠
معدل الخبز او الدقيق	٧،٠٥ : ٢ = ٣،٥٢	١٠،٨٠ : ٢ = ٥،٤٠
الزيت (نصف ليترة باليوم)	٢،١٥	٣،٠٠
الصابون (كيلو بالاسبوع)	٠،٣٣	٠،٥٠
القهوة (٧٥٠ غراما بالشهر)	٠،٢٠	٠،٣٠
السكر (٤ كيلو بالشهر)	٠،٣٨	٠،٤٠
اللحم (٥ كيلو بالشهر)	٠،٥٠	١،١٠
الكسوة	٢،٠٠	٣،٢٠
الدخان (باكو سواقر باليوم)	١،٠٠	١،٠٠
الكراء (٦٠٠ فرنكا بالعام)	٢،١٠	١،٦٥
المصاريف المختلفة	١،٢٥	١،٥٠
الجملة	١٣،٤٣	١٨،٠٥

ارتفاع اسعار المعاش بين عام ١٩٢٣ وعام ١٩٢٤ : ٢٩ في المائة

تونس في ٢٩ اكتوبر ١٩٢٤ — متفقد الشغل : س . سوقان

جرت العادة في عموم الاقطار ان تقدر أجور العملة باعتبار اسعار المعاش الذي يكفي لاعاشتهم يوما فيوما دون تقدير احتياط يلزم ادخاره لما يطرأ عليهم من عاديات الزمن ، ولنبين للقارئ أحقية تذمر العملة من طفافة الاجور وما نتج عن ذلك من الاعتصابات المتوالية وضعنا امامه صورة من التقدير الرسمي للمعاش واسعاره الصادر من تفقدية الشغل بتونس تحت عنوان : (الاجور والمعاش) وهو خال من اعتبار غير الماكل والملبس والمسكن فلا تقدير فيه لتعليم ابناء ولا لتحسين عيش او ترويح نفس ومع ذلك اذا قابلناه بما يتناوله العملة اجراً اليوم يظهر الفرق الكبير بين الامرين

اتساع الحركة النقابية

تاسيس النقابات

لقد كانت اعتصابات تونس وبنزرت مثاراً لانتباه عظيم الاثر في نفوس العملة التونسيين وخصوصا الذين عرفوا الفكرة النقابية حين انخرطوا في الاتحادية الفرنسية وانفصلوا بعد ذلك عنها بياس وتسليم في انفسهم اذ لم يروا لهم نجاحا ، فهرعوا جماعات جماعات الى السيد محمد علي الذي اشتهر بصدق الارادة ، والنشاط ، وبذله جهدا خارقا في الاعتصابين ، واختصاصه فى العلوم الاقتصادية يسالونه عن تاسيس النقابات وكيفية العمل لذلك ويحكون

له ما لاقوه من الاتحادية الفرنسية وانهم يريدون بمعونته تاسيس نقابات لاشغالهم فرأى السيد محمد علي ان اتساع الحركة الى هذه الدرجة لم يعد يسمح في القريب بالشروع فى العمل لجمعية التعاون الاقتصادي بل لزم تاخيرها حتى ينتظم العمال فى نقاباتهم وعندها يسهل نشرها بينهم اذ هي قد اسست لطبقتهم ، ومن ثم وقع الاهتمام بتشكيل هيآت لنقابات تونسية منتخبة بالصورة الآتية :

نقابة الرصيف بتونس

هي اول نقابة تونسية تشكلت اثر اعتصاب عملتها ، بعد ان فهموا الحاجات التي تدعوهم اليها وادركوا ان الحياة الفردية التي كانوا يعيشون فيها من قبل لهي اصل مصيبتهم وشقائهم ، وعلة استثمار الاجرين لهم بثمن بخس قهراً عنهم اذ كان اولئك منظمين في جمعيات وفيرة أموالها ، وهم كانوا فرادى لا قبل لهم بصد هجماتها وتحكّمها فيهم ، وذات الاعتصاب الاخير قد اعطى لجميعهم درسا فى الحاجات التي تنقصهم وكانت تتوفر لديهم بدون تعب لو ان لهم نقابة ، وقد شاهدوا من عموم الشعب ما ينشطهم على تاسيسها من اوائل ايام الاعتصاب فاندفعوا جلة واحدة أثره للانخراط في نقابتهم وفتحوا لها مكتبا صغيرا وجيلا وقد قام بترتيب اعماله وتنظيم حساباته السيد البشير الفالح بصفة كاتب رسمي للنقابة ويتعهده في عمله اعضاء النقابة والكاتب العام بها وهو اذاك السيد البشير بودمغه وايضا فان للجنة الدعاية النقابية التي على رأسها السيد محمد علي حق المراقبة والارشاد في اعمال النقابات بصفة عمومية حرصا على تسيير هذا المشروع الى النجاح بالتعاون والاشتراك فى العمل .

نقابات بنزرت واحوازها

اثر الاعتصاب في بنزرت وقع الشروع هناك في تاسيس نقابات تونسية برغبة العمال وسعيهم فانهم اقتنعوا بالتأمل أن ذلك أحسن عمل ينفعهم في تقدير مستقبل يبنونه على ادارة شؤنهم بانفسهم فتأسست نقابة الرصيف وانتخبت هيأة ادارتها كما ياتي :

السادة : محمد الميزوني ، ومحمد البكوش ، والجيلاني السعدي .
« أعضاء عاملين »

والسيدين عبد الرحمان الميلاني ومحمد الباردي « اعضاء مراقبين »

وايضا تاسست نقابة اصلاح المراسي وانتخبت هيأة ادارتها كما ياتى :
السادة مصطفى بن الخوجه وعلي بن راضيه وابراهيم الورغي « أعضاء عاملين »

السيدين ابراهيم العربي ومحمد الجميلي « اعضاء مراقبين »

وكذلك تاسست نقابة معمل السميد بسيدي شلوف احواز بنزرت ، وكان على رأسها السيد حميد مفرج بمساعدة السيد احمد براطلي ،

وتاسست نقابة سيدي عبد الله بفريفيل واعضاؤها السادة : محمد صالح بوعبد الله ومحمد بوصبيح وعلي السيفاوي ومحمد دغمان ،

وقد سار على هذا النحو عملة معمل الآجر بمنزل جميل وعملة سيدى احمد « دوائر بنزرت » وعملة معمل فك البواخر « دوائرا بنزرت أيضا » وبدون شك فان هـذه التاسيسات كانت على قدر الحال والممكن حين وجودها لتتدرج الى النمو والرقي فى تطبيق النظامات وترتيب الاعمال النقابية ،

اتحاد نقابات بنزرت

حبا في سرعة تمكين النظام النقابي وجمعا للوحدة تاسس على رأس هذه النقابات اتحاد يشملها في بنزرت مركز الدائرة وقد كان الكاتب الاول فيه لاول مرة هو السيد محمد الحميري لكنه لم يدم طويلا فقد أمكن تعويضه بالسيد الطاهر بن سالم الذي بذل جهدا حسنا فى افهام العمال روح الالفة بينهم ، يحببهم دائما فى الاجتماع ، وطرح الافكار والمسائل للنظر والمناقشة بينهم حتى يتعودون هذه الحياة التي تكسبهم عقلا مفكرا وروحا مؤتلفا يمكن الاتجاه بهما نحو غاية واحدة . ثم لما استدعته ظروف وحوادث اخرى رجع بها الى العاصمة فخلفه في ذلك السيد محمد صالح بوعبد الله الكاتب الاول لنقابة سيدي عبد الله بفيريفيل وهو شاب مخلص ونشيط

نقابة ماطر

لئن كان العمال في بلد ماطر كثيرين فالمفكرون فيهم قليل ، وقليل جدا ، وبما ان الاعمال فى نفس البلد متقاوبة ومعظمها فى حركة النقل فقد ارتأوا ان يؤسسوا نقابة عامة تنسب للبلد ويشترك جميعهم في ادارتها بدل ان يقسموا انفسهم الى نقابات جزئية يصعب نموها ، وهذا راي مفيد ما دام الحال يقتضيه وقد كان الكاتب العام لها هو السيد علي الشاوني صاحب الشعور الحي ، والمتالم بشعوره وقد جاء مرات الى العاصمة أثر الاعتصابات بقصد المفاهمة مع لجنة الدعاية النقابية اذاك في تاسيس نقابة ماطر ، والسيد علي الشاوني هو عامل يومه لا اكثر ولا اقل ، ومع ذلك فقد جاءنا مرات مملوءاً نشاطا وعزما ، واكد ان له اعضادا قوية من العمال في ماطر تساعده على العمل

واخص بالذكر منهم السادة سعد بن خليفه وعبد الله بن محجوبة وعلي البجاوى الذين صاروا اعضاء في النقابة من بعد وبذلوا جهدا في العمل النقابي يذكر لهم بالفخر ، ولا ننسى ذلك الرجل العظيم حقا والذي كان صدره ارحب من فضاء الدنيا وهو السيد جوده ميهوب فقد استطاع بسمعته ونفوذه أن يبذل جهدا عظيما ليس في تاسيس نقابة ماطر فقط بل وحتى في دائرة بنزرت أيام الاعتصابات وبعدها ، وهو وان كان له من اعماله السياسية الحزبية ما يلهيه فقد امكنه ان يمد الحركة النقابية فى ماطر وبنزرت بجهود معتبرة . خصوصا في مقاومة بعض المروجين لدعاوي خاصة أو مأجورين على بثها بين العمال الذين ما زالوا في بدء حياتهم النقابية

النقابات في العاصمة

بعد الرصيف

تأسست نقابة عملة شركة السكك الحديدية التونسية وكان الكاتب الاول لها السيد ابراهيم بن عمر الذي انتخب عضوا بالجامعة فيما بعد والسادة الشاذلي بن الكيلاني ومحمد بن التهامي والصادق الشافعي والساسي بن رزوقه اعضاء فى هيأة الادارة

وتاسست نقابة عملة سوق الحبوب وكان الكاتب الاول لها السيد محمد الغنوشي الذي انتخب عضوا في الجامعة فيما بعد ، وذهب فى نفيه ضحية عنها والسادة علي بن محمود ومحمد الصيد اعضاء لها

وكذلك انظمت لهذه النقابات نقابة عملة الشاشية بعد انفصالها عن الاتحادية الفرنسية بتونس وعلى رأسها كاتبها الاول السيد محمود الكبادي الذي انتخب عضواً فى الجامعة فيما بعد ، وذهب فى نفيه ضحية عنها والسادة

مصطفى المؤدب والهادي بن الخوجه وعلي الغربي ومصطفى قابجي أعضاء لها

وتأسست نقابة معامل الدقيق ، وكان الكاتب الاول لها السيد محمد بن التهامي وهو رجل غير مدرب ولكنه كان مخلصا وذا نفوذ في دائرة عمله بهذه المعامل والسادة خليفة بن علي ومحمد العكاوي اعضاء لها وهما من احسن الناس شعوراً واهتماما بالحركة ، ولقد بذلا مجهودا حسنا في الدعاية النقابية ،

وتاسست أيضا نقابة عملة نسج الحرير تلك الصناعة العربية القديمة وكان على راسها كاتبا أولاً السيد علي المناعي وهو رجل من اخلص الناس يعمل في الحركة بقدر ما يستطيع واحيانا فوق ما يستطيع يتالم بشعوره اكثر من المعتاد وبقدر ذلك يفرح اذا راى نجاحا في عمل من اعمال الحركة وكثيراً ما ينسى شؤون نفسه أو شؤون بيته « وهو ذو عيال » اذا كان يشارك في عمل ما في أي ساعة من ساعات الليل والنهار ، فهو من الرجال الذين يذكرون بكامل الفخر والشرف ومعه اعضاء انتخبوا في هذه النقابة وهم السادة : حميده العسلي وحميده السطنبولي فبذلا معه جهدا معتبرا في الدعاية

وكذلك انظمت نقابة عملة الترامواي بتونس الى النقابات التونسية بعد انفصالها عن الاتحاد بجمعيات الشغل الفرنسية اثر اجتماع عقد للنظر في شؤون نقابتهم ، وقد انتخبوا كاتبا اولا السيد الطاهر عجم وهو شاب نشيط العقل صادق الروح يعمل في الحركة بجميع قواه لولا ان شغله اليومي لا يترك له من الوقت ما يتمنى ، والى جانبه السيد محمد الجويني الذي كان اكبر عضد له في هيأة النقابة

وتأسست نقابة عملة مناسج الحرير المكانيكية وانتخب كاتبا عاما لها السيد الهادي المناعي والسادة ابراهيم الروز والهادي بن علي المناعي اعضاء لها

وتاسست نقابة عملة « البرانسية » وقد انتخب كاتبا اولا لها السيد الطاهر

الكافي وقد عمل ما يستطيع في افهام اهل صناعته والى جانبه اعضاء عاملون وهم السادة محمود المارغني ومحمد الورتاني ومحمد الرنه اعضاء لها

وايضا فان السراجين قد انضموا الى النقابات التونسية ، ومنهم السيد الطاهر بن سالم والسيد البشير الجودي الذي صار فيما بعد عضواً بالجامعة

وأيضا بعد اجتماعات توالت في حمام الانف تأسست نقابة لعملة الجير والسيمان بالشركة (تيرم) ، وقد انتخب كاتبا اولا لها السيد محمد الدخلاوي والسادة محمد بن سالم بن ميلاد وسعيد الجبالي وعثمان الوصيف اعضاء لها

ان تاريخ تاسيس هذه النقابات التي ذكرنا يبتدئ من غرة اكتوبر ١٩٢٤ الى اثناء شهر ديسامبر من عين السنة ويظهر ان ذلك كان خطوة سريعة جدا فى التاسيس ، والفضل في ذلك للحوادث التي لسعت كل ذاهل عن وجوده فأحس بالم شديد ، وللنشاط المدهش الذي بذله محمد علي بمساعدة اعضاء لجنة الدعاية في بث الروح النقابية وبيان مزايا التاسيس . ولقد تأسست بصفاقس نقابات نبقي الكلام عليها الى الحديث عن الرحلة التي قام بها محمد علي الى جهة المتلوي لتاتي في ابانها ولننتقل الى الحديث عن فكرة تأسيس نقابات تونسية وجامعة عمال لها فان ذلك قد كان سبباً لحوادث كبرى

تاسيس النقابات التونسية

قلنا سابقا ان عملة الرصيف بتونس قد اعتصبوا قبل الاخير خمس اعتصابات دون أن يجدوا من يساعدهم او يمدهم باعانة ما من غيرهم ، ولما انضم اليهم جانب من المفكرين التونسيين في هذا الاعتصاب الاخير لتنظيم سيرهم

دون ان يحتاجوا لمساعدة اتحاد النقابات الفرنسية المفقودة عظم هذا على ذلك الاتحاد واراد التدخل لفائدة المتصبين على معنى ضمهم اليه حتى لا تتكون قوة منفصلة عنه ، وقد وقعت مناقشات عديدة بين السيد محمد علي الذي ادرك الحالة فى تونس وبين م . دوويل كاتب اتحاد النقابات الفرنسية وكان م . دوويل يتشاءم من كلمة : نقابة تونسية ، ويقول : ان ذلك يقسم قوة العملة الى شطرين أمام قوة المال المتحدة ولا شيء يوجب هذا الانقسام ما دامت فوارق الاديان والاجناس معدومة في المبادي النقابية ، ولا افهم هنا شيئا سوى ان التعصب الديني او الملي هو الذي منعكم من الانضمام الينا ، فكان يجيبه السيد محمد علي بقوله :

« انني لا انظر الى فكرة العملة المنفصلين عنكم ، ولا الى الماضي المؤلم الذي كان لهم وانما اجيبك عن مسالة الانقسام الذي ثقل حمله عليك : انه لا يمنعكم شيء من الانخراط في النقابه التونسية ما دامت تشكيلاتها ستنخرط في العالمية طبق مبادي العملة وكما هو موجود عند عملة العالم اجمع وعندئذ يمكن اتقاء الانقسام الذي تخشون شره ، على ان النظام النقابي خاضع في كل بلاد العالم لنظام الشعوب فكل امة تشكل في ارضها نظاما كاملا ثم ينضم للعالمية ، ولماذا لا تعتبر تونس شعبا من الشعوب كما هي في الواقع ما دامت لم تكن ترابا فرنسيا وعندها يمكن اجتماعنا شيئا واحدا ، ولا ارى ما يمنعكم عن ذلك سوى اذا كانت صفة « حماة » تابى عليكم التنازل لنا واعتبارنا مثلكم فى الانسانية ، اما مسالة التفنن في النقابية وفي الصناعات الذي تقول يا م . دوويل انه مفقود في الاهلي فاني بدون ان اعارضكم هنا أرى ان امثالكم حينما تنضمون الينا يوجد هذا التفنن الناقص وهل نحن الا عملة

كلنا شيء واحد ونرقى بمعاضدة بعضنا لبعض ولا ارى معنى لكلمة : انتم ونحن بين اناس عملة » .

فى الحقيقة ان المسالة ليست مسالة حقائق اذ لو كانت كذلك لتم امرها بسهولة وفي اقرب وقت لكنها مسالة تغالب بين قوات ، فاذ كان عملة الرصيف اشلاء متفرقة مهملة لم يكن شيء ، ولما انتظموا وظهر امرهم فى صورة قوة تنمو وترشد قامت اختها في الانسانية تريد ابتلاعها بدعوي الاتحاد وخوف الانقسام ، على ان الماضي قد حقق لها البلع ولكنها لم تحسن الهضم فخرج ما ابتلعته من بطنها قهراً عنها !

ان هؤلاء الناس لا يعترفون بالحقائق فيعلنون ان المسالة كما هو الواقع مسالة تنازع وتغالب بين قوات فكل يعمل على شاكلته ولا يدوم الا الاصلح بل يعمدون الى اتهام غيرهم عمداً بسوء النية فيما اسس وانه يريد مسخ المبادي النقابية لاغراض دينية وجنسية يسترها ، الا اذا جاءهم صميما مطيعا ، وعندهم : « لا يدوم الا الاقوى » وهم اذاك قد مسكوا زمام الحكومة بايديهم بانتخابات ١١ ماي ١٩٢٤ التي حققت رجحان احزاب الشمال .. !

ان اعضاء الاتحادية لم يكونوا وحدهم المعارضين في النقابات التونسية بل فيهم افراد من التونسيين مثل السيد احمد بن ميلاد الذي كان كاتبا لنقابة السراجين التي كانت منضمة الى الاتحادية . ومثل السيد المختار العياري في اول الامر اذ كان داعية لمكتب الاتحادية ، ولقد خطب كثيرا في اجتماعات معتصبي الرصيف بتونس في قاعة الشغل وأهم ما كان يقوله : « ان انفصالكم عن الاتحادية يحرمكم من اعانة خمسة وعشرين مليونا من العمال على ان تاسيسكم للنقابة يدعوكم للانضمام فان مبادي العملية أممية ولا يمكن انفرادكم بالعمل وما اظن ان الامة التونسية التي تلهجون بذكرها تعرف لعملكم قيمة

فهي اذا فكرت فيكم فانما تحتقركم لنوع مهنتكم وتزدري بلباسكم الخشن ، وارى ان الذي يدعوكم لتاسيس نقابة غير منضمة للاتحادية انما يدعوكم للانقسام الذي يهلك قوة العملة ويبعد عنهم النجاح في مغالبة الماليين الذين هم متحدون في مقاومة العمله ، ولا ينبغي ان تكون الاجناس او الاديان مانعا من اتحاد العمال الذين تشملهم كلمة العمل وتربط بينهم وحدة المصالح امام مستثمريهم »

ولقد كان يسير في هذا النحو ايضا السيد احمد بن ميلاد ، ولكم خطب م . دوريل في اجتماعات عملة الرصيف وبذل جهده فى التشاؤم من الانفصال عن الاتحادية ، وبما انه لا يحسن لغة البلاد فقد ترك لمعاضديه القيام بهذه الخطة .

لكن الكثير من العمال الذين كانوا انخرطوا فى الاتحادية ، قد انبروا لبيان مواقفها امام المنخرطين فيها من التونسيين والمسلمين عموما واخص بالذكر منهم السيد البشير الفالح وقد كان من عملة الترامواي كما كان السيد المختار العيارى فاخذ يبين له مواقف الاتحادية فى اعتصابهم ويذكره باشياء يعلمها هو نفسه عن الاتحادية

ان هذه الغوغاء التي اثارتها الاتحادية واللجاج الشديد لم يصل منها الى آذان العمال شيء ، على ان الجميع قد شعروا بان الوقت لم يحن لدوس هذه الافكار ما دام العمال فى اعتصابهم فواجبنا اليوم هو الدفاع عنهم ضد المستثمرين لهم والذين ينتفعون من شجارنا فى هذا الوقت ، وعند انتهاء اعتصابات تونس وبنزرت يمكن وضع هذه المسالة من جديد

كان يلزم ان يذهب من العاصمة لبنزرت بعض اعضاء لجنة الدعاية لمشاهدة حالة العملة هناك ،واوجه الراي لفصل مسالة الاعتصابات وكثيرا

ما يوفد لذلك السيد احمد بن ميلاد والسيد المختار العياري ، لكنه قد اخذ عنهما هناك انهم يبثون فكرة الاتحادية الفرنسية وهم يمثلون اذاك لجنة الدعاية النقابية ، فثارت من ذلك خلافات عظم شانها بعد انقضاء الاعتصابات ، ودائما كان السيد المختار العياري يقول : « ان الفكرة النقابية الجديدة مبنية على التعصب الديني وقاصرة على حدود المملكة التونسية » . لكن عقد اجتماع للمناقشة حضره المعارضون فافهمهم محمد علي : « اننا اذا اسسنا فى بلادنا نقابات وجامعة تونسية فليس معناه اننا لا نرتبط بالعالمية ، وهل هذا الا عين ما هو جار بفرنسا والمانيا وانقلترا وغيرها من الممالك التي ترتبط مؤسساتها نهائيا بمركز الاممية فلماذا ينكرونه علينا فى بلادنا ؟ فاني لم أر معنى غير انهم يريدون اعتبار بلادنا ترابا فرنسيا حتى تندمج كجزء ضئيل فى الجامعة الفرنسية بدل ان نكون صوتا مستقلا كصوتها فى الجامعة الاممية . وهل هذا الا صوت المستعمر الذي يابى عليك ان تساويه حتى فى الانسانية ، فمالي اسمعه من فم الاشتراكيين والشيوعيين فهل هم يخادعوننا ايضا ؟ ؟

الحق اقول لكم ما على العمال الاوروبيين الذين يظنون بنا الا ان يجربوا انخراطهم معنا ليروا اننا نقبل منهم اخوانا لنا فى العمل والقصد ليس غير »

ان هذا الاجتماع قد اثر وبالاخص على السيد المختار العياري خصوصا بعد احتشاد جمهور العمال التونسيين حول هذه الفكرة واجماعهم عليها فقد فكر ان ما كان يظنه فى تاسيس النقابات التونسية ، وجامعة لها لا حقيقة له ووثق ان الذين يدعونه للعمل معهم انما يدعونه لفكرة نقابية صحيحة واضحة فاعلن انضمامه وبدأ يعمل بنشاطه وجرأته المعروفين فيه ، اما السيد احمد بن ميلاد وهو الشاب النشيط والجريئ بقدر الكفاية لولا ما يشغله من دروسه فى المدرسة فقد اعلن انه حائد لا يعمل فى هذا الجانب ولا

في الجانب الآخر مع اقتناعه برأيه الاول دون تردد ، ويرى بالاخص ان تفنن العمال الاوروبيين في الصناعات ، وفي ادارة الاعمال ، وتمرنهم عليها يضطرنا للانضمام لمؤسساتهم ومحال ان يجيؤوا هم الينا لقبولهم في مؤسساتنا لاعتدادهم بانفسهم اكثر مما يظن

ان الامر لم يقف هنا بل ان جريدة « تونس الاشتراكية » لسان الاتحادية والشعبة الاشتراكية الفرنسية قد اخذت قسطها مع الصحف المالية الاستعمارية وبدأت تحمل على مشروع النقابات التونسية وتصوره كما قاله اولا محرروها وانصارهم : مشروعا مليا اسلاميا سيقضي به على وحدة العملة والقائمون به يريدون ان يلعبوا دورا سياسيا تحت اسم العملة والنقابات . فلا تلم بعد ذلك رجال الصحف او رجال الحكومة انهم ذكروا هذه النغمة بعينها وبنوا اعمالهم عليها

شعرت لجنة الدعاية التي بدأت تشتهر باسم جامعة عموم العملة التونسية بالتهم التي يراد احداقها بمشروع النقابات التونسية وما استطاعت ان تسكت عن ذلك فنشرت بلاغا وزع في الطرقات على العموم ونصه :

اعلان للعموم

نشرت جريدة « تونس الاشتراكية » بعددها الصادر في ١٨ اكتوبر ١٩٢٤ مقالا تحت عنوان « العمل السيء » قالت فيه « انه بلغ لمكتب اتحاد النقابات مسودة في تاسيس نقابات مستقلة تمام الاستقلال اهلية اسلامية »

وحيث كان ذلك من قبيل التدجيل والتمويه فان جامعة عموم العملة التونسية ترى من واجبها تكذيب هذا الخبر الزائف ، وتعلم العموم بان النقابات المذكورة ستكون حقيقة مستقلة تونسية الا انها ستنخرط

في عالمية العملة ، وان ابوابها مفتوحة لكل عامل بقطع النظر عن جنسه وديانته .

اللجنة التنفيذية

والى الجانب الآخر من هذا الاعلان نصه باللسان الفرنسي ووزع اكثره على العمال الاوروبيين عند خروجهم من الشغل فى محطة السكك الحديد وعلى سكك الترامواي المشتبكة في طرقات العاصمة وفى الحارة الاوروبية بقصد اعلامهم بالحقيقة وقطع الاشاعات الكاذبة

في وسط هذه الضجة المشتبكة قدم الى تونس من فرنسا م . جوهو كاتب عام جامعة الشغل الفرنسية .

قدوم م . جوهو

قدم م . جوهو الى تونس يوم ٢٤ اكتوبر ١٩٢٤ بقصد تتبع الحالة هنا بعد الاعتصابات المارة ، والوقوف على حقيقة الحركة الجديدة وقد احتفلت به الاتحادية وفي مساء ذلك اليوم اقتبل اعضاء نقابة عملة السكك الحديدية وقام فيهم خطيبا ....

ان مجيئ م . جوهو قدكان فرصة مهمة للاعلان عن جامعة الشغل التونسية والاطلاع على راي هذا النقيب الكبير ورئيس النقباء في فرنسا فارتأى اعضاء لجنة الدعاية أن يدعوه باسم العملة للاجتماع به في قاعة الشغل بنهج الجزيرة اجتماعا عاما ليصارحهم برأيه في الموضوع فاتفقوا معه على ذلك وضربوا موعدا له يوم الجمعة آخر شهر اكتوبر ، وقد رات اللجنة ان تقدم له بيانا خطيّا عن الحالة والاسباب والقواعد التي بني عليها تاسيس جامعة تونسية للشغل وقد كان ذلك باللسان الفرنسي طبعا وهذا نص تعريبه .

﴿ بيان حال ﴾

نشأ الاحتياج التام لتنظيم العملة الاهليين من الاعتصاب الأخير لعملة الرصيف فان هذا الاعتصاب الذي حدث بتونس في شهر اوت وبعد ايام منه ببنزرت حصل على استحسان جميع التونسيين استحسانا ادبيا وفكريا ولم يكن ذلك الا باحقية مطالب المعتصبين وحالتهم الضنكة التي تحملوها في الحركات الواقعة من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٢٣

اما الحوادث المسببة عن تحريش اعوان السلطة المحلية والوقائع الدموية ببنزرت فانها زادت في عديد العملة المنعطفين على عملة الرصيف ولم يكن هؤلاء المستحسنون للحركة فى الغالب الا من قدماء النقابيين العاملين الذين فروا من نقاباتهم المختلفة لا بدون سبب

وفي يوم ٣ سبتانبر الماضي قررت لجنة مؤلفة من عملة — بعد ثلاث اجتماعات متوالية — انشاء جامعة عموم عملة تونسية بمقتضى قانون اساسي موافق لنظام (الطوائف العملية) المنتهجة نهج الاممية

واستنتج من بحث اجري بالمملكة انه اذا لم يحصل العملة التونسيون على حياة احسن من حالتهم هذه الى اليوم فذلك راجع لفقد الابتكار

ومعنى ذلك ان الانسانية فقدت خدامها فى هذا البلد . انه رغما من مساحة المملكة التونسية الصغيرة ورغما من نوع انتاجها فقد حصلت على مركز ممتاز فى السوق العامة ودليل ذلك في الارتفاع المتزائد على الدوام لقيمة سهام الشركات خفية الاسم ، وتحقق نجاح الراسمالية فى الغالب كان باليد العاملة التونسية التي لعدم تربيتها وتنظيمها — رغما من بؤسها المتزائد — صارت تزاحم اليد العاملة الاممية مزاحمة غير شريفة

ومثال الخماسة شاهد على صحة ذلك ومهما يكن من وجود هذه الطريقة الاستعبادية الى اليوم فان مثالها حقيق بالذكر .

فما الخماس الا عامل فلاحي يخدم طول يومه من الصباح الى الليل من دون ضمانات صحية وليس له الحق الا فى خمس الصابة

ومن جهة اخرى فاغلب عملة المناجم ونقلها وعمالة البادية ناقمون لانهم ينالون اجراً دون اجر غيرهم

أضف الى ذلك الحالة التي لا تقدم فيها والتي يقاسيها العملة منذ سنين وعندئذ نلاحظ ـ لا من دون مرارة ـ ان المدنية لم تقم هنا بواجبها الادبي ولكن يتكفل الدهر مع الحرمان الباطل بتغيير اخلاق العمال

وعوضا عن العمل بنشاط لتحسين حالة التونسي الاجتماعية مهما كان ادراكه لحاجته تلك ، ولتنظيم العملة على الطريقة الطائفية فقد القى من دون حياء مكتوفا فى احضان الاستثمار لفائدة الراسمالية الاممية

ان الحركة الاهلية للعملة القائمة اليوم لا يمكنها قبول مقتضيات قانون ١٨٨٤ لان روح هذا القانون الذي وقع الاقتراع عليه بصفة نهائية بمجلس الامة فى جلسته المنعقدة فى ١٣ مارس من السنة نفسها وادرج يوم ٢١ من الشهر نفسه هي روح وطنية محضة

وان المنشور المسمى منشور « والدك روسو » يبين كذلك الفصل الرابع من القانون المذكور

والرغبة اليوم في ان تكون جامعة عموم العملة التونسية المحل المشترك للاممية الحقة فى هذه البلاد . » انتهى

***

وحسب الوعد المضروب فقد توافد العمال على قاعة الشغل من الساعة الخامسة مساء فما جاءت الساعة السادسة حتى امتلات القاعة صحنها والطاق العلوي ، وعندها قدم م. جوهو فهتف له الحاضرون وهم ينتظرون منه رأيه في تاسيس جامعة تونسية للعمال

وقبل مجيئه بقليل انتخبت هيأة رآسة الاجتماع التي قبلت م جوهو في مكان الخطابة ، واعضاؤها هم السادة محمد علي رئيسا للهيأة واحمد توفيق المدني كاتبا للجلسة والمختار العياري وكاتب هذه الاسطر .

واجمت السيد احمد المدني فى محضر الجلسة هـذا ان كان قد بقي منه عنده نسخة فان التي بمكتب الجامعة قد تلفت اثناء اعمال التفتيش الاداري ، فكان جوابه هو عين جوابنا ولم يبق لديه الا مختصر منها هو عين ما نشر بجريدة الزهرة بتاريخ ٢ نوفامبر ١٩٢٤ أثر الاجماع وهو هذا :

في قاعة الشغل العام

اجتمع بالامس قسم عظيم من العملة بقاعتهـم نهـج الجزيرة للمداولة مع مسيو جوهو الكاتب العام لجمعية اتحاد الشغل العام الفرنسي في شان تأسيس جمعية اتحاد شغل عام تونسية

وعلى الساعة السادسة بين الدكتور محمد علي موضوع الجلسة ومهـد للامر بمقدمة قال فيها ان العملة التونسيين انتبهوا اليوم من غفلتهم وشاهدوا انهم لم يربحـوا ابدا اي شيء من انضمامهم لجمعية اتحـاد الشغل الفرنسوية . فاوادوا تكوين جمعية اتحاد وحدهم بصفتهم امة لها ذاتية ثم تنضم بعد ذلك الى احدى الجمعيات العالمية بصفتها قسم تونسي مستقل . ولا يستفاد من هذا ان جمعيتنا التي اسسناها هي اسلامية محضة او ملية بل انما هي تسعى وراء ضم كل العملة وتقبل فى عضويتها الايطالي والفرنسي على السواء كالتونسي . انما لا يجب ان يندمج التونسيون فى الاتحاد الفرنسوي فلا يربحون شيئا .

وتكلم على أثره مسيو جوهو فحث على الاتحاد وقال ان العملة اذا انقسموا لا ينالون شيئا وان جمعية اتحاد العملة الفرنسوية لا تميز بين اي عنصر ودين وان فى جمعيته عشرين مليونا من العملة من جميع بلاد العالم . ثم قال انه اتى تونس لدرس المسائل العامة وخصوصا مسائل العملة وادرك لاول وهلـة ان التونسيين العملة يتالمون من معاملة اخوانهم الاروبيين لهم ، لكن على التونسيين ان ينضموا لهم ويرغموهم على احترامهم . اما اذا الفوا جمعية اتحاد وحدهم فلا ينجحون ابدا ويعوقـون سير العملة ثم قال انتم احرار فى انتخـاب النظام

الذي تريدونه انما سارجع لكم بعد سنة لاوى انكم بتكوينكم الاتحاد المستقل لا تنجحون ابدا

فقام لمعارضته السيد المختار العياري وبين له الاسباب التي دعت العملة لتكوين اتحادهم المستقل وذكر له امثلة عديدة من تخلي الاتحاد الفرنسوي عنهم كاغتصاب الترامواي ومطالب البوسطة . والسكك الحديدية الخ . واكد ان العملة التونسيين سيضمنون ذاتيتهم باتحاد مستقل ويقبلون كل عامل معهم بقطع النظر عن جنسه ودينه . ثم ينضمون بعد ذلك الى احدى العالميتين . وهنا ساله احد الفرنسويين : اي العالميتين ؟

فاجابه السيد العياري ان الامر موكول لعموم العملة فان اقترعوا على الانضمام الى العالمية الثالثة - اي الى موسكو - وانا اؤيد ذلك دخلنا لها . وان ارادوا الانضمام للثانية - أي الى امستردام - انضممنا لها ايضا

وهنا قال م . جوهو : اني لم آت للخوض فى السياسة بل للكلام عن العملة فحسب . ولقد قابلت فيما يخص السياسة مندوبين من طرف الحزب الحر الدستوري شرحا لي حقيقة الحالة بتونس وقدما لي مطالب الحزب فقبلتها وتذاكرت معهما اما هنا فالكلام على العملة لا غير

وبعد جدال قصير تكلم مسيو دوريل ودافع عن نفسه قائلا انه كان قبل ٥ اعوام يتهمه الفرنسيون بالعمل ضدهم مع العرب واليوم اصبح العرب يتهمونه بالخيانة . واكد ان تاسيس اتحاد للعملة مستقل انما هو مشروع ملي بحت . فقاطعته اصوات عديدة . وبعد مجادلة اخرى قصيرة خرج م . جوهو وم . دوريل وتكلم الدكتور محمد علي وقال ان الاتحاد التونسي للعملة قد تكوّن فهل توافقون على تاسيسه فاجيب من طرف الجميع بالهتاف . وقال قد برهنا الآن على اننا رجال اصحاب مقدرة ونستطيع ان نعمل كل ما يعمله الرجال فى العالم . وختمت الجلسة بكلمات قالها السيد المختار العياري مضمونها ان جوهو وعد بالرجوع بعد سنة فعلينا ان نعمل عملا حثيثا ليرانا بعد عام اقوياء عكس ماكان يتوقع . وانفض الاجتماع بين الهتاف وصراخ : لتحي جمعية اتحاد العملة التونسية .

انتهى



السيد المختار العياري

العضو بجامعة عموم العملة التونسية

ولقد خرج العمال من القـاعة وفي ملامحهم تاثر شديد من قول م ة جوهو : انه ياتي بعد سنة ليرى انهم لا ينجحون أبداء ، وهل إن مراده بث الفشل فى هذه الحركة بهذا الاسلوب الممزوج بالتهديد ؟ فما كان فى الحقيقة الا انه اغراهم على اتباع خطتهم باتهاجه معهم مسلك التعجيز

ان م . جوهو قد اتبع خطة الاتحادية في اتهامه مشروع جامعة العمال التونسية بالمقاصد المالية والدينية وقد ضرب على نغمتها في دعوى ان ذلك تقسيم لقوة العمال التي يجب توحيدها ، وطبعا فان م . جوهو لا يرى هذا التوحيد الا ان يكون تحت لوائه . وذلك أهم اغراضه في زيارة البلاد التونسية

حقا ان المسالة كما قلنا مسالة تغالب لا مسالة نظر فلا لوم على م . جوهو إن هو أعمل جهده العقلي للخروج من المعمعة قائم الرأس ، على انه تقابل من بعد في بنزرت مع الاخوان : محمد علي واحمد المدني وجوده ميهوب فحققوا له ان رأيهم هو رأي عموم المفكرين التونسيين ، وقد حققت التجارب التي اجريت على يد الاتحادية الفرنسية هنا استعداد عموم العمال التونسيين للعمل بانفسهم لبناء مستقبلهم مقتبلين كل من جاءهم من العمال بيد الصدق للتعاون على العمل النقابي ، وقال له السيد محمد علي أن اتحاد العملة يبني على اتحاد الراي الذى يسوسون به انفسهم ، وحيث لم يمكن هذا الاتحاد بسبب اختلاف الافكار فما المانع من وجود مؤسستين للعمال ما دام العامل حراً في اختيار أيهما شاء لينخرط فيها ، وهل هذا الا مثل ما هو جار بفرانسا فلماذا يقتبلون عملنا كحادث غريب وأنيم تجب مقابلته بالتشنيع والتشهير .. ؟

فما كان جواب م . جوهو الا ان اعاد قوله : انتم احرار في اختيار النظام الذي تريدونه وليس من المستحيل ان تنجحوا اذا سمحت لكم الفرص مع مرور الزمن

جامعة عموم العملة التونسية

ان جامعة عموم العملة التونسية لم تكن نتيجة جلسة او جلستين أو يوم أو يومين بل هي نتيجة المحاورات الدائمة بين الاعضاء المؤسسين في اغلب اجتماعاتهم المتوالية

اشرنا في المقدمه الى ان فكرة العمال تسير مع الانسان منذ التاريخ ، وقد كان نموها تابعا بالتدريج لنمو الافكار الانسانية والجهود التي بذلت في مقارعة خصومها رجال الطبقات الممتازة ، فمن صناديق خيرية الى جمعيات تعاونية فيما بينهم لاسعاف المحتاج ومن يسقط منهم ليس غير ، ثم تأسست الجمعيات الطائفية بقصد التدخل لتحسين الاجور والدفاع عمن يهضم جانبه ثم تيسر توحيد تلك الجمعيات الطائفية في مركز ادارة عامة لها وهكذا استطاعت الجهود بمرور الزمن ان تؤسس انظمة شعبية سارت بخطاً ثابتة للاجتماع في مركز اممية عام

ولقد تباينت الافكار التي تقود هذه الحركة واختلفت في الطريق ، فجمهور من المفكرين استطاع بافكاره الثورية الحامية ان يغير الطريقة من الطلب والرجاء وانتظار الجواب الى تمرين العمال على روح التمرد على الانظمة المالية ومحاولة العبث بها باليد ، وتلقينهم ان لا حق ينال بالجدل والمنطق اذا لم تكن هناك قوة تكسر من شراهة الماليين وقساوتهم ، على انه يجب ان ينظر الى الافكار العليا التي تقود هذه الحركة وهي السعي في ان تكون الارض حرة ومشاعة بين الجميع ، ولا طريق لذلك غير الثورة ، وهذا ما جعلهم ينشقون عن رفقائهم ، وقد كانت هذه الطائفة تعرف بالاشتراكيين المتطرفين ثم لما انتصرت افكارهم في موسكو اثر الحرب الكبرى اطلق عليهم لفظ الشيوعيين . اما من تخلف عن هذه القفزة من المتحدين مبدأ بالشيوعيين فهم عامة الاشتراكيين الذين يرون ان خطتهم يجب ان تبقى في دائرة الجدل والمنطق من جهة ، وتنوير افكار العمال وتلقينهم التربية الفاضلة من جهة اخرى ، وبهذه القوات الاجتماعية السلمية يمكنهم التحصيل على الانتصار

ان البشرية لم تترك هذه الافكار الانسانية سليمة من الغرض والغش

فقد ظهرت افكار تحمل هذه المبادي كعنوان عليها ، ولكنها تريد ان ينتفع بهذا الحق ابناء الوطن فقط اما غيرهم فلا حرج في استثمارهم ، وجاءت افكار تريد ان تعمل على قاعدة التحابب والتقريب بين العمال والرأسمالية وهي النقابات الوطنية الاصلاحية في الوقت الذي تشاكست فيه مصالح الطرفين ، وهكذا سادت الفوضى بدخول اناس يحملون العناوين الصالحة وفي عملهم ما ينفيها خدمة للشخصيات المضمرة ونقضا لقوة العمال المتحدة وهذا ما هو جار في اروبا ويظهر لنا واضحا في فرنسا ، على ان المؤسسات فى اروبا بصفة عمومية حتى لو كانت ثورية امية يظهر انها لا تخلو من افكار الانانية حتى فى اعتبارها لنفسها منبع القوة ومصدر الاشياء بالنسبة الى غيرها

لكن لا ينبغي ان ينظر لهذه المسألة من وجهتها البشرية فقط بل يلزم ان نعتبر الجهود الانسانية الخالصة التي مكنت الانسان في اروبا من الوصول الى هذه الفوضى فى الافكار التي لا بد ان تنجلي عن حق ثابت ومتين ، فانه لولا الحريات العامة فى اروبا والدساتير الكافلة لاحترام حرية الفكر وحرية العمل ، ولولا التأسيسات العامة الضامنة لهذه الدساتير ما امكن الوصول الى تلك الفوضى التي تتمخض اليوم لتلد خلقا جديدا وقريب الحصول فى المستقبل ، وكم كان تاريخ هذا النجاح طويلا فى اعماق الماضي ، فلننظر نحن التونسيون من اين نبتدئ عملنا الاجتماعي ونحن ما زلنا في راس الطريق .

اتجاه النظر

ان الجهود الانسانية قد خدمت الانسان اجل خدمة فلم يعد فى حاجة الى عمل التجاريب لاصلاح آرائه فى الحياة الاجتماعية ووسائلها التي جربت من قبل ، فمن هذه الجهة امكن ان نضع نظاماتنا النقابية بالوجه الاتم فنبتدئها من حيث انتهت : صورة جامعة لاشتات المدن والقرى تتحد فى مركز عام

لها هو جامعة عموم العملة التونسية ، وهذه هي الصورة التي اعطت للحركة مشهدا رائعا لعيون الناظرين

لكن الذي يلزم فيه مزيد التأمل والتفكير ليس هو هذا بل هو تصور الروح والغاية التي تسود على هذه الانظمة فى بلاد كالبلاد التونسية وذلك ما لجت فى مراسه افكار الاعضاء المؤسسين للجامعة

ان المجتمع التونسي كما اشرنا اليه سالفا قليـل التماسك ببعضه جدا لولا الانتباه العام الذي حدث اثر الحرب الكبرى وبعض تجاوب صغيرة بدأ يتكون من مجموعها شعور عام بالالم ولزوم درئه بالتضامن الاجتماعي ، ومثـل هذا الشعور وهو ما زال فى مهده لا يمكن قبوله للافكار التي اشتد غليانها بالثورة لتهيئة الانقلاب الاجتماعي ، ولئن وقع الزامه بها فانما يحترق بها دخانـا ، ويصعب على الانسان بعد ذلك ان يجمع الدخان الذاهب فى الفضاء

ان المسألة اهم من ذلك فان الانقلاب الاجتماعي الذي يمكن ان يهيأ له ببث الروح الثورية لا يوجد من دواعيه اليوم شيء فى المملكة التونسية التي لم تاخذ لحد الآن شكل التطور الاروبي فى تنميـة الثروة وتنظيم مواردهـا واتساع اعمالها ، فالتاجر التونسي باستثنائنا لبني اسرائيل لا يزال كما هو قبلا آخر من يبيع في دكانه الضيق المظلم المضروب على طريقه سقفا خشبا او بناء سميكا ، وأكبر صناعنا ثروة وأعمالا لا يزيد عماله عن عشرة من النـاس في دكانه ومثل ذلك أو ما يقرب منه ما يقال عن انشط فلاح تونسي في مزرعته وبعد ذلك فلا شيء لنا ، فاين نحن من المناجم والمصانع والمتـاجر التي تظم في جوفها مآت وآلاف العمال ، فيها يعملون ومنها يطلبون العيش ؟

دائما يتضح للفكر ان الثورة العالمية التي ينادون بها في اروبا والتي معناها حرب الطبقات لا معنى لها في مثل البـلاد التونسية ، خصوصا وهي اليوم في الحالة التي اوقعتها فيها السياسة الدولية العامة ، اذ لا توجد هنا اسباب تدعو

لتناحر الطبقات الا اذا كان القصد اهلاكها لتهيأة الفراغ في البلاد لغيرها .

ان المملكة التونسية لا تتحمل الثورة حتى ولو كانت موجهة الى السلط الحاكمة فيها ، وقد يرى اليوم ان الكابوس الذي نزل بها ، والبؤس الذي عضها بانيابه السامة يجعلها مادة ملتهبة ، غير أنها في الحقيقة فاقدة اسباب النجاح فهي احوج وألزم لها من ذلك ايجاد القوات الاجتماعية المدعمة بالمعاوف لامتلاك الثروة ، وتلك هي القوات الاساسية الدائمة والسلمية التي يمكن بناء الحياة الحرة والسعيدة على اوكانها ، وهناك تكون الامة منبعا لفيض الفكر والارادة والقوة التي تسوس بها نفسها ، وبدون ذلك لا يمكن ان تنجح في اي مطلب من مطالب الحياة اذا كانت ترجوه من غيرها

لا ثقة بالغير

ان الامة التي لا تكون فيها قوة مستمدة من ذاتها تسير بها نحو الغايات التي تحددها تبقى خاسرة آمالها في الحياة وليس من المعقول ولا المنتج ان تعتمد على غيرها في رفع ذاتها الى الدرجة اللائقة بها ، وسواء أكان ذلك الغير دولة او حزبا أو جمعية ما من الاجانب ، فان الحياة والحرية والقوة والسيادة لا توجد الا في اعماق النفس الشاعرة والفكر الذي يشع بالنور ، فاذا كانت النفس والعقل ساكنين مظلمين فان مجرد الآلام وضيق النفس منها لا يؤهل الامة لشيء الا ان تكون آلة صماء عمياء بيد أخرى تديرها حسب أغراضها وبرامجها طبعا ، ومن يثق بذلك من افرادها انما يقدم امته ويقدم نفسه هبة للغير ، وما عسى ان يكون للآلة من ارباح الانتاج غير تفقد أجزائها بالاصلاح لتستمر في تأدية عملها ؟ وهل يستطيع الانسان أن يتصور أو يفعل غير ذلك بآلة عمله مهما كان صادقا في نيته ومخلصاً في سعيه ؟

ان فكرة التعاون فكرة حسنة وجميلة فى ذاتها ، ولكنها لا تتم فى

الخارج بصورتها الحقيقية الا اذا كان للمتعاونين قوة متكافئة لتبادل التعاون فاذا كان احد المتعاونين ضعيفا حاول الجانب القوي تحويل عقد التعاون الى ابتلاع صاحبه فى جوفه بعد ان كان امامه شخصا مستقلا ، وهذه حقيقة ظاهرة في كل مؤسسات الدنيا سواء أكانت دولاً أو احزابا ، اصلاحية كانت أو ثورية ، وهكذا يبقى التغالب بين هذه القوات ما دامت متنوعة الشخصية باختلاف الاغراض والغايات ولا يمكن ان يرتاح العالم من شر هذه النفسية المتقلبة الا متى توحدت فيه كل هذه القوات فى شخصية واحدة وذلك حلم الانسانية الذي ما زال ضميرا مبهما في صدر الايام .

ان التعاون اليوم بمقتضى هذه الحالة قائم على أساس الحذر والاحتراز بين المتعاونين بعضهم لبعض ، ولولا ذلك ما استطاعت تركيا الجديدة مثلا ان تتخلص من اظافر روسيا السوفياتية بعد ان تخلصت من براثن اروبا المستعمرة .

على ان بلادا واقعة في حالة كالبلاد التونسية ليس في استطاعتها ان تقبل بخطة التعاون وهي كلها محتاجة الى نفسها ولا يفي ما فيها من القوة لذلك ، وليس من المضر ان تقبل الاعانة ممن يقدمها دون شرط او تعهد ما ، فانه من اقدس الواجبات المحافظة على حرية الفكر والعمل طبق خطة تقررها البلاد بنفسها لنفسها ، وهذا عين ما اجمع عليه رأي اعضاء الجامعة المؤسسين بعد طول نظر وحوار

ليس مما يحسن اغفاله ان الشيوعيين قد طمعوا اولا في ابتلاع مؤسسة العمال التونسيين ، فكما كان لحزب العمال الذي على رأسه م . جوهو في فرانسا و م . دوريل في تونس وعلى رأسهم الحزب الاشتراكي طمع في هذا الامر كذلك كان للشيوعيين ، وكل من في الوجود يطلب صيداً

على ان الشيوعية اذ أخفقت في محاولة الدمج لجأت الى سلوك خطة التعاون وحاولت ان توحد الغاية والسلوك بواسطة وجود تحمس وغليان في تلك الظروف اثر الاعتصابات فلم تنجح في ذلك اذ لم تقبل الفكرة الثورية التي يحاول الشيوعيون في فرانسا بث روحها في المستعمرات طبق برنامجهم ، فان الفكرة التي رسخ في الاذهان وضعها اساسا لجامعة العمال هي فكرة الاصلاح وعليها تم البناء

الاصلاح هو الغاية

ان البلاد التونسية بما وصفنا من حالتها محتاجة للاصلاح الاجتماعي اكثر من كل اصلاح ، ويشترك في ذلك جميع طبقاتها مهما اختلفت فيها اسباب المعيشة ، وان حالة التشعب الموجودة اليوم فى الامم الاوروبية والتي هيأت طوائف كثيرة منها للقيام على غايات تظهر لنا بعيدة هي غير موجودة في شعبنا اليوم فواجب ان نسير سيرا طبيعيا في ذلك حتى نجعل النجاح قريبا منا

ان مسالة غبن العمال فى الاجور هي المسألة عظيمة الاهمية اليوم ، وقد قبل نهائيا وضعها اساسا للعمل الذي تقوم به الجامعة باوجه المقاومة المشروعة وهذا هو نوع اتجاهها للغير

ليس هذا وحده فان هناك عملا اعظم وادق منه : هو العمل الاجتماعي داخل المؤسسات النقابية فان من غاياتها ان تقيم من دخلها نوادي الارشاد لايجاد التهذيب العمومي ، وتنشر الكتب والرسائل في ذلك للعموم ، وتنفق ايضا على تعليم ابناء العمال لتخريجهم في العلوم والصناعات والزراعة حتى تصبح اليد العاملة التونسية ذات قيمة في الانتاج توفر الاجر المناسب لها ، ويمكنها عندئذ براس مال يتكون منها ان تفتح اعمالا في الصناعات تقتسم

ارباحها وتحقق لنفسها بذلك حرية العمل عندما تقوى فيها الروح الاجتماعية مثل ما كان ذلك فى اروبا عند ما اسسوا الجمعيات التعاونية فى الزراعة والصناعة والتجارة والمالية ايضا كما اشرنا لذلك فى طالع الكتاب

ولقد ابقي مشروع جمعية التعاون الاقتصادي لما بعد تاسيس نظام العمال لهذا الغرض عينه ، على انه قد كان يراعي فيه شموله مختلف الطبقات سعيا وراء توحيد الافكار حول الاصلاح كما اتحدت فى اصل الالم

ان الآلام التي تقاسيها الامة التونسية جيعها آلام متشعبة ومتنوعة المنابع وشديدة الوقع عليها ، فواجب ان تمتد جيع الايدى لاستئصال هذه الآلام وهنالك فقط منبع القوة الشعبية

نعم ان التاريخ القديم والحديث قد ارانا ان الوطنية باحترامها لنظام الطبقات انما تحمل في جوفها حروبا هائلة للمستقبل ، وهذه هي مسالة الصراع القائم اليوم في اروبا بين العمال والوطنيين بعد ان تحول لفظ الوطنيـة من عمومه الشامل الى لقب خاص بالطبقة الممتازة في الشعب بعيشة اليسر والرخاء وهم الماليون ، لكنه يستطيع الانسان ان ياخذ من التجاريب الماضية بقدر ما يسمح له المحيط الذي يتخبط فيه ، وهل يستطاع في مثل تونس ان تتناحر الطبقات من الآن اتقاء لحروب مقبلة بينها وهي على ما وصفنا من الحال وبينما يكون السيف مسلولا على رؤوس الجميع ؟ - خرافة لا يمكن قبولها ولا اضاعة الوقت بالبحث فيها ، وهذا ما قر عليه اجماع آراء اعضاء الجامعة المؤسسين .

على ان قيام حركة اجتماعية في تونس على اساس التعاون العام بين طبقات لا تبعد كثيرا عن بعضها يكون من مقاصدها بث الروح القيّمة ومساعدة التعليم والتهذيب العمومي سينجر من ورائه نفع عظيم للبلاد بصفة عمومية

ويهيئها لقبول المثال الاعلى للحياة الاشتراكية . بدل ان تتهيا للبعد ما بينها واتساع هوة الخلاف .

على هذه المبادي والى هذه الغايات أسست جامعة عموم العملة التونسية .

اعلان الجامعة

بعد الحصول على راي متحد فى تقرير مبادي الجامعة وخطتها التنفيذية رأى المؤسسون وجوب الاعلان بها وباعضائها الذين سيعينون بعضهم بعضاً وقتيا ريثما تتهيا المؤسسات النقابية لمباشرة اعمال الانتخاب طبق قانون اساسي تدونه هذه اللجنة الوقتية ويصادق عليه مؤتمر العمال فيما بعد فوقع الاجتماع في محل أحد العمال فى مساء اليوم الثالث من شهر ديسامبر ١٩٢٤ وقد قصد الاجتماع كاتب هذه الاسطر بصفة حبيب للاعضاء ومساند للحركة عن بعد لا عن مباشرة فكان من الغريب الفجائي أنهم الزموني بقبول العضوية في دائرة الدعاية للجامعة فكان لي من ذلك اعظم شرف عساني أن اقوم له ببعض الواجب ، فوقع الاجماع على تعيين اللجنة كما ياتي :

جامعة عموم العملة التونسية

وقع انتخاب اللجنة التنفيذية الوقتية لجامعة عموم العملة التونسية يوم الاربعاء ٣ الجاري فاسفرت النتيجة على ما يلي :

١ - المكتب — الكاتب العام محمد علي - الكاتب المعاون : ابراهيم بن عمر امين المال محمد قدور : امين مال معاون البشير الجودي

٢ - بث الدعوى — المختار العياري - محمود الكبادي - محمد الغنوشي الطاهر الحداد - البشير الفالح

٣ - المراقبة — احمد الدوعي - محمد الخياري - الطاهر عجم - محمد الدخلاوي . وتقرر المكتب الوقتي بنهج سيدي منصور عدد ٣١ واللجنة تتشرف باعلام النقابيين والعموم بأن القانون الاساسي تحت الطبع وسيوزع قريبا . بالنيابة عن اللجنة التنفيذية : محمد علي

وقد وزعت نسخ هذا الاعلان على الصحافة اليومية المحلية فنشرته جريدة « النهضة » و « الزهرة » و « تونس الفرنسوية » لسان الاستعمار واشارت اليه اشارة فقط مع اشمئزاز جريدة « تونس الاشتراكية » لسان الاتحادية الفرنسية في تونس ، ومن ذلك الحين انهمك الاعضاء في وضع القانون الاساسي وتخريجه بصورة تلائم المملكة التونسية

وقبل الدخول في تفصيل الحوادث التالية أري من المناسب ان اقول كلمة عن شخصية الاعضاء العمومية اثناء اشتغالهم بالحركة وتقديمهم بذلك للقراء اذ هم الذين اداروا تلك الحوادث وعملت شخصياتهم الحاضرة في تصويرها ، ولنبدأ بالنقيب الاول الجامع لهذه الحركة

محمد علي

جاءنا محمد علي من برلين اوائل مارس ١٩٢٤ كما اشرنا لذلك سلفا ولئن كنا نعرف وطنينا من قبل اذ كان في اول شبابه عاملا مجداً لاهله في تونس ، وكيف عمل الدهر عمله في تحوله وتطويره حتى جاء رجلا مفكرا مريدا ، واحسانه التكلم باشهر اللغات الاروبية والتركية ولغته العربية فهو ابن سعيه في تخريج نفسه من كل الجهات ، ولكن ما لنا وهذا الحديث الذي يبعد بنا كثيرا عن موضوع حوادثنا فانما يهمنا من ذلك الآن شخصيته العمومية القريبة منا

فكرته العمومية

جاءنا محمد علي وهو يعتقد ان الشعوب الشرقية وبالاخص العربية منها

التي تحاول ان تفتك السيادة فى بلادها من سلطان اوربا عليها لا تزال فاقدة القوى الحقيقية لذلك ، اذ هي لا تملك من وسائل الحياة الحاضرة غير الافكار الادبية اما الحياة الاجتماعية الاقتصادية فهي متلاشية ، وأخذ يحدثنا عن استيلاء اوربا في عموم الشرق على مصادر الثروة كالمناجم والمعامل ومحركات التجارة ووجود الوسائل الكافية عند الاوربيين من علم وفن وروح تعصب لاستثمارها ، أما الشرقيون فما زالوا يسعون للحياة فرادى متخاذلين ، وما ظهر للناس تجمعهم واتفاقهم الا فى الشكاية من غاصب ارضهم ، واظهار الالم والتوجع من ذلك

قال لنا محمد علي انه كان يقرأ الصحافة التونسية وهو يدوس فى برلين فيرى في أوديتها مقالات فياضة بالشعور الشعبي ملؤها قوة الايمان متجهة فى غليانها ضد اعمال السلطة الفرنسية في تونس فكان يعتقد انه ما امكن الوصول الى هذه اللهجة الا بوجود تماسك شعبي بني على نهضة علمية اجتماعية اقتصادية مهما كانت درجتها في النشوء ولكنه اذ جاء الى تونس زائراً سنة ١٩٢٣ وهو لا يزال تلميذاً يتم دروسه في الاقتصاد السياسي ومر من العاصمة الى البلدان التي في طريقه الى عمل الاعراض حيث يقيم اهله بحامة قابس قد اجتمع بمختلف الطبقات وطوائف المفكرين ووقف على حقيقة الحالة في البلاد التونسية فرأى أن لهجة الصحف التونسية قد قامت على اخلاص وتحمس الشباب لا على تماسك اجتماعي شعبي يضمن لها السلامة في نفسها والفوز فى خطتها ، والفكرة السياسية اذا لم تكن قائمة على هذا الاساس فانما هي كالابخرة المتصاعدة فى مجرى الرياح

بدأ محمد علي يعمل لمشروع جمعية التعاون الاقتصادي السالفة الذكر ووالى اجتماعاته في مختلف جهات العاصمة واقبل جمهور الناس عليها وخطب في حقيقة التعاون والروح الاجتماعية اللازمة له واعطى الامثلة المؤثرة لنجاح هذه المبادي في اوربا وأطنب في الاسباب التي حجبت عنا هذه الروح واخذ يتلمس بدقة وقوة مواضع الألم من نفس الامة ، ثم يخرج من اجتماعاته معجبا باستعداد الناس للفهم والعمل ، ومستفهما عن السلطة التي لم ير ولا شخصا واحدا يمثلها فى هذه الاجتماعات مع ما فيها من نفخ الروح

الشعبية وايقاظ الافكار ، وكثيرا ما كان يقول لي ونحن خارجون من احد تلكم الاجتماعات : انه لم يشعر بفرق كبير بين تونس والمانيا في حرية الاجتماعات

شعوره الوطني

ان محمد علي كان يتاثر جداً من مناظر البؤس والفاقة ، وكثيراً ما كان يردد ذكر مشاهد الجوع التي رآها في جهات الجنوب التونسي ، وسير قوافل سكان البادية بجوعها ووحشة منظرها الى المدن القريبة منها عساها تجد القوت اما عن عمل أو احسان حيث ان الجوائح المتوالية قد اكلت من زرعهم وانعامهم

كثيرا ما كنا نتجول ليلا في انحاء العاصمة في ايام الشتاء والبرد فيعترضنا النائمون تحت الجدران وحافات الطريق ، وكثيرا ما يكونون اطفالا صغارا دون سن الرشد متساندين فوق التراب تدثرهم السماء باسحبها الماطرة فكان يقف طويلا وهو شاخص البصر مستبحر الفكر صامتا كالليل ، ثم يقول لي : ان كبراءنا الذين هم قادة الامة واهل الراي فيها لا ادري اذا كانوا يشاهدون هذه المرائي الموجعة أو انهم الآن في فرشهم الوثيرة مع زوجاتهم وابنائهم غارقين في الاحلام ، وتاركين هؤلاء لحكمة الاقدار التي تقضي وحدها في هذا الامر . . ؟ »

دائماً كان محمد علي يعطف على هذا الحديث قوله : « ان التظاهر بالافكار القوية امام الفرنسيين ونحن بهذه الحال يكسبهم ضدنا احقادا نامية لا تقدر على رد مفعولها . ودائما يفتح لهم تظاهرنا بذلك منافذ لاعمال الانتقام ، ولو اننا نندفع في تحضير الاعمال الاجتماعية لامتنا واستئصال الالم الذاتي فينا والذي ورثناه عن الاجداد وتفتح عيوننا لنرى الحياة باجلى مظاهرها واوسع معانيها لامكن ان نقنع كثيرا من الفرنسيين والاوروبيين باننا نستحق ان نلقى الحياة الحرة مثلهم اذ ندركها بدرجة مساوية لهم فنكسب قوة عظيمة تضاف الى قوتنا ، اما وقوتنا غير مهيأة اليوم فليس لنا من ذلك شيء سوى اذا كان الخداع والتطمين لتمضية الوقت في الفراغ .

ان الاوروبيين يتهموننا في احساسنا ، فاذا قلنا لهم نريد : الحرية ، فهم

يفهمون منا اننا نكره بقاءهم معنا ونفهم حريتنا في استقلالنا وحدنا بالطواف في شوارع وطننا ، وان كان في ذلك تعطيل العمران وابقاء لكنوز الارض في جوفها .

هم دائما يحاولون ذلك ولكم يكون قولهم هذا نافذا ومقبولا اذا كانت تؤيده مظاهر جودنا ، واقتصارنا على التظلم منهم وابداء الكراهية لهم ! »

اخلاقه

هذه اهم الافكار الشاغلة لمحمد علي وهي التي اندفع بها في العمل بنشاط لا يعرف الملل فكنت تراه متنقلا من اجتماع الى اجتماع ومن مناقشات مع اناس الى مثلها ، هو اول من ياتي في موعد الاجتماع وكثيرا ما يذهب بنفسه للتفتيش عمن لم يحضر الاجتماع اذا كانت المصلحة تستدعي وجوده حتى لا يتعطل الاجتماع الى يوم آخر وكم كان يكره ذلك ، ليس له من الوقت ما يدخره لنفسه فكثيرا ما يشتري لافطاره خبزا وزيتونا ونحو ذلك يتناوله باي مكان في طريقه الى موعد عمل او اجتماع ، واحيانا ينسى ذلك الى ما بعد منتصف الليل ، يكثر من السهر ويقوم باكرًا ، يجلس اين وجد الناس ، في المقاهي حسنة المنظر او دنيئته ، وفي الفنادق وحافات الطرق متى كانت خالية من حركة المرور او كان ذلك قليلا ، ما دام في ذلك فكر يبثه أو رأي يسمعه او خبر مفيد ، لا يستنكف في تعرفه بالناس او تعرف الناس به بل يفرح بذلك جداً وبوده لو يتعرف ويجلس ويتفاهم مع كل فرد فرد من ابناء المملكة التونسية ليكون على بينة في قصده وعمله ، هكذا كان يعلن هذا التمني ، ولطالما كان يتاثر ويلوم كثيراً من المفكرين ومن وضعوا انفسهم في مركز قيادة الامة كيف لا يجتمعون بالناس الا اذا كان في نادي خاص باسلوب خاص على منبر خطابة ، وهو قدو لا يكفي للتعارف الحقيقي بينهم وبين الامة بل ربما جعلها تشعر بتفوقهم عليها واستحقاقهم للحياة اكثر منها فتنكسر نفسها امامهم وهذا ما يجعلها بعيدة عن ادراك معنى الحرية الحقيقية التي يجتهدون هم في شرح معناها

ومع حبه لتفادح الآواه فقد كان شديد التمسك برايه يسير في طريق التغلب بشدة على مشاركه في الراي ومن الصعب ان ينقاد لغيره لشدة اعتداده برأيه ، وقد يرجع في احيان عدة الى رأي غيره ولكن يندر جدا ان يرجع في ذلك اثناء احتداد المناقشة التي له فيها نفس حار قد لا يتحمله منه الا اصدقاؤه ومحبوه ، سريع العمل برأيه ، يكره المعارضة التي من شأنها تعطيل الاعمال المنوي انجازها ، يطرب لسماع الفكر الايجابي المشجع ويكره الافكار السلبية التي تميل لترك عمل او تأخيره تحت تأثير الاحتيـاط والاحتراز الذي يسميه في احيان كثيرة جبنا مبرقعا

يحب الموسيقى حبا جا ودائما اثر اتمام عمل مهم يقترح الاحتفال بها في سهرات الليل ، ولقد كان ذلك اثر اعتصاب الرصيف وعند رجوع الحميري من منفاه . وفي مساء يوم ١٨ جانفي ١٩٢٥ بعد انفضاض اجتماع فندق الحرير وفي ليالي اخرى وكان يقول ان لذة الموسيقى بعد تعب الانسان في الاعمال تفيض عليه سرورا ينسيه التعب ، ويجدد نشاطه لاستيناف عمله ونحن في بلادنا اما محرومون منها او نعتبرها لهوا وفسقا يضيع الفضيلة ويبعث على الفساد ، ولقد كان يفضل الموسيقى لما فيها من النشاط والقوة على الغناء العربي القديم ويقول : انه باقتصارنا على الغناء القديم يولّد فينا برقته عاطفة التوجع بالآلام والشكوى منها بيد أننا في وقت نحتاج فيه الى طرب يثير فينا النخوة والحمية ويبعثنا على اقتحام الاعمال الصعبة .

هذه صورة منتزعة من ذات محمد علي ولئن كنت لم اقل كل شيء عنه فاني قلت اهم ما يحسن ذكره في هذا المقام ، فانما يهمني من الرجل افكاره العمومية التي استعد بها لقيادة الحركة .

ابراهيم بن عمر

هو الكاتب الثاني المعاون للكاتب العام ، شاب فى اول عمره يتقد حمية واخلاصا ، كان من المنخرطين فى الاتحادية الفرنسية قبلا وانفصل عنها بعامل الياس منها ، ولقد ابتهج اشد الابتهاج بهذه الحركة الجديدة كمن احييت فيه الآمال الدفينة وبعثته يعمل للحياة عن حب ونشاط ، وهو كاتب نقابة السكك الحديدية ومنها كان اختياره عضوا بالجامعة ، يؤيد بروح متحمسة كل عمل من شانه تحقيق مركز الجامعة مهما كان شاقا او محفوفا بالمكاره ، يزاول نهاره العمل بالسكك الحديدية وعند آخر عمل له ياتي مسرعا لمكتب الجامعة للوقوف على الاعمال وحضور الاجتماعات العامة والخاصة التي كانت متوالية والتي تدوم فى الغالب الى ما بعد منتصف الليل ، وعندها فقط يتذكر المسكن والعائلة والعشاء وهو يسكن بعيدا عن محل الاجتماعات ، لا يظهر مللا او فتورا ، اما معارفه المدرسية فهي ابتدائية وحسنة ، يحسن اللغة الفرنسية نطقا وكتابة له معلومات عمومية اكتسبها من اهتمامه بالحوادث ، والمناقشة فيها ، ومطالعة الصحف جعلته كاحسن مفكر ومهذب فى طبقته .

محمد قدور

هو العضو الذي اعطي خطة : امين مال فى الجامعة ، شاب فى اول عمره اشتغل قبل حركة العمال مع محمد علي فى تاسيس جمعية التعاون الاقتصادي واهتم بوضع قانونها الاساسي وحضر فى جلسات تدوينه وهو مستبشر بذلك يظهر الفرح والنشاط ، ويحرض من يلقاهم من اصحابه على تاييد هذا المشروع ، ومن هنا كانت المعرفة به حتى شاوك بعد ذلك فى تأسيس الجامعة وقد حقق نصيبه فى العمل لتاييدها بما امكنه من الجهد ، يحضر فى اجتماعات الاعضاء للنظر فى المسائل الموضوعة للتقرير ، وياتي لمكتب الجامعة كلما لزم ذلك ، ويكلف بمراجعة المسائل القانونية والفنية بمكتبته الخاصة فى احيان

كثيرة فلا يبخل بجهد قدر عليه ، يعطي رايه في المسائل وقليل ذلك منه ، وفي الغالب يوافق آراء غيره ومن عادته ان لا يبتدئ الحديث او يسبق غيره في اعطاء رأيه ، وكثيرا ما يسكت ابان المناقشة ثم بعد الاجتماع ينتقد ماوقع تقريره ، ويحاول ارجاع ذلك للنظر ، يعلن الثقة بنفسه ، ويعتقد في صواب رأيه ، وينفر من المضايقة فيه ، اما معارفه المدرسية فهي ثانوية ، تلقى دروسه بمدرسة الليسي كارنو بالعاصمة وقرأ بها ضمن دروسه اللغة الالمانية واحسن قراءتها والتخاطب بها بصورة ابتدائية ثم اضطر للعمل قبل اكمال تعليمه فهو يشتغل موزع بريد بالعاصمة منذ سنين ، وقد كان منخرطا في الاتحادية الفرنسية بصفته من عمال البريد المنخرط عمومهم فيها وذلك ما جعله يتحقق من موقفها مع غير الاوروبيين ويبذل مجهودا حسنا في تأسيس الجامعة ، ولولا العمل الذي يشغل وقته ومنه يتمعش لامكن منه وجود شخص اقوى وانشط عملا واكثر ظهورا ، حيث اعلمنا مرارا انه مهدد في عمله ولكنا نستطيع ان نقول مع ذلك انه اعطى فائدة وبذل جهدا مهما يذكر له .

البشير الجودي

هو العضو الذي باشر خطة امين مال بصفته معاونا ، وقام بضبط الحسابات دخلا وخرجا ، شاب في اول عمره صادق النية طيب القلب نشيط في عمله يسعى له عن حب وعاطفة ، لا يتخلف عن موعد لعمل او اجتماع للاعضاء او عمومي لبث الفكرة النقابية ، كثيرا ما يترك عمله « السراجة » اياما او اسابيع ليشتغل في اعمال الجامعة ، وهو اول عامل قدو اكثر من غيره على ترك عمله الخاص بدافع شعوره بالتضحية للعمل العمومي ، لا يظهر التحمس في خطابه او حواره ولكنه يسير مع الافكار المتحمسة متى قرّ الراي عليها . اما معارفه المدرسية فهي ابتدائية تخرج فيها بالجامع الاعظم ، ولم تكن له من قبل مشاركة في العموميات ، ولكنه باستعداده ، ومشاركته في الحركة النقابية قد كان كاحسن رجل مهذب شاعر بقيمة عمله ، وذلك ما جعله يؤدي واجبه في الحركة بما يوجب له الذكر الحسن .

المختار العياري

هو العضو الاول للدعاية ، وقد أشرنا سابقا الى انه كان يباشرها تبعا لمكتب الاتحادية الفرنسية فيما يخص المسلمين فهو متمرن فيها وعارف بها ، هو رجل مطل على سن الكهولة ذو تصميم فى عمله جريء فيه لا يخشى المصادمة بشيء ، نشيط الروح ، تعوّد المناقشة مع المخالفين له رأيا سواء أكانوا من رجال السلطة او غيرهم ، وقد تحف المكاره بعمله لكنه لا يخشى المناورات العدائية فهو يعمل عمله بطمالينة وصدر رحب ، اشتغل بين العمال يبث فكرة تأسيس النقابات التونسية وحضر اجتماعات التأسيس لها وخطب فيها خطبا جمة ملؤها الحماس ، واعطاء الامثلة الناجحة فى اروبا لتقدم التأسيسات النقابية فيها ، ووجوب سيرنا على اثرها لنصل حيث وصلت هي فى استثمار مجهوداتها الاجتماعية ، وكان يميل فى الاكثر الى الجهر بان الحكومة مسئولة عن سقوطنا الاجتماعي ، وهي لئن وعدت باتباع خطة التمدين وتاهيل البلاد لاستحقاق الحياة الحرة فانها لم تفعل شيئا بجانب وعدها فيما يخص التونسيين اهل البلاد . ثم يتخلص من ذلك لضرورة الياس منها ومن وعودها ، ووجوب الاعتماد على النفس فالشعب الذي لا يعمل لسعادته بنفسه لا يستحق الحياة . بمثل هذا كان له التاثير الحسن بين العمال فى تدعيم الروح النقابية ، ولقد كان كل وقته موهوبا لهذا العمل فلا عمل له شخصيا وهو ذو عائلة كبيرة تسكن خارج سور العاصمة فى مزرعة ترك العمل فيها لمن ينوبه واندفع بشعوره المتألم الى العمل النقابي ، وقد كان اشتغل قبلا بعربات « الترامواي » بالعاصمة واخرج من عمله لانه كان يبث الفكرة النقابية ، ومن ثم احتضنته الاتحادية الى ان جاءت الحركة الاخيرة فاقتنع بعد الجدال بفكرتها وانضم يعمل بشعوره الجديد . اما معارفه المدرسية فهي ابتدائية ، ولكنه استطاع باستعداده ، واحتكاكه بالمفكرين ، واشتراكه فى الاعمال العمومية ان يوجد من نفسه رجلا مفكرا عموميا ، يحسن التكلم باللغة الفرنسية ويجرأ على الخطابة بها فى الاجتماعات العامة وهو جازم انه ما

دام يفهم سامعيه مقصوده من الكلام فليس هو فى حاجة لاستعمال لغة الادب الراقية التي لم تمكنه الحاجة من تعلمها ، ولا توجد انظمة عمومية تتكفل بامداد مثله فى التعليم ، ومع ذلك فقد انضجت رأيه الحوادث ، وايقظت شعوره الآلام فاعطى جهودا مهمة ذات اثر مفيد فى الحركة النقابية توجب له الذكر الجميل والاعتراف بالفضل في هذا الشان.

محمود الكبادى

هو العضو الثاني للدعاية ، وكاتب عام نقابة عملة الشاشية ومنها اختير للعضوية باللجنة التنفيذية للجامعة ، شاب فى اول العمر ، شاعر بالالم ،



السيد محمود الكبادي

مقدام لا يرهب ، يوقف عمله الذي منه يكتسب ليؤدي عملا تحتاج اليه الحركة ساخراً من شؤون نفسه ، مدفوع بكليته لتأييد مركز الجامعة ، وانتشار دعوتها ، ولقد اكسبه انخراطه قبلا في الاتحادية ضمن نقابة الشواشين شعورا بقيمة العمل وكيف امتهنه المستثمرون ، فدخل من ذلك في حياة عمومية لم تكن له من قبل ، على انه قد شاهد من امور هذه الاتحادية ما زهده فيها وحبب اليه كغيره الانفصال عنها فكان حدوث فكرة تاسيس النقابات التونسية باعث حياة جديدة في نفسه ، وقد ترأس وخطب في عدة اجتماعات عمومية وطائفية للعمال خطبا كثيرة يوضح بها الحالة التي عليها العمال، ويبين لهم مناهج العمل الصالح الذي يتم بايديهم ان كانت لهم ارادة في الحياة ، ولقد بذل جهدا خارقا مع معتصمي حام الانف في مساعدتهم بما يملك من وسائل الفكر والعمل . أما معارفه المدرسية فهي ابتدائية ثانوية تخرج فيها بالجامع الاعظم في العلوم الاسلامية ، وقد اعانه ذلك على ابراز فكرته بصورة مؤثرة فكان بجملة مظاهره مثالا لطهارة النفس وصدق العزيمة .

محمد الغنوشي

هو العضو الثالث للدعاية باللجنة التنفيذية وكاتب عام لنقابة عملة سوق الحبوب ومنها كان اختياره عضوا بالجامعة وهو رجل في قمة الكهولة مطل على المشيب لم يعمل في تهذيبه ، وتنمية مداركه سوى استعداده وحوادث الايام ، وأول عهدي به أني رأيته يوم استقبال الشيخ الثعالبي بدار السيد علي كاهية اذ خرج من سجن القصبة العسكري بعد الغاء دعوى المؤامرة عليه . رأيته بين الحاضرين بثياب عمله قام خطيبا يقرأ خطابه بمنطق عربي حسن ، وقد برهن فيه على الروح الحية الكامنة فيه ، واظهر سروره بحب التضحية في المال والنفس وكل عزيز ما دام ذلك طريقا لبلوغ الشرف والحياة السعيدة الحرة . ويظهر في نطقه احيانا شيء من الضعف ، وقد اجاب على ذلك آخر خطابه فقال انه يطلب من سامعيه ان لا يلوموه في نقص وقع له أو تحريف فانه ما كان يعرف قبلا غير الحروف الهجائية ، وما زاد على

ذلك فالفضل فيه للصحافة التي كان مكبا على قراءتها مذ برزت بعد الحرب الكبرى

هو شاعر بالالم العمومي وخاصة بالم شغله الشاق ، يقوم خطيبا بين العملة يرشدهم ولكنه سرعان ما يسلك بهم مسلك التوبيخ والتقريع على الرضاء بحالتهم التعسة والغفلة عن حقوقهم يريد بذلك استثارة افكارهم للتأمل وعزائمهم للعمل ، وهو مدفوع الى ذلك بقوة شعوره وضيق صدره عن تحمل الغبن والاحتقار الموجهين للعمال الذين يمكنهم ان يبرهنوا باتحادهم على قيمة سواعدهم في العمل . يحب الحديث فى هذا الشان والخطابة ولقد يزاحم كل خطيب في خطابه ، لا يدخر في الحركة النقابية جهدا يقدر عليه فكان بذلك مثالا صادقا للروح المتأججة في صدره .

البشير الفالح

هو من اعضاء الدعاية باللجنة التنفيذية للجامعة ، شاب في اول العمر عرفناه ايام كنا نعمل لجمعية التعاون الاقتصادي حيث حضر الاجتماعات التي كانت تعقد لنشر الدعوى فكان من المؤيدين المبتهجين بالمشروع ، ولقد تكلم مرارا اثناء هذه الاجتماعات بما يؤيد مزايا الجمعيات الاقتصادية وفوائد التعاون وضرورة احتياج بلادنا اليه ، وذلك ما وشحه للعمل مع العاملين وكان محمد علي مسرورا بوجود شاب مثله ياتي وحده ليعرّف بنفسه اخوانه ، ويطلب الاشتراك معهم في العمل ، وكانت جمعية تعاون فشاء القدر ان تكون جامعة عمال فاختير المترجم عضوا فيها . كان قبلا من عملة « الترامواي » ثم خرج اثر حوادث اعتصاب ، واذ اشترك في حركة النقابات فقد اعطاها كل وقته تقريبا ، ونسي شغله وهو متزوج خصوصا ايام الاعتصابات الاولى فقد أدى واجبه فيها وسمع صوت ضميره بما يوجب له عاطر الذكر ، واثر اعتصاب عمال رصيف العاصمة اشتغل كاتبا لنقابتهم في مكتبها الذي فتح لاول مرة في غرة ديسامبر ١٩٢٤ — وشارك في الاجتماعات النقابية العمومية بقدر ما تسمح له اعماله في نقابة الرصيف .

اما معارفه المدرسية فهي ابتدائية ، ولكنه استطاع ان يحسنها بانكبابه على المطالعة وقراءة الصحف ، يحسن اللغة الفرنسية قراءة وكتابة وحرر فيها بعض فصول عمومية دون ان يظهر في عالم الصحافة فكان في جملة مظاهره في الحركة مثالا لحسن الطوية وصدق العمل .

احمد الدرعي

هو العضو الاول للمراقبة في اللجنة التنفيذية اشترك ايضا في الاعمال الاولى التأسيسية لجمعية التعاون ثم انتقل للعمل في الحركة النقابية حيث مالت عامة الافكار نحو ذلك ، هو من خيرة الشباب الساعين لخير بلادهم بشعور حي وفكرة صحيحة وعميقة ، يؤمن باولية الحركة الاجتماعية ، ويراها منبع القوة الشعبية وسبيل الفوز في الحياة ، وهو قليل الايمان بالافكار السلبية القائمة على مجرد الجدل والحق المنطقي فمجيء الحركة النقابية قد كان باعثا قويا لنشاطه ، ملأت نفسه ببؤس البائسين وانين المظلومين فهو كئيب بكآبتهم ومتألم بآلامهم ، اعطى كل وقته للعمل في الحركة النقابية ولم يكن له عمل غيرها ، وكان في ذلك ساعيا مجدا ونشيطا ، يحضر الاجتماعات العمومية والطائفية للعمال ، ويسافر لتفقد النقابات التي اسست اذاك في الخط الشمالي ، واعطاء التعليمات والارشادات العمومية مباشرة ، ومع ذلك لم يقف عند حد الرقابة التي عينت له فقد كون من شخصه عاملا مباشرا في الحركة ، واختص في ادارة الجامعة بعمل الترجمة للصحافة الفرنسية في كل ما يهم الجامعة وتتبع منشوراتها يوميا من اجل ذلك . اما معارفه المدرسية فهو محصل في العلوم الاسلامية العربية على شهادة « التطويع » وقد شارك في التعليم الثاني بالمدرسة الخلدونية سنتين كاملتين ، واشتغل على الاخص بدرس اللغة الفرنسية والادب الفرنسي بما حقق له جانبا معتبرا من ذلك ، وهو الان مستمر في

تحصيله بهذا الصدد ، فكان في مجموع اعماله مثالا واضحا للاخلاص والتضحية ونضوج الرأي ، وزكاء النفس .





السيد أحمد الدوعي

محمد الجبارى

هو العضو الثاني للمراقبة باللجنة التنفيذية ، وقد انتخب كاتبا عاما لنقابة وصيف العاصمة عوضا عن السيد البشير بو دمغه المستقيل ومنها كان

اختياره عضوا بالجامعة ، كهل في وسط العمر ، صادق العزم طيب السريرة مخلص للفكرة النقابية لا يخشى شيئا في تأييدها قد صبغته حوادث الاعتصابات المارة روحا جديدة تؤمن بالمستقبل وتعمل للحياة ، يحب الاجتماعات كثيرا وينسى كل شيء من اجلها، يدرك موضوع حديثه جيدا ، ويفهم بدقة ما يقال له ، يحب الآراء المنشطة والحاثة على العمل ، ويكره الافكار المعطلة ، يشتغل عاملا بالرصيف ولكنه لا يبخل بوقت فراغه في اي ساعة من الليل والنهار ومهما كان تعبا من شغله ، وعند اللزوم يترك عمله اليوم واليومين وحتى الاسبوع لعمل بالجامعة يستدعيه ، وقد سافر مرات لتفقد النقابات المؤسسة ورافق محمد علي في رحلته الى منجم المتلوي للمرة الاولى فكان مثالا للعزم والصدق.

الطاهر عجم

هو العضو الثالث للمراقبة باللجنة التنفيذية ، وقد انتخب كاتبا عاما لنقابة عملة « الترامواي » ومنها انتخب عضوا بالجامعة ، شاب في عنفوان الشباب كافكاره المتحمسة ، ذو بصيرة بمسائل العملة ، شاهد اعتصابات كثيرة وسمع خطباء كثيرين في الاتحادية الفرنسية اذ كان منخرطا فيها ، قوي الايمان بالمستقبل يرى في ضعف اليوم قوة الغد ، لا شيء يدفعه لليأس مهما كان قاسيا وعظيما ، كان ابتهاجه شديدا وخارقا بتأسيس جامعة العمال وقد رأى انها الحل الوحيد لمشكلة العمال في تونس ، اما معارفه المدرسية فهي ابتدائية ، يحسن الفرنسية قراءة وكتابة ، يشتغل يومه باوتال « الترامواي » ولكنه لا يدخر لنفسه راحة بعد ذلك الا استعملها في خدمة شؤون الجامعة وحضور الاجتماعات ، لا يتخلف عن موعد ضربه يحب البحث والمناقشة لا يمل التكليف بعمل مهما كان شاقا ، فهو رجل الحزم والصدق .

محمد الدغلاوى

هو العضو الرابع للمراقبة فى اللجنة التنفيذية ، وكاتب عام نقابة حمام الانف بفرن الجير والسيمان لشركة « شويش - بيزو » ومنها اختير للعضوية

بالجامعة ، وفى اول ما عرفناه كانت لا تظهر عليه سيماء التفكير العمومي ، لكنه باجتماعاتنا المتكررة ووثوقه بصحة العمل النقابي الذي نباشره ولزومه استطاع ان يظهر لنا بالتدريج من احساساته الدفينة التي اقبرهـا الياس من النجاح ، واخذ يشاطر فى الحديث بما دل على معلومات له حسنة بصفة عامة ، وله معارف مدرسية ابتدائية ، يحسن الفرنسية كتابة وقراءة ، وقد زاد ايمانه ونشاطه فى العمـل اجتماعه بالمؤسسين فى تونس وحضور اجتماعاتهـم وسماع المناقشات فى المسائل المعروضة للنظر ، بما برهن على نمو قوي في شعوره وافكاره فاصبح بعد حياة الركود القاتل مثالا للعزيمة الثابتة والحركة النشيطة والتضحية الخالصة .

تحرير القانون الاساسي

النظامات والتراتيب التي توضع للاجراء والتنفيذ انما تكون بقدر الغايات المرسومة من اجلها فواجب ان تكون وافية بما يحقق تلك الغايات ، وبالتأمل من فصول القانون الاساسي يتضح المعنى . وهاك نصه :

الغرض

الفصل ١ — الغرض من جامعة عموم العملة التونسية ان تجمع الاجراء جميعهم في دائرة اقتصادية بصرف النظر عن جنسياتهم واديانهم للدفاع عن مصالحهم المـادية والادبية وتنظيمها بجميـع الطرق الممكنة وهي تدار طبقا لهذا القـانون .

التكوين

الفصل ٢ — تتكون الجامعة :

ا) من النقابات المجتمعة من جهة في الاتحادات المحلية .

ب) في اتحاد نقابات الولايات .

ت) في اتحاد نقابات الجهـات .

ث) في وحدات الصناعات من جهة اخرى .

الفصل ٣ — لا يمكن لنقابة ان تنخرط في جامعة عموم العملة التونسية من دون ان تنخرط في وحدة الصناعة والاتحاد المحلي واتحاد الولاية ان وجدت . وكل ثلاث نقابات فاكثر في صناعة واحدة يجب عليهـا تكـوين

وحدة صناعية تنخرط فيهـا .

الادارة

الفصل ٤ ـ تدير الجامعة لجنة الجامعة الملية واللجنة التنفيذية .

الفصل ٥ ـ تنتخب اللجنة التنفيذية التي يعين عدد اعضائها المؤتمر من النقابيين التابعين لتونس واحوازها يقع ترشيحهم او المصادقة عليه من طرف نقاباتهم في مؤتمر سنوي يتركب من نواب النقابات المنخرطة في الجـامعة مباشرة او بواسطة وهي تعين من اعضائها لجنة للدعاية ولجنة فنية ومكتبا .

ويجب على نقابات تونس واحوازها ان تقدم للجامعة قائمة في مرشحيها الماخوذين من بينها او خارجها قبل اجتماع المؤتمر بشهر على الاقل وهذه القائمة ترسل حالا لجميع النقابات بواسطة المكتب وكل ترشيح يجب ان توافق عليه النقابة التي يتبعها المرشح اذا وقع الترشيح من نقابة اخرى .

الفصل ٦ ـ في لجنة الدعاية : تتركب لجنة الدعاية من منتخبين يعين عددهم المؤتمر ووظيفتهم الاعتناء ببث الفكرة النقابية بين عمال المملكة طبقا لتقارير اللجنة التنفيذية وعليها دراسة حركات الاعتصاب في العالم . وتجتهد في افهـام العمال فائدة التعـاضد الاممي .

الفصل ٧ ـ في اللجنة الفنية : تتركب اللجنة الفنية من منتخبين يعين عددهم المؤتمر ووظيفتهم جمع الاعمال الفنية التي تقوم بها وحدات الصناعات وان تقوم باعانتها واعانة جميع الاشخاص المتعلقين بالحركة النقابية . بدراسة عامة لجميع مامن شانه ان يعين النقابات على تحقيق الغرض منها وعليها ان تقوم بادارة المؤسسات التي تنشئها الجامعة لصلحة العملة كما تقـوم بادارة وتحرير النشرية الدورية التي تصدرها الجامعة .

الفصل ٨ ـ في المكتب : يتركب المكتب من كاتب عام ووظيفته السهر على اتجاه جهود مختلف اقلام مصالح الجامعة لغايتها . والاشراف على تلك الاقلام ومن كاتب معاون ووظيفته نيابة الكاتب العام وعليه تحقيق الوصلة مع اتحادات الولايات واتحادات الجهات وجمع جهودها للحركة الاقتصـادية والاجتماعية . ومن امين مال وامين مال معاون .

الفصل ٩ ـ تتكون لجنـة الجامعة الملية من نواب اتحـادات الولايات ووحدات الصناعات نائبا عن كل اتحاد ونائبا عن كل وحدة وتجتمع هذه اللجنة كل اربعة اشهر وقد تجتمع فوق العادة في الظروف الاستثنائية ويصير اجتماعها وجوبيا اذا طلبه غالب الاتحادات والوحدات او لجنة المراقبة .

ويشمل نظر هذه اللجنة الحالة الادارية والمالية والادبية للجامعة .

الفصل ١٠ ـ في روح الوظائف النقابية : لا يسوغ لاحد ان يستعمل عنوانه كمنخرط في الجامعة او مستخدم فيها في ترشيح انتخابي ايا كان كما

لا يسوغ لمستخدمي الجامعة واعضاء اللجنة التنفيذية ان يترشحوا لاي منصب سياسي وترشيحهم لما ذكر يستلزم بذاته ابعادهم عن مراكزهم بالجامعة .

الفصل ١١ — في المرتبات ومصاريف البعثات : مرتبات اعضاء المكتب والموظفين تعينها لجنة الجامعة الملية وللمكتب ان يرسل مبعوثين من طرفه لاجل الحوادث السريعة التي قد يقع اليها الاحتياج ومصاريف المبعوثين تتحملها الجامعة واسباب البعثات تسجل في دفتر خاص وتضمن المصاريف في تقرير لجنة المراقبة .

الفصل ١٢ — في لجنة الخلافات : تتكون لجنة الخلافات من اعضاء تختارهم اللجنة التنفيذية من بينها لدرس الخلافات الناشئة بين المؤسسات التابعة للجامعة ويعرض سجل هذا البحث على اللجنة التنفيذية لحل المشكل وللمؤسسة المحكوم عليها ان تراجع لجنة الجامعة الملية في ذلك وبالاخرة لها ان تراجع المؤتمر الذي يفصل المشكل بصورة نهائية .

الفصل ١٣ — في لجنة المراقبة : تتركب لجنة المراقبة من اعضاء ينتخبهم ويعين عددهم المؤتمر ووظيفتهم السهر على حسن الادارة المالية لمختلف اقلام مصالح الجامعة ومراقبة تنفيذ مقررات المؤتمر واحترام القانون الاساسي وعليها ان تعاين المال الموجود عينا بالصندوق مع الوصولات والاحتساب في كل شهر وتحرر تقريرا في اعمالها يعرض على لجنة الجامعة الملية ويوجه لجميع النقابات قبل انعقاد المؤتمر بشهرين على الاقل .

الفصل ١٤ — في دخل الجامعة : يتكون دخل الجامعة من حاصل بيع بطاقة وتانبر تعطي الجامعة البطاقات للنقابات بواسطة وحدات الصناعات وتعطي التنابر بواسطة اتحاد الولايات للنقابات بنسبة الاشتراكات المدفوعة لوحدات الصناعات وتاخذ فيها وصولات ويعين المؤتمر سعر البطاقة والتانبر ويمكن للنقابات الزيادة في سعر التانبر لفائدتها .

الفصل ١٥ — يقرر في ميزان الجامعة ما يلزم لتحقيق سير التنقلات المدبرة بنظام خاص .

الفصل ١٦ — في اتحاد الولايات : وظيفته ان ينشىء العلاقة اللازمة بين النقابات لمختلف الصناعات الموجودة في تراب ولاية واحدة .

الفصل ١٧ — يمكن لاتحادات الولايات ان تنشىء مهما امكنها مؤسسات عامة بين ولايات كثيرة غرضها التعاون على الدعاية وهذه المؤسسات هي اتحادات الجهات . ويمكنها ايضا ان تنشىء اتحادات محلية يجب على النقابات ان تنخرط فيها .

الفصل ١٨ — يتكون دخل اتحادات الولايات من متحصل بيع تنابر الجامعة للنقابات .

الفصل ١٩ — في الوحدات : يجب عليها زيادة على الوظيف الفني الذي تقوم به والـذي هو من الاهمية بمكان ان تؤسس علاقات بين نقابات المملكة المنخرطة فيها .

الفصل ٢٠ — يتكون دخل الوحدات من المبلغ الذي تاخذه النقابات من كل اشتراك لفائدة الوحدات في كل شهر حيث تطرحه النقابة مما تدفعه لاتحاد الولاية . ويعين المؤتمر قدر ذلك المبلغ . وكلما تدفع النقابة للوحدة شيئا من المال يجب على هذه ان تسلم للنقابة وصلا من مثال خاص على قطعتين يبين فيه بالتدقيق عدد الاشتراكات الخالصه فتحتفظ النقابة باحداهما وتسلم الثانية لاتحاد الولاية الذي يعطى عوضها ومقابل دفع المال عددا من التنابر يساوي عدد الاشتراكات الخالصة طبق ما هو مبين بالوصل .

﴿ رمز العمل ﴾

فكر اعضاء الجامعة ان يضعوا على بطاقة الانخـراط فى النقابات رمزا تصويريا يشير الى تبدل نفسية العمال وتجدد الروح فيهم فقد كانوا اما عاطلين عن العمل يطوفون الشوارع ثم ينامون ليلا على حافاتها فيعمل البؤس فى قواهم حتى يبددها أو عاملين بثمن هو الحقارة والغبن والدخول فى اخطار الشغل وآفاته دون ضمان لهم او لعائلاتهم ، تاركين امرهم للاقدار الجارية ، والاقدار لا تعرف ان ترحم من يهمل شؤون نفسه لينتظر منها النجدة ، فالعامل التونسي اليوم قد صار يشعر بالتجديد فى كل شيء فقد تأكدت فى نفسه رغبته فى الحياة لا مغبونا محقرا بل كرجل شريف ينال حظه من العيش بقدر ما يبذل له من جهوده

هذه الروح الجديدة هي التي رسمت على ظاهر البطاقة في صورة عامل ذي برنس قطع بساعديه القويين قيد يديه ذلك القيد الذي ابطأ فيه انفاس الحياة والحركة ، وهو يصيح من اعماق قلبه فاتحا فاه بذلك يقول : « الحرية بالاتحاد » والشمس فى اول شروقها عند الصباح ترسل عليه نورها الفياض ، وتبعث باشعتها النارية اسلاكا الى قلبه تفيض منها ارتعاشات الحياة فتبذو فيه

بذور حرية المستقبل ، وقد شمر عن ساعديه ليباشر العمل مبتهجا نشيطا ، وامامه حزمة من سنابل القمح وشاقور للقصم والحفر ازاءه منجل صغير للحصاد ثم محراث متين وقاطع ثم قادوم للطرق ولفة من خيط « السباولو » تشير فى جلتها الى العمل الزراعي والصناعي على نحو ما ترى فى الصورة (١)



صورة البطاقة

(١) الصورة من رسم السيد الشاذلي خوجة الخيل ومعها بالوصف له .

الدعاية بجهات المملكة

كان الاعضاء يشتغلون بوضع القانون الاساسي للجامعة زيادة عن تهيئة الاعمال فى نقابات العاصمة فرأى شق منهم ان زمن الدعوى بجهات المملكة لم يحن بعد وان الجهود الحاضرة لا تكفي اذا اتسع نطاق العمل ونخشى ان يضيع نشاطنا فى دائرة اوسع منه ، غير انـه قد امكن لمحمد علي مع من وافقه ان يتغلبوا على هذه الافكار فى وقت يعلو فيه النداء من جهات المملكة بوجوب وضع قاعدة التضامن الاجتماعي ، وتتوالى الرسائل فى ذلك وفعـلا ترجح ان يسافر محمد علي الى صفاقس ليقف هناك بنفسه على الحالة فتلقـاه فيها جمع من العمال بالهتاف والترحيب ، وقد وقعت اجتماعـات متوالية أبان فيها نقيب الجامعة الاغراض العامة للعمل النقـابي ، واعطاهم صورة من النظام التأسيسي الذي سيكون رباطا اجتماعيا متينا ، وافاض فى وصف البؤس والغبن الذي يقاسيه العمال من ابناء الوطن ، وقايس بين هذه الحالة التعسة وحالـة العمال فى اوروبا وكيف نظموا جمعيات الدفاع وما نالهم على يدها من النجاح .

ان هذه الاجتماعات كانت فى مساكن خاصة اذ لم يتيسر اذاك وجود محل لمثـل هذه الاجتماعات فى صفاقس ، وقد عقد عملة شركة (صفاقس ـ قفصه) اجتماعا لتأسيس نقابتهـم يوم ١٧ نوفامبر ١٩٢٤ فانتخبوا هيـأة النقابة وبالاجماع وقع الانخـراط فى جامعة عموم العملة التونسيـة ، وانفض الاجتماع ثم نشرت هيأة النقابة بيانـا فى ذلك وزع على العموم فى شوارع المدينة باللسان العربي والافرنجي والاعضاء هم السادة : البشير الرقيـق كاتبا عاما وسعيد قيراط كاهيته وعلي اللوز امين مال والعربي بن احمد والمختار ابن حيده مراقبين وابراهيم الفقيه واحمد الفقيه .

وايضا فان عملة وصيف صفاقس لم يكن نصيبهم من هذه الحركة اقـل

حظا فقد حضروا اجتماعات الدعاية التي عقدها النقيب ثم اجتمعوا لتأسيس نقابتهم فى عين الوقت فانتخبوا لها كاتبا عاما هو السيد محمد قطاط واعضاء هم الرفقاء : حسن بسباس وحوده اجمل ومحمد بن عبد الله .

وقد دامت رحلة محمد علي الى صفاقس خمسة ايام لقي فيها شبانا من العمال آخذين بمبادي العلوم محبين للحياة والعمل وقد اعطوه ارشادات مهمة فيما يخص عملة قفصة والمتلوي لوجود صلات لهم بتلك الجهات ثم قفل راجعا الى العاصمة مبتهجا مسرورا وقد زاد وثوقه بالمستقبل النقابي فى تونس نجاه الى رفاقه يحمل البشرى فى وجهه الناطق بها قبل ان يتكلم ، ودونت هذه الرحلة فى دفتر الرحلات .

الى قفصة والمتلوي

اجتمع اعضاء الجامعة لخصوص السفر الى قفصة والمتلوي واجيب النقيب محمد علي الى طلبه الذي عزم عليـه وقد اتفقوا ان يذهب معه الرفيـق محمد الخيارى عضو الجامعة ، فسافرا لذلك في منتصف ديسامبر واذ وصـلا الى صفاقس تلقاهما جمع من العمال بها مرحبين بهما ومستبشرين بهذه الروح والحياة الجديدة التي اصبحت منتشرة على وجوههم ، واعلموهما ان جمعا من العمال ينتظرهما بمحطة قطار قفصة لاستقبالهم ، وفعلا كان ذلك عند وصولهم اليها ، وقد كان الاجتماع بقفصة لحث عمال شركة (صفاقس ـ قفصه) على اتحادهم جميعا ، وقد تأسست هيأة من العمال بقفصة لبث الدعوى بين رفقائهم حتى يتوفر العدد اللازم من كل شغل لتأسيس النقابات ، ثم ركب النقيب ورفيقه القطار الى المتلوي دون ان يعلم بهما من اهله احد فوصلا اليـه مساء ولم يمكن اذاك الوصول الى معرفة الاشخاص المعتمدين ، اذ ان معرفتهـم كانت بالمراسلة ولم يدل عليهم احد في ذلك المساء فجلس الرفيقـان في مقهى

هناك ، وقد كانت عيون من حولهما من الناس تنظر اليهما كغريبين عن المكان ، وقد لحظا ذلك حتى في اعين الحراس من اعوان البوليس ، فارتأى محمد علي ان يذهب في صباح الغد الى كوميسار البوليس بالبلد ليطلعه على حقيقة العمل النقابي الذي جاء من اجله خشية ان يسبق اليه بعض الجهلة باختلاقات كاذبة تضع سوء التفاهم بين الجانبين ، وفعلا تلقاه الكوميسار صباحا بمكتبه وتفاوضا مليا في هذا الشان ، فاعلمه الكوميسار انه لا علم له به في هذا المكان وشكره على حسن اهتمامه باعلام الكوميسارية بقدومه بعد ان تفاوضا في المسألة النقابية ، وعن الاتحادية التي يرأسها م . دريل بتونس ووجه الانفصال عنها ، واذ جاء محمد علي خارجا سأل الكوميسار عن محل مهندس المنجم لانه يود ان لا يباشر عمله حتى يتفاهم هنا مع من يهمهم الامر خشية ان يقع سوء فهم غير مقصود فاشار له الى الجهة التي يقيم فيها المهندس في قصر فخم يحيط به بستانه المزهر الجميل .

اقتبل السيد المهندس نقيب الجامعة اذ زاره بكل لطف وبشاشة وجلس اليه يحادثه بعد الاستعلام عن شخصيته ، ومعرفة الغرض الذي جاء من اجله وقد افاض في وصف الاعمال التي قامت بها شركة المنجم لفائدة عماله فقال :

« ان عمال المنجم يبلغ عددهم نحو العشرين الفا اغلبهم من الاهالي اللاجئين الى هنا من طرابلس الغرب ومن قبائل الجزائر وجنوب تونس وجهات مختلفة بقصد العمل بالمنجم فبنت لهم الشركة ولعائلاتهم مساكن للاستقرار وهي التي تراها منتشرة في هذه الاحياء ، وامدتهم باسعافها في اول الامر عند ما جاءوا في حالة مسغبة وجاء الخلاص من عملهم فيما بعد ، واسست لهم مستودع التموين للايفاء بحاجات معاشهم بالثمن الرخيص وبالتاجيل الى قبض الاجور عند كل نصف شهر ، ولكني مع ذلك اراني مضطرا الى اذا اصارحكم

بالحقيقة فان الاهالي دائما ميالون للراحة وترك العمل اذا وفروا منه بعض دراهم فلا يرغبون في الرجوع اليه الا متى انفقوا كل ما وفروه في السكر والمقامرة بينهم ، وكم تنشأ لهم من ذلك حوادث اسيفة » .

وقد اجابه النقيب عن ذلك بقوله : « اني اشكركم جدا على هذا التمهيد الذي بدأت اعرف به من شؤون هؤلاء العمال ما يهمني ، واني متأثر من العطف الذي لقيه هؤلاء اللاجئون من الشركة للمصلحة المزدوجة بينهما ، واراني لا اتمالك عن الاعتراف لكم ان هذه الوسائل التي اتخذتها الشركة هي مبدئيا عمل انساني في وقت الحاجة اليه ، ولكن مهما يكن اعتبارنا لها فما هي الا وسائل مادية لاقرارهم لا تمس الروح التي تتألم جميعا من سقوطها ، فلا عجب ان كانت اعمال الشركة معهم لم تؤثر في كسلهم وميلهم لقتل الفراغ في بؤر الفساد ، على اني ارى ان مسئوليتهم في ذلك قليلة بالنسبة للمجتمع الذي اهملهم ، وجعلهم يتعرضون لقساوة الحياة المرة التي يتجرعونها متجددة بتجدد اليوم والليلة ، فهم من اجل ذلك يتوهمون عزاءهم في تخدير اعصابهم والاشتغال بما يلهي عن العمل المنتج الذى يزعجهم بمشاقه دون ان يؤملوا فيه نتائج لهم حسنة وباعثة للنشاط ، وليس يظهر لبعث حب الحياة في نفوسهم ، وبث النشاط المادي والادبي فيهم فينتجون انتاجا اوفر ليربحوا كثيراً سوى نشر الفكرة النقابية ، فهي وحدها التي تفتح قلوبهم لحب الحياة ، وتجعلهم يكدون كثيرا من اجلها دون ملل ، وهذا ما يوفر الفائدة للجانبين ، وينفي القلق الحاصل من ميلهم للبطالة ، على اني يا سيدي المهندس استنشق من ذكركم لمهاوي الفساد التي انغمس فيها هؤلاء العمال رائحة طيبة تصدر من نفس كريمة : هي الاشفاق والترحم لهؤلاء المساكين الذين اكلتهم نيران الشهوات المسمومة وطمست ظلمة الجهل قلوبهم فلم تعد تبصر النور ، ومن

هنا كان رجاءي عظيما ان تكونوا عضدا لنا في رفع هذه الضحايا البريئة من وهدتها ، والسير بها في حركة اجتماعية تهذيبية ينتج من ورائها نفع مشترك ، واني واثق يا سيدي المهندس ان انسانيتكم لا تأبى عليكم ذلك ... » ثم طال الحديث عن البؤس الاجتماعي في البلاد التونسية ، ومسألة التمدين التي تعهد بها الفرنسيون ، ووجوب التعاون على علاج الحالة الذي اصبح اليوم ضروريا اكثر من كل وقت ، وقد اظهر السيد المهندس تقديره لموضـوع الحديث واعجابه بالمحادث ، وفي ملامحه من ذلك اثر ظاهر ، لكنه يستبعد جدا ان يفهـم هؤلاء الناس واجبهم الاجتماعي او يستمعوا لمثل هذا الحديث البعيد عن اذهانهم الضيقة . ثم خرج الاثنان يتماشيان الى جهات العمل بالمنجم وشهـد النقيب عدة اشغال هناك ووقف على عدة من العمال يسألهم عن عملهـم وعن اجورهم وقد كثر الالتفات اليه من جهورهم ، وهم يقدرون قربه من المهندس

في مساء هذا اليوم امكن له ان يتعرف ببعض افراد من العملة وقـد ضربوا موعدا للقائه غدا في جمهور من عمال المنجم ومن الغد قدم النقيب مع رفيقه الى ميدان فسيح تجمهر فيه كثير من العمال فاخذ يبين لهم حالـة العملة المسلمين خاصة وما فيها من البؤس الفاحش على غيرها ، ومحمد علي اذا ذكر البؤس فهو اغوص سابح في بحاره واقوى مصور يريك الحقيقة الرائعة الاليمـة ليثيرك منها الى طلب الخلاص ، وقـد تخلص من ذلك الى بيان مشروع النقابات وحقيقة موضوعها والفوائد الناتجة عنها ، وقد ضرب لهـم المثل واضحا بنجاح هذه الحركة في اروبا وادرارها الخير على اهلهـا ، وهي امر مشروع ، وحق لا يغلب ثم اخذ يبين لهم نظام مكتب النقابة وكيفيـة الانخراط فيها والمعاليم التي تدفع شهريا لصندوقها للقيام باعمالها الاجتماعية ، وقد بين لهم ذلك ايضا الرفيق محمد الحياري واعطاهم صورة من نظام مكتب

نقابة رصيف العاصمة التي يمثلها ، والاعمال التي بدأ المنخرطون ينتفعون بنتائجها ، واخيرا حقق لهم النقيب انه في استطاعتهم بمرور الوقت المناسب ان يوفروا من صناديقهم اموالا وافرة يمكنهم استعمالها في شركة تبيع لهم كل المواد التي يحتاجونها بأثمان مناسبة لهم وارباحها عائدة اليهم فينالون حاجاتهم بمال لا يخرج من ايديهم بدل ان يستأثر التجار الشرهون بهم فيستثمرون بؤسهم بلا حد ، ثم تم الاجتماع وافترق الجميع للتشاور بينهم في انجاز هذا العمل الذي لم يطرق اسماعهم من قبل ، وما عرفوا الداعي له الا في تلك اللحظة ، على امل الاجتماع في الغد لاجل ذلك

جاء الغد وقدم النقيب الى ميدان الاجتماع فلم يسمع الا ضجيجا هائلا ووجوها نافرة ومكفهرة تلعن وتشتم وصاح كثيرون اننا لا نريد شيئا ولا مفاهمة لنا معك والاحسن ان تبتعد عنا ، وبعضهم يتكلمون بلغة القبائل البربرية فما وسع النقيب ورفيقه اذاك الا ان يبارحوا المكان ليتأملوا من بعد في اسباب هذه الحالة الفجئية التي لم تكن منتظرة ، وانحاز اليهم بعض افراد من العملة الواقفين واخذوا بابتعادهم عن المكان يذكرون للنقيب ورفيقه سبب هذا النفور فقالوا : « ان عمال المنجم مدينون للتجار الذين يبيعونهم ما يحتاجون ويعاملونهم بتوسعة فهم يتأثرون بهم ويستشيرونهم ، وقد رأى هؤلاء التجار ان ينصحوا لهم بالابتعاد عنكم وقد روجوا فيهم (ان الذين اتوكم بهذه الافكار انما يقصدون سلب اموالكم وضبط اسمائكم فردا فردا ليرفعوها الى الحكومة حتى يعرف من فر منكم من الجندية ومن عليه طلب في شيء ومن هو اجنبي كي يرجع به الى بلاده) وهذا هو السبب في امتعاضهم وتوعد كثير منهم بالشر ان حاولتم الاستمرار على دعوتهم »

واذ سمع ذلك محمد علي استشاط غيضا من هذه الفرية السافلة وعلم

انطلاء الحيلة عليهم فرجع هو ورفيقه مسرعا اليهم ونادى فى وسطهم قائـلا ما ضبطـه : « يا اخـواني اسمحوا لي للمرة الاخيرة ان اكلمكم ولكم بعـد ذلك ان تقبلوا او ترفضوا ، اريد ان اسألكم هل انتم مسلمون ؟ ـ فاجابـوه نعم، وهل تصدقون بآيات القرآن اذا تليت عليكم ؟ ـ فقالوا من دون شك.

اذاً فاستمعوا الي ، قال الله تعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر . . . الآية » معناها ان الله تعالى قد جعل هذه الامة الاسلامية احسن الامم التي ظهرت فى العالم بما تحلت به من الصفات المجيدة اذ هي تقوم بواجب الارشاد والتعليم فى الناس بامرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، ولقد استطاع المسلمون الاولون ان يكونوا حقيقـة خير الناس وساستهم كما قال القرآن عنهم ، وناهيك انهم هم الوارثون الاوحـدون فى وقتهم لمدنيات العالم القديمة والمجددون لها النافخون فيها روح الحياة والنمو فسجلوا بذلك لهم فخرا خالدا فى التاريخ ، ولكن هل يظن احد اننا نحن ابناء اولئك الامجاد قد ورثنا عنهم ذلك الفخر الخالـد ؟ كلا ، كلا فنحن اليوم ابناء المذلة والفاقة والجهل الفتـاك ، يصهرنا الجوع بحرارته ويذيبنـا البرد باذعانه ، ويغل رقابنا الجهل ، ويقيد ايدينا عن العمل لانفسنا فنرتمي على اعتاب المستثمرين وهم يدركون منا عجزنا وجهلنا بطرق الحياة فيستثمرون ذلك لهم ، وهكذا نقضي نحن واهلونا وابناؤنا الصغار حياة مرة وأليمة لاذرة فيها من الرحمة ، وليس لنا فيها غير التوجعات والتأوهات والحمل على الاقدار التي شاءت ويجب الاذعان لمشيئتها القاسية ، ومع ذلك فاننا امام هذه الحالـة المبيدة لعنصرنا قد هيأنـا لها من اخلاقنا ما يزيدها علينا طغيانـا ، فبعد الالفة والمحبة والاتحاد الذي ثبت به الاجداد حتى فى الحروب الهائلـة امام الاشلاء الممزقة والدماء المتدفقة والرؤوس النازلة عن اجسادهـا ، بعد كل

ذلك اصبحنا مفككي الروابط لا صلة لواحد منا باخيه بل بالعكس انقلبنا الى شياطين ارسلت للفتك ببعضها فلا ترى غير الخداع والوشايات السافلة والتضليل عن الحق

اعتبروا ايها الاخوان بانفسكم وقولوا لي ما هي حياتكم التي تقضونها فى هذا المنجم تحت اخطار السقوط والموت حرقا بالمواد الملتهبة او ردما تحت الادماس ، ثم ما هي حياة السالم منكم بالروح غير معاش ابتر واجر اقصر وهو يقوم بنفقة عائلة يستغرق الدين ذمته من اجلها ولا يكفيها فيقضي ايامه رقيقا لدائنيه ضعيف النفس خائر القوة ذاهلا عن وجوده آيسا من نفسه ، لا يبالي ان وقع فى الشر او وقع الشر فيه ، يتسلى باللهو الخاسر يدفع دراهمه ثمنا لشرب السموم ويرمي بها فى بؤرة الميسر لتمضية الوقت ويتعزى حتى بارتكاب الآثام والجنايات

قبل يومين كنت مع السيد المهندس فذكر لي انكم سالى تفضلون خسارة ما عندكم فى البطالة على العمل الذي تربحون منه جديدا تضيفونه الى ما عندكم ، ها اني اراكم امامي الآن فى يوم راحتكم فلا ارى غير وجوه منقبضة من البؤس واطمارا مرقعة على الاجساد التي صيرتها غبراء المنجم خلقا آخر ، وانتم ترون باعينكم الاوربيين الذين يشتغلون بجواركم كيف يستقبلون ايام راحاتهم كالاعياد ، فتشاهدون فى غيركم الحياة التي لا امل لكم فيها ، وما هي الا ضرورة لازمة لكم لو عرفتم الطريق اليها

حقا انكم معذورون فى جهل الطريق ويا للاسف ، ولكني آسف اكثر من ذلك ويستوعبني الالم من كل جهة فاستغرق فى الدهش والحيرة حينما اراكم تأبون معرفة الطريق وترفضون بشدة من يدلكم عليه

لقد ادخلوا فى اذهانكم اني اقصد اخذ اموالكم واخذ اسمائكم للجندية

فراح ذلك عليكم ، ولكن اي مال عندكم حتى يسافر الانسان من بلد لآخر ليأخذه وهل طالب المال يجده عندكم ؟ ثم انكم جميعا تشكون قلة الاجور والاحتياج الناتج لكم من ذلك فرايت ان علاجكم يكون بتاسيس نقابة لكم تختارون اعضاءها من بينكم ويكون كل شانكم بايديكم ، وواجبنا أن نتعهدكم بالنصيحة والارشاد لما يخصكم لتفهموا جليا معنى اشتراككم مع سائر نقابات الوطن فتبذلوا جميعا جهودا متحدة تعود نتائجها لكم جميعا ، فهل في هذا ما يخيفكم ثم هل تظنون انكم تشتغلون هنا دون ان توضع اسماؤكم في سجل الشغل فما احتياجي لاخذها من افواهكم لو جئت لهذا العمل ؟؟؟

جاء الوقت لتفهموا حقيقة واجبكم نحو الحياة لتفتح لكم الحياة ذراعيها ولكي تفهموا ذلك يلزمكم ان تحفظوا عقولكم ان يدس فيها المفسدون الآثمون الافك والزور طمعا في استغلالكم بلا رحمة

ما كنت اظن ان كلماتي الاولى في الاجتماع الاول الصادرة من اعماق قلبي تزن عندكم وزن الافك والزور الذى تقوّله اعداؤكم عني وهم يرمون به كيدكم واخفاقي فيما أحاول من أجلكم ، وعلى كل حال لا اريد ان اضطركم جبرا للاعتقاد بما اقول ولاوكد لكم ذلك فها اني ابارح المكان عائدا من حيث اتيت وبعد ذلك يمكنكم ان تفكروا في الامر لتفهموا الحقيقة التي جئتكم بها ، ها انا ذاهب ، السلام عليكم »

الى هنا انتهى كلام النقيب وهو يضع رجله للخروج من الاجتماع لكنه لم يتمكن من ذلك فقد نفذ سهمه في القلوب واصاب منها وتين صوته الحامي المشاعر فحرك أوتارها بالخجل ، والاعتراف بالهفوة ، وانطلاء الحيلة ولقد بكى بعضهم من شدة ما تاثر بما سمع وبما راى ، والتفّ جمهورهم بالنقيب ورفيقه وهم في نهاية التاثر والامتنان للنقيب . الذي ما عهدوا قبله

من يهتم بهم فياتيهم من مكان بعيد ليقيم معهم في مهمم مغبرة اوجاؤه كان لون ارضه سماؤه يعظهم بحوادث الايام ويعطيهم درسا واضحا في آلامهم واسباب آلامهم ويرشدهم لافضل السبل الناجحة للخروج منها الى الحياة اللائقة بالانسان في هذا العصر الذي نمت فيه محبة الحياة

لقد فهم النقيب استحكام التنافر بين حملة المنجم بصورة طوائف متباينة الاصل ولقد كانت احياؤهم التي بنتها الشركة طبق هذه الروح متباعدة فواحد من حي لا يدخل حيا آخر خصوصا في الليل ومن يفعل ذلك عد عدوا والقتل عندهم ابسط فعلة ترتكب منهم على بعضهم ولقد يقتل القاتل وتنسخ آثار الجريمة ثم لا يعلم بذلك غير المتفقين عليها ، وكم تنشأ من اجل النساء وسائر الفواحش بين الرجل وصاحبه خصومة فينضم قبيل كل منهما لصاحبه وتصبح معركة دموية هائلة تنعزل فيها الرؤس عن اجسادها وتسقط الجثث مخضبة بدمائها، ولا يفصلها الا الجند الذي ياتي بعد حين ، وذلك ما اضطر السلطة الى احداث مركز عسكري بالمتلوي قبل ان لم يكن ، وهكذا ينقضي عيش هؤلاء المساكين . يطلبون الراحة فلا يجدونها الا في بؤسهم وآثامهم

لكن الاجتماع الذي شملهم والروح التي افاضها النقيب فيهم جعلهم كل ذلك مطيعين متاثرين ، فاطنب فى حديثه معهم في ترذيل هذه الروح الكافرة الوحشية التي توحي اليهم حب التنكيل ببعضهم . وجعل ذلك من شارات القوة والشجاعة ومن دواعي الفخر والاعجاب بالنفس، وليس لهم من ذلك غير اقتراف الآثام التي تجعلهم في نظر الناظر اليهم قسم البشر المنقوص المرذول

لقد استطاع النقيب ان يصحب جماعة من قبيل زواوه الجزائريين ويذهب بهم ليلا لزيارة اخوانهم الطرابلسيين في حيهم وأذهب عنهم كل

المخاوف التي كانت لهم في ذلك ، واذ راى جماعة الطرابلسيين النقيب ومعه جماعة من زواوه اقبلوا عليهم بوجوه تتهـلل نورا ضاحكة مستبشرة يشعر باطنها بروح جديدة تحجب ما قبـلها . وانزلوهم في بيوتهم اخوانـا فقضى النقيب ليلته تلك يحدثهم عن حالة المسلمين امس واليوم . وما كان لهم من العز والسلطان بمحبتهم لبعضهم واتحادهم،وما وقعنا فيه من المهانة والضعف بتنافر ارواحنا وافتراق كلمتنا ، ويصور لهم النجاح الذي حصل عليه عمـال اوروبا وما احدثوا من المؤسسات النافعة لهم . وبين لهم حقيقة الصراع القائم اليوم بين العمل والمال ، وما ايد به العمـل نفسه امام راس المـال من جمع عمال العالم في جامعة واحدة لتوحيد آرائهم وتوطيد ما استعد له الانسان من الشعور بمحبة الانسانية ونبذ الاحقاد التـاريخية التي تجعل من نفوس البشر مراتع للالم والشقاء ، واذ هم سائرون في هذا السبـيل فنحن ابنـاء الاسلام الذين يجمعنا وطن واحد لم نستطع اليوم ايجاد الفة بيننا رغم ما ينطق به الاسلام من وجوب التآخي والتعاضد في الاعمال .

دائما كان كل الوقت الذي قضاه النقيب بمنجم المتلوي مع العملة معمورا ببث هذه الروح حتى عقد الالفة بينهم وجعـلهم يتزاوورن ، ودعّم ثقتهم بالمستقبل وبعث في نفوسهم المغمورة بالظلام نور الامل وروح النشاط ، فبيتوا على عقد الاجتماع العام مساء الغد بين العمال للنظر في تاسيس نقابتهم ، ولما جاء صبح الغد وهو اليوم السادس من الايام التي اقامها النقيب بالمتلوي دعاه كوميسار البلد اليه ، وطلب منه ان يسافر معه الى قفصه في الحال هو ورفيقه للمفاهمة مـع المراقب المدني هنـاك في اجازة الاجتماع العـام الذي يـراد عقده للعملة ، وهو يطـلب مني ان اسافر معكم الى قفصه في اول وقت وبعد المداولة في هذا الامر لم يسع النقيب ورفيـقه الا ان يجيبا طلب الكوميسار

فيما قال فركب الجميع الى قفصه اذ لم يكن المراقب حاضرا بادارته فذهبوا الى مكتب كوميسارية قفصه لتحرير مخالفة اجتماع عمومي كان عقده النقيب ورفيقه في دار احد العملة ، وبعد مناقشة كوميسار قفصه في ان الاجتماع كان خاصا في محل خاص بقفصة اجابه الكوميسار : بانه يكتب التقرير كما يعلم ويضع فيه جواب المسؤول كما اجاب ثم للمسؤول ان يدافع عن نفسه بما شاء امام المجلس العدلي عند وصول القضية اليه ، واذ تم تقرير المحضر خرج النقيب ورفيقه يصحبهما عونان من البوليس الى دار العامل الذي اعلمه انه مامور من قبل الحكومة ان يرسله مع رفيقه الى تونس حالا وليس من الممكن بقاؤه بتراب قفصة فحاول النقيب عبثا ان يقنعه بعدم وجود ما يدعو لهذا الامر فان العامل اجابه عن ذلك بقوله : « اسمح لي ايها السيد أن افهمك حقيقة الامر ، ان مناقشتك هذه يمكن ان تثمر لو كنت انا الذي حكمت بهذا الامر اما وانا مامور به في اول وقت فليس لي من الامر شيء ويمكنك ان تراجع السلطة في تونس او تحتج علي ان شئت وبعد هذا ليس عندي ما اقول لك ، ورجائي ان تمتثل للامر وذلك خير لي ولك »

بعد هذا ما وسع النقيب ورفيقه الا السير نحو القطار يشيعهما بعض اعوان العامل وقد استمر تشييعهم للرفيقين في الرتل الى ان جاوزا منجم العرائس وعندها رجعوا من حيث اتوا . وقد شعر الرفيقان بعون سري يشيعهما الى خارج حدود قفصه .



في مثل هذا الوقت تقريبا كان الاخ مختار العياري بماطر لتفقد نقابتها وامدادها بالمعلومات اللازمة لسيرها فاجتمع باعضائها وبعض منتقين فيها يحدثهم ويسالونه فيجيبهم واذ هم كذلك مجتمعون في مكتب النقابة اذ دخل

عليهم كوميسار البوليس بالمكان فجأة يامرهم بالافتراق . ولما لم يفعلوا التفت الى الاخ العيادي وامره بعنف ان يصحبه الى مكتبه فلم يمانع في ذلك واذ وصلا للمكتب امر بتفتيشه جبرا واصر الكوميسار على كتابة تقريره في عقد اجتماع عمومي بدون اعلام السلطة ، واذ خرج من مكتبه وجد شيخ المكان يبحث عنه ليدعوه الى خليفة العامل واذ وصل امام الخليفة ابتدره بقوله « ان سيدي العامل يفعل في بلاده ما يشاء ، وله ان يطرد منها من يشاء ولذا يلزم ان تبارح التراب في اول رتل والا وضعت يدك في السلاسل » فما وسعه الا الرجوع الى تونس في اول قطار

النظر في الحالة

ان هذه الحوادث التي مرت في وقت واحد في جهتين متباعدتين من المملكة بعد ان لم يقع مثلها للحركة النقابية ، قد دعت الى مزيد النظر والتأمل اذ بينما كانت المسألة مسألة انهاض همم للاصلاح الاجتماعي اذا هي تنقلب مسألة صراع مع الحكومة ، ومثل هذا الامر عائق للعمل ، فاجتمع اعضاء الجامعة ، وتداولوا المسألة من وجوهها ثم قرروا عقد اجتماع عمومي يبين به المبعوثون للعملة جهودهم التي بذلوا في رحلتهم ، وموقف السلطة امامهم ، وبيان الاغراض التي اسست لها جامعة العمال عسى ان تفهم السلطة واجبها وتدرك خطأها فتتخلى لنا عن الطريق كما تفعل مع اعضاء الاتحادية الفرنسية ، وفوق ذلك يلزم عند كل امر مهم تشريك جهور العملة فيه ليتدربوا على المناقشة واعطاء الافكار التي لا يستغنى عنها ، وايضا فان السعي في تكثير الجهود المبذولة يسبغ على العمل صورة مجهود اجتماعي ، وذلك حياة المشاريع

هذه هي مقتضيات الدعوة الى الاجتماع العام الذي قرر في اجتماع الاعضاء وكلف السيد البشير الفالح بطلب قاعة الشغل للاجتماع من مفتش الشغل العام

جاء الوقت وتجمهر بعض الناس في الطريق امام قاعة الشغل وهي مغلقة اغلاقا ، اذ لم تاذن ادارة المحافظة بفتحها للاجتماع ، وما زالت وفود العملة يتقاطرون على مكان الاجتماع حتى اكتضت مناهج الطريق بصورة تعطل سير الترام والعربات واستاء الناس كافة من هذا المنع الذي لم يعهد ، ولم يظهر له سبب شرعي فاندفعوا جميعا متظاهرين محتجين وكان في مقدمتهم اعضاء الجامعة وفي وسطهم النقيب محمد علي مدهوشا متأثرا جدا من هذه المصادمة التي توالت بلا انقطاع ، وقد مر المتظاهرون من امام باب البحر مع سكة الترام الى باب سويقة ، وهم من حين لآخر يهتفون : لتحي جامعة عموم العملة التونسية ، لتحي النقابة ، ليحي الاتحاد ، حتى وصلوا بطحاء الحلفاوين حيث تفرقوا اثر كلمات قالها محمد علي وبعض رفاقه في عدم اعتبار هذه المقاومة خيبة ، ولزوم الثبات في العمل وتطلب المفاهمة مع الحكومة .

فهم اعضاء الجامعة اثر هذا الحادث ان قاعة العملة ما دامت ملك الحكومة لا تريد ان نجتمع فيها فليس لنا ان نقف عند هذا الحد ، بل يلزم ان نعد محلا للاجتماع في منزل مناسب من منازلنا ، ونترك لهم هذا النادي الذي لم يروا لنا فيه حقا ، وفعلا تقرر الاجتماع بدار احد العملة بزنقة ترنجة القديمة يوم الاحد الموالي ١١ جانفي ، وقد طبع لذلك اعلام وزع في الطرقات العامة بين فيه موضوع الاجتماع باللسان العربي والفرنسي

فما آنت ساعة الاجتماع حتى تواردت العملة على المكان الذي تناثر في الطرق الموصلة له جند من البوليس ، وحيث تم عدد المجتمعين وجاء وقت فتح الجلسة دخل كوميسار البوليس م . فيالاس واعلم هيأة الاجتماع (بلزوم

تأخيره الى ما بعد المفاهمة مع مدير المحافظة وهو لا يمنعكم من الاجتماع متى تم التفاهم معه وانا احقق لكم ذلك ، ويظهر لي من الاحسن لكم ان لا تستمروا في سوء تفاهم مع الحكومة ، اذ ذلك يعطل عملكم ويشوش عليكم ، وما دمتم غير سياسيين كما تقولون فلا رغبة لكم في الخلاف)

وبعد لحظة قصيرة تفاهم فيها الاعضاء ظهر لهم ان قول الكوميسار مقبول منطقيا ، وبودنا ان لا نكون في خلاف مع الحكومة ونحن نعمل عملا مشروعا بين الامم ، وفي بلادنا يباشره الفرنسيون بكل حرية ، ولاجل ان لا نتهم بقصد الخلاف مع الحكومة يلزم ان نمتثل لتأخير الاجتماع ، عسى ان نجد في اجتماعنا بمدير المحافظة ما يخفف على الاقل من تيار هذه المصادمات وفعلا تداخلوا لدا المجتمعين الذين يظهر عليهم الحماس الشديد بعد منعهم من قاعة العملة واقنعوهم بوجوب العدول عن هذا الاجتماع الذي دعوهم اليه الى ما بعد المفاهمة مع مدير المحافظة كما يقول لكم م. فيالاس الكوميسار

في مساء اليوم بعينه وجد النقيب محمد علي كتابا بمنزله من مدير البوليس يدعوه لمقابلته في هذا الشان وبما انه تسلمه في وقت متأخر لزم انتظار الغد حيث ذهب اليه بمعية الرفيقين محمود الكبادي ومحمد الغنوشي فاقتبله المدير بمكتبه وبادره بالقول « علمت انك بالمتلوي كنت تستعمل الدين وتقرأ لهم آيات من القرآن لتهيجهم . وهذا يدل ان حركتكم دينية » فاجابه النقيب « ان الامر على خلاف ما تقول يا سيدي المدير فحركتنا نقابية اممية لا دخل للدين فيها ، ولا انكرك كما لا انكر احدا يسالني اني ذكرت لهم آيات من القرآن ولكن اصغ الي يا حضرة المدير لترى حقيقة قصدي ووجه عذري : ان هؤلاء الناس الذين لقيتهم بمنجم المتلوي لا يعرفون شيئا من مبادي الحياة . وهم مغموسون في بؤرة حيوانية مغمومون بآلام لا امل لهم في الخروج منها ، أو ليس

لديهم فضل سوى ان فيهم كثيرين يحفظون القرآن وكلهم مسلمون ، وهذا هو السبيل الوحيد هنا لفتح مسالك في اذهانهم الضيقة يسيرون منها الى نـور الحياة ، فيدركون موقفهم اليوم ، وواجبهم المستقبل ، وهذه طريقة أرى اني مسئول فيها لضميري اكثر من كل احد ، فانا اجتهد في وصول دعـواي الى العمال بقدر درجاتهم وبقدر ما يمكنني ، لا لاثيرهم على الناس بل لاثيرهم على انفسهم واعمالنا مع الزمن تؤكد لكم ذلك يا حضرة المدير »

فاجابه م . كمبانا على الفور « يلزم ان تعتبروا ان تونس جزء لا يتجزأ من التراب الفرنسي ، فهي مقاطعة فرنسية لا فرق بينها وبين مرسيليا ، لذا لا يمكن بحال ان يتسامح لكم في تأسيس جامعة عمال فيها ، وليس هنا الا ان تلتحقوا باتحاد النقابات الموجود من قبل »

فاجابه النقيب « انما جئنا هنا لنتفاهم في مسألة الاجتماع بقاعة العملة وهذا ما فهمناه من م . فيالاس الكوميسار الذي جاءنا لاجتماع حومة ترنجة ووعدنا به بالنيابة عنكم ، اما ما يخص البلاد التونسية فانا اعلم انها حماية لا مستعمرة وتوجد فيها حكومة تونسية على رأسها الباي وشخصيتها مكفولة بمعاهدات أممية وخاصة بين فرانسا وتونس ولا يوجد فيما رأينا نص قانون يمنعنا من تأسيس جامعة العمال »

فابتدره المدير بقوله : « يلزم ان تفهموا ان فرانسا هي كل شيء هنا ، وشاعرة بكل شيء ايضا فمن المستحيل ان تسمح بوجـود مؤسسات هي في الحقيقة مناورات سياسية تتجه لمصادرة النفوذ الفرنسي ، وكما قلت لكم : لا يوجد هنا الا شيء واحد هو انضمامكم للاتحادية الفرنسية ، وانا حاضر للتوسط بينكما في هذا الامر متى صعب عليكما التفاهم فيه ، وثقـوا ان ابواب قاعة العملة تصير مفتوحة لكم على الدوام متى تم هذا الامر » .

فاجابه النقيب بتأثر شديد استطاع ان يستمر فيه هادئـا: « انك تخاطبني في حل الجامعة وهي ليست ملكا من املاكي ، لي حق التصرف فيه بل هي حق للعملة مشاع وهم اصحاب النظر فيه ولي معهم صوت لا ارفعه ضد الجامعة ما حييت ، وهذا ما اقوله لكم ».

اجابه المدير : « يكفيني منك السكوت فلا اطلب التصويت من جهتك وانا اتحقق ان المسالة تنجح كما قلت لك ولا اريد ان تطول هذه المسالة اكثر مما طالت ، وانا اعطيكم اجلا نهائيا ثمانية ايام لتتفاهموا بينكم ، واذا لم يتم الامر بعدها فان الحكومة تحلها بالقوة والجبر ».

خرج النقيب من مكتب المدير فوجد رفيقـاه الكبادي والغنوشي في انتظاره بالباب وعلى وجهه سيماء الذهول والتفكير العميق في موقف الحكومة الذي ازداد وضوحا في مقاومـة الجامعة واسباب ذلك ، وقد دعي اعضـاء الجامعة في مساء ذلك اليوم لجلسة غير اعتيادية للنظر في هذا الشان الخطيـر بحضور اعضاء نقابات العاصمة

فما كاد ينتهي النقيب من حديثه هذا حتى عم الاستياء كامل الجلسة وساد السكوت برهة على الجميع يفكرون في مبلغ ما وصلت اليه السلطـة في النقمة على الجامعة ومصادرتها بالقوة ، وما عساها تكون هذه القوة فهل يريدون بها تحويل عقولنا عن مجاريها ، او امسا كنا باليد أو ماذا يريدون ... ؟

كان جوابهم بالاجماع « اننا نتحمل مقاومـة الحكومة لنا بصبر ، ولا نخرب بيوتنا بايدينا ، وهكذا يكون في كل امر عظيم لا بد ان يلقى الانسان في طريقه العثرات . وهنـا يظهر مجد الانسان واستحقاقه للحياة بمقـدار تشبثه بها ، وليس من المحقق بعد ذلك ان الحكومة تستمر بصورة واحدة في مصادرة عملنا ، فلنسر فيه بقدر ما يصل بنا الجهد ، وهذا هو واجبنا في الحياة »

ثم قرروا الرد على اقوال مدير البوليس والاحتجاج عليها اذ لا شرع يؤيدها فكتبوا البلاغ الاصفر ـ شارة الذعر والاستياء ـ الذي طبع ووزع على العموم فى شوارع العاصمة وشيء منه فى بنزرت وماطر وسوسه وصفاقس التي بها النقابات ثم كتبوا ملخص الحوادث التي نشأت عن منع الاجتماع بقاعة العملة الى تصريحات مدير البوليس ، والاحتجاج عليها بامضاء اللجنة التنفيذية ، ونشر هذا الملخص بجريدة الصواب بتاريخ ١٦ جانفي ١٩٢٥

اجتماع فندق الحرير

حسبما قرر فى اجتماع يوم ١٢ جانفي اجتمع اعضاء الجامعة وكتاب النقابات يوم ١٤ منه للنظر فى سير الجامعة وما يلزمها عمله تلقاء الصعوبات التي يضعها مدير البوليس ، ففكروا انه يتاكد اكثر من قبل السعي فى عقد اجتماع عمومي فى اقرب وقت لاعلان هذه الحالة امام جمهور العملة وبمقتضى قانون ١٩٠٥ حرروا اعلاما لادارة البوليس فى اجتماع عمومي بفندق الحراريه باسم كتاب النقابات ، وحرروا رسائل سريعة الى النقابات بجهات المملكة لترسل من يمثلها بهذا الاجتماع الذي عد مؤتمرا عاما للمؤسسات النقابية يظهر به ما اذا كان لجامعة عموم العملة التونسية وجود حقيقي عام وراسخ فى الاذهان ، ثم حرر الاعلان العمومي الذى طبع ووزع فى طرقات العاصمة باللسانين العربي والفرنسي

وفعلا فان نقابة رصيف صفاقس بعثت من يمثلها وهو السيد محمد قطاط ونقابة شركة صفاقس قفصه بعثت السيد سعيد قيراط ونقابة ماطر بعثت كاتبها السيد علي الشارني ونقابة رصيف بنزرت بعثت السيد الجيلاني



سعيد قيراط

سعدي ونقابة وصيف سوسه التي اسست بالقرب بعثت كاتبها السيد عبد الحميد قداس، وما ازفت الساعة الثالثة مساء من يوم الاجتماع حتى توافد الناس على مكانه الوسيع برحبته ودرابيزه والطاق الاول منه فاكتضت رحابه اكتضاضا وصعبت حركة الانسان وهو واقف فى مكانه من شدة الازدحام ، وقد قدر عدد المجتمعين بثلاثة آلاف عدا من كانوا امام الباب والطرقات القريبة ينتظرون عن بعد من يعيد لهم محصل الاجتماع ، على ان هذه الكثرة الهائلة قد تخللها داخلا وخارجا اسراب من البوليس واعوان السر ، واثر ذلك صعد من حضر من اعضاء الجامعة الى منصة الخطاب يتقدمهم النقيب محمد علي وهم الرفقاء محمود الكبادي ومحمد الغنوشي والبشير

الفالح ومعهم رفيقهم السيد علي القروي شهر القابسي فافتتح النقيب الجلسة بين الهتاف والتصفيق الحاد قائلا : « يـا اخواني ارى اني فى غير حاجة ان ارحب بكم كضيوف اتوا منزلي فانما انا رجل مثلكم جئت الى هنـا كما جئتم لنعرب عن ارادة واحدة ونفكر جميعا فى علاج امراضنا الاجتماعية وما نلاقي في سبيل ذلك من العقبات ، وحقيقة ايها الاخوان اني لا اقوى ان اعبر لكم عن النشاط والقوة اللتين يختلج بهمـا قلبي سرورا من جلال مشهدكم هذا الذي اسمع منه هتافا عاليا ارى فيه نفوسا ابية وعزما شابا يدفعني الى الامام

بماذا احدثكم يا اخواني وانا لا احسن الحديث الا عن البؤس الذي يملؤ قلبي ، ومن منا لا يعرف البؤس وهو آخذ باعنـاقنا يسير معنا كالضل ، هو فى مساكننـا ظلمة وحرمان من النور والهواء وفى ملابسنا وحشة وبلى وفى مآكلنا فمش لا يقيم الصلب ، وجوه مصفرة ، وثياب مخرقة مغبرة ، وجيوب فارغة الا من دوانق نحاس ، وهؤلاء هم الذين يعملون وينالون اجرا عن عملهم . اما العاطلون الضائعون الذارعون الارض نهارا والنـائمون عليها ليلا فذلك نوع آخر من البؤس اليم

ان كل الشعوب فى العالم قد اقام فيها البؤس اجيالا وقرونا ، وهذه مسالة وجدت مع الانسانية ، ولكنه قد كان ضحايـاها فى كل زمان هم العمال الذين يمثلون اغلبية الشعب المطلقة ، فان ابجاو احدهم ان احتيج اليه باجر لا يكفيه وعائلته التي يزداد افرادها ، والغاءه متى ارتفعت الحـاجة اليه ، كل ذلك قد جعل حياته مغمورة بالآلام فى نفسه وافراد عـائلته ، وقد ورثت الاجيـال المتعاقبة هذه الحياة المرة بواجب الطاعة والرضى ، متعزية بـالقضاء المحتوم الذي قدر لكل حي حظه فى الحياة . وقد ايد ذلك فيهم انتشار الجهل الذي يشملهم وذريـتهم ، وما عسى ان ينتج عن الجهل والسذاجة غير الخضوع للحقارة والذل ، والرضى بالموجود

لكن تاريخ اوروبا الحديث بما فيه من الانقلابات الكبرى ، وعصيان النظامات القديمة والثورة عليها قد حقق جزء عظيمـا من يقظة العمال التي تزيدها الحوادث المتوالية رسوخا ، ومن اعظم اسباب النجاح فى اوروبا هو انتشار العلوم . وتعميمها فى جميع الطبقات التي كانت محرومة ومن ذلك تخرجت طائفة عظيمة مخلصة من العلماء تعمل لانقاذ سواد العمال من وهدة سقوطهم فدرسوا الانظمة الاجتماعية وتبينوا أحسنها والفوا الكتب والرسائل واسسوا الاحزاب والجمعيات النقابية للدفاع عن العملة وانقاذهم من البؤس ، وبالتدريج استطاعت هذه التاسيسات فى اوروبا ان تحقق لنفسها الحياة فى قوة ونمو وتاتي باعظم النتائج التي ينعم بها عمال اوروبا بالنسبة الى غيرهم

ان بلاد الشرق عامة وشمال افريقيا خاصة مازالا بعيدين عن بلوغ هذه الدرجات وحتى عن السير بجد وعزم اليها ، ولا سيما وطننا هذا المحروم من كل شيء الا من الالآم التي تصهر قلبه نيرانها

اسس الفرنسيون وانضم اليهم عامة الاوروبيين فى تونس نقابات ، ثم اتحادلها يربطها بجامعة العملة فى فرانسا ، ولم يستنكف العمال التونسيون من الانخراط في نقاباتهم التي يمنع انتخاب غيرهم فيها ، وادى العمال التونسيون واجبهم الذي يفرضه على الجميع قانون النقابات ، ثم كان بعد ذلك انهم انفصلوا عن هذه النقابات اما الى انحلال او تاسيس مستقل كما تم لعملة السكك الحديدية الذين اسسوا جمعية «الاتفاق الودادي» اثناء الحرب الكبرى

انكم تعرفون هذه المسائل اكثر مني وقد وقفتم بانفسكم على نصيبكم منها بما ادى الى انفصالكم ، وهذا ما اكده لي كل من حادثني منكم ، على اني رايت بعيني ان معتصبي حملة الرصيف بالعاصمة لم يقع الالتفات لهم الا بعد انتظامهم في هياة مستقلة عن الاتحاد الفرنسي وقد كانوا في الاعوام السالفة

يتصببون وينكسر اتحادهم فيرجعون للشغل بخيبة وفشل دون ان يجدوا لهم مرشدا او معينا

ان هذه الحالة تستدعي طول الفكر ، فان العمل في الوطن التونسي لا حرمة له ، ويظهر ان مستقبله سيزداد غبنا واجحافا بانحلال الوحدة ولزوم الصمت ، ولاتقاء هذا الشر المستطير اسسنا نظاما اجتماعيا نقابيا مثل الذي اسس في اروبا للعمال هو : جامعة عموم العملة التونسية

ان هذا العمل لم يرض رجال الاتحادية هنا . حتى ولا رجال الجامعة الفرنسية فان م. جوهو صرح بوضوح : ان هذا العمل لا ينجح ابدا وليس الا ان تنضموا لجامعتنا .

هذا القول بعينه قد صرح لنا به مدير البوليس بمكتبه في حدة وقساوة فلم يسعنا الا الاحتجاج عليه بما قرأتم في الصحف ، وهنا قد جئنا لنعرف حقيقة موقفكم نحو الجامعه التونسية ، فانا اسالكم جهارا امام الاعين لا لشك عندي ، هل انتم متمسكون بجامعتكم عن تصميم وبلا انقطاع ؟ ـ نعم ، هل تستقبلون التضحية من اجل ذلك بقلوب مطمئنة راضية وعزائم صحيحة ؟ ـ نعم ، اذاً فكل شيء بعد ذلك يهون وما علينا الان نسير في عملنا مبتهجين بافكارنا رافعين رؤوسنا معجبين »

الى هنا انتهى خطاب النقيب بين الهتاف الحار والتصفيق الحاد حتى دوي المكان فلا تسمع الا ضجيجا مطبقا ، وفي هذا الحين حضر م. جولينو كوميسار البوليس مندوبا من م. كمبانا مدير الامن ناشرا على صدره الشعار الرسمي ، ولم يصل المنصة الا بمشقة من ازدحام الجمهور يرافقه في سيره بعض اعوانه فصعد اليها يسال عن اعضاء الجلسة ليعرفهم فاعطاه النقيب محمد علي ورفقاؤه محمود الكبادي ومحمد الغنوشي والبشير الفالح وعلى القروي اسماءهم

وبعد كتابتها قال انه اتى الى هنا لامرهم بحل الاجتماع والافتراق حالا حيث ان الاجتماع سياسي وغير مرخص فيه ، فاجابه النقيب : انه اجتماع نقابي لا سياسي يكفي فيه الاعلام حسب قانون ١٩٠٥ وقد اعلمنا مدير البوليس به منذ يومين ، وعلى كل حال ما دمت مامورا بحله فباشره انت بنفسك ، على اني لا ارى ذلك مناسبا لوظيفة الامن ، ويمكنك ان تعرف ذلك في وجوه الحاضرين فانظر اليهم ، واذا رايت مناسبا ان اسالهم امامكم فانا افعل ذلك ، فلم يمتنع م. جولينو من ذلك فسال النقيب جمهور المجتمعين وهم في ضجة استفهام عما يدور فوق المنصة من الحديث فسكتوا لذلك : هل تريدون ان ينحل اجتماعكم هذا فان السيد الكوميسار جاء من اجل ذلك ؟ ـ فقامت ضجة نفي تجاوبت فيها الاصوات من رحاب الفندق : يجب ان تتم اجتماعنا ، هنا يجب ان نبقى ، انهم منعونا من قاعة اجتماعات العملة فلا وجه لمطاودتهم لنا الآن ، هل يريدون ان نبقى عبيدا فقال لهم النقيب : اذاً انتم تتحملون مسؤولية اجتماعنا هذا باشتراك تام وتقدرون قيمة عملكم ؟ ـ فاجابوا : من غير شك ، نحن نتحمل المسؤولية وحدنا ، اننا نريد ان نحيى ، يجب ان يتم اجتماعنا ، واذ رأى الكوميسار ذلك نزل عن المنصة وفي وجهه ابتسامة خفية وكتب تقريره في عقد اجتماع عمومي نقابي لا سياسة فيه ، واستوثقت الجلسة فوضع النقيب لوحة على الحائط امام الجمهور ورسم فيها صورة النقابات دوائر صغيرة تتصل بالاتحادات المتصلة بالجامعة في صورة دوائر توصلها بها سطور ممتدة ، ثم صور لهم مركز الاممية العام وكيف تتصل جامعات الشعوب بهذا المركز كشعب له تحمل اصواتا مستقلة في تقرير الشؤون العامة بينها فنحن نريد ان يمتد سطر من جامعتنا يربطنا بالاممية مباشرة وخصومنا يريدون اعدام هذا السطر ووضع سطر آخر

بدله يربطنا بالجامعة الفرنسية وهي تمثلنا كذرة من جسم امام الاممية .

وبعد ما صور النقيب هذه الفكرة على اللوح وشرحها شرحا واضحا للجمهور هتف الحاضرون هتافا عاليا ثم وقع سرد القانون الاساسي للجامعة فحياه الحاضرون بالهتاف والتصفيق واثر ذلك قام السيد البشير الفالح وبرهن بصوت عال على فكرة العمال وموقف الاتحادية الفرنسية مع العمال التونسيين وذكر تاريخا مفصلا عن موقفهم في الاعتصابات ، وكيف انهم اليوم يزاحمون العملة في تأسيسهم المستقل عنهم وما ينشرونه في جريدتهم «تونس الاشتراكية» من التهم نحونا والدسائس الماكرة ، ثم تعرض لموقف السلطة وتهديدات مدير البوليس بحل الجامعة التونسية بالقوة والجبر ان لم يحلها العملة بانفسهم ولكن العملة يجيبونه بالعمل لا بالقول فسيرى م . كمبانا من ذلك ما يقنعه بفساد رأيه في العمال التونسيين فنحن اليوم قد افقنا من نومنا وفهمنا واجبنا ولم تعد تروج علينا المحاولات الفارغة ، وسيبرهن المستقبل اننا نضحي كل شيء من اجل مبادينا . فكان لخطابه تأثير شديد على السامعين قوبل بالهتاف والتصفيق ، وتم الاجتماع على الساعة الخامسة بعد الزوال فكانت مدته ساعتين وافترق الناس بهدو تام دون ان يقع ادنى شيء وذلك بفضل التربية القيمة التي عليها العمال وايضا برصانة السيد الكوميسار وحسن درايته بوظيفه على انه من الغريب المتناقض اذا اجتماعا نقابيا كهذا عقده العملة باخذ ملاعب السنما بصفاقس حضره مبعوث الجامعة السيد المختار العياري وقد اذن فيه من قبل السيد المراقب المدني هناك دون تردد !

***

ان اجتماع فندق الحرير قد كان له صدى فى الصحافة التونسية والفرنسية وحتى المعادية منها فاتفق الجميع على الهدو السائد فيه وانتهائه دون ان يقع اي حادث ، ثم اختلفوا فى تصوير النتائج التي تنجم عنه وفى الحقيقة انما يصوررون افكارهم وتصوراتهم فيه .

اعتصاب حمام الانف

على جنبات جبل (بو قرنين) بحمام الانف والسلسلة الممتدة منه مقاطع حجر وفرنان لحرق الجير والسيمان لشركة (تيرم)لا ينقطع العمل بهما : عشر ساعات ليلية وعشر ساعات بالنهار عملا واجرة ذلك من ٦ الى ٧ فرنك وعدد عملة الشركة ٣٠٠ ويوجد ١٠٠ عامل يشتغلون مع مقاولي الشركة في حركة النقل ، وقد نشرت جريدة (تونس الاشتراكية) قائمة اجور تفصيلية تحت عنوان : لعمل عشر ساعات ، ونصها :

عامل في المقطع من ٧،٥٠ الى ٨،٥٠ ، عامل لحفر الارض ٧،٥٠ الى ٨،٥٠ ، عامل في الفرن ٧،٢٥ الى ٩،٠٠ ، مدوّر من ٧،٥٠ الى ٧،٧٥ ، كراوطي ٩،٠٠ موقد في الفرن ١٠،٥٠

ان الاجور المبذولة لهم استمرت دون زيادة رغما من شكواهم المرة تلو الاخرى واحسن حظوظهم يوم يسمعون فيه وعودا عن الزيادة ثم لا يرون شيئا ، يظهر في ملامحهم الشاحبة انقباض وقد رأيت كثيرا منهم مصابين بداء الصدر الناشئ من غبار الجير والسيمان الذي يعملون فيه .

من ٤٠٠ عامل انخرط في النقابة ٣٥ أما بقيتهم فهم يحضرون الاجتماعات ويستحسنون ثم يقولون انهم اناس عوامّ لا يفهمون هذه الافكار ولكنهم يريدون الاعتصاب لتحسين اجورهم ويلحون في ان هذا هو العمل الذي يفيدهم ، لكن السيد محمد الدخلاوي كاتب النقابة استطاع ان يؤثر في افراد منهم ويؤثروا فيه فبدأ الجميع يشعرون بتأكد الاعتصاب نظرا لسوء حالتهم بالاجور الخاسرة التي لا تسد حاجاتهم ، وهنا شعرت الشركة بذلك

فبادوت باخراج السيد محمد الدخلاوي الذي اعتقدته المؤثر الاقوي في اثارة هذه الحالة ، واعقبته بغيره وعندها اشتد غليان الناس وصمموا على طلب الزيادة وان لم يجابوا فالاعتصاب ، فقدموا كتابة مطالبهم الى مدير الشركة والى مهندس الاشغال بادارة الاشغال العامة واعطوا اجلا للجواب عنها خمسة عشر يوما فلم يكن شيء فاعلنوا الاعتصاب يوم ١٩ جانفي ١٩٢٥ ـ اثر قبض اجورهم النصف شهرية وقبل ذلك كتبوا الى جريدة الزهرة نص مطالبهم فنشرته بعدد يوم ١٩ جانفي والمطالب هي : اولا ـ تحديد الشغل اليومي بثماني ساعات ، ثانيا ـ تضعيف الاجرة بالجمع والاعياد عند الاشتغال بها ، ثالثا ـ رفع الاجرة اليومية الى ١٣ فرنكا ، رابعا ـ ارجاع المرفوضين ظلما من الشغل .

نظر لجنة الجامعة

اجتمعت اللجنة التنفيذية للجامعة للنظر في الحالة الناشئة من توافر الآلام والحماس في عملة « تيرم » وتصميمهم على الزيادة او الاعتصاب . وهذه مسألة حق في حد ذاتها ، لكن قد وقع النظر في الظروف المحيطة بالجامعة وتالب الاحزاب الفرنسية عليها بالدس لها والاغراء بها وتهويل الحوادث وقلبها ، وذلك ما جعل جانبا من الاعضاء يحترزون في تاييد الاعتصاب ويرون الاقتصار على الطلب كالعادة الى الوقت الفاصل حرصا على سلامة الجامعة المهددة بالاتهامات الباطلة ، وأيضا فان النقابة أسست منذ شهرين وليس فيها من عملة « تيرم » غير القليل ودخلها الآن يسير جداً ، غير ان محمد علي قد استطاع تجاوز هذه الملحوظات وتغلبت فيه عاطفة الحق وبؤس هؤلاء العملة المغبونين على فكرة الاحتراز واندفع بقوة قلب وحرارة نفس يقول : « ان

هؤلاء العملة مصممون على الاعتصاب ان لم يجابوا واكثرهم غير منتقبين ولكنهم يتالمون من تفاهة اجورهم فانظروا كيف نترك اناسا يعتصبون ولا وسائل لهم تمكنهم من الفوز دون ان نمدهم بمساعدتنا واذا كانوا لم ينخرطوا في النقابة فليس واجبنا ان نتركهم وشانهم ، واني لا استطيع ان ارى حالة كهذه ثم لا اندفع بكليتي اعمل فيها بجهدي مهما كان اعتباري للظروف الحافة وماعسى ان تكون هذه الظروف فانما نحن رجال لا زجاج ينكسر ، وانا اعتقد ان الامة تؤيد هذا الحق وتمدأ هله بما في وسعها ... »

هكذا كانت ثقة محمد علي بالمستقبل واعتقاده في تماسك الشعب وايمانه بالحقائق دون ان يجعل للمحيط الحاضر سلطانا في ذلك على عقله وارادته فانضم له جانب من الاعضاء ثم بهم جعل الاعتصاب تحت تعهد الجامعة وامدادها وارسل مندوب عنها يوم الاعتصاب السيد الطاهر بن سالم الذي قبل هذه المسؤلية التي اختيرلها دون تردد وهو الذي أدى عمله في اعتصابات بنزرت بحذق وصواب وأي وقد لزم الاقامة بحمام الانف ايام الاعتصاب يرشدهم الى اوجه المفاهمة مع الشركة ويحذرهم من الوقوع في مخالفات قانونية تؤخذ عليهم.

وما استمر الاعتصاب ثلاثة ايام حتى ظهر تاثيره في السدرية (بوتافيل) فاعتصب العملة هناك فجأة ثم جاءوا الى حمام الانف يخبرون رفقاءهم انهم يشاركونهم في الاعتصاب طالبين الزيادة في الاجور مثل عملة حمام الانف وقد ذهب اليهم مرة واحدة السيد المختار العياري ليهدئ من هياجهم ويفهمهم معنى الاعتصاب وبعد ذلك لم يعد في الامكان الوصول اليهم بسبب الحراسة المانعة من دخول أرض (بوتافيل) التي يسكن بها العملة ، والعمل هناك هو العمل بشركة « تيرم » ويزيد على ذلك باشغال فلاحية ، وقد زار مكتب الجامعة اثناء الاعتصاب السيد احمد شنيبة ناظر عملة السدرية واعطى هناك اسعار العمل والساعات الآتية

مقطع الحجر ١٠ ساعات في اليوم والاجرة من ٧ الى ٧،٢٥ فرنكات وعددهم نحو السبعين منهم ٩ ايطاليون اجرتهم فرنكات ١٢

في الفرن لرمي الحجارة واخراجها جيرا ورحيها ١٠ ساعات والاجرة من فرنكات ٨،٥٠ الى فرنكات ٨،٧٥ وعددهم ٢٤ عاملا منهم ستة ايطاليون اجرتهم فرنكات ١٢،٠٠

تعبئة الجير ١٠ ساعات والاجرة فرنكات ٨،٥٠ وعددهم ثمانية

ايقاد الفرن ١٠ ساعات وعددهم اربعة اثنان مسلمان اجرهما فرنكات ٩،٠٥ واثنان ايطاليان اجرهما فرنكات ١٣،٠٠

الاعمال الفلاحية ١٠ ساعات والاجرة من فرنكات ٦،٠٠ الى ٦،٥٠ وعددهم نحو ١٢٠ وفيهم اولاد صغار سنهم من ١٠ الى ١٥ سنة ١٠ ساعات وأجرهم من ١،٢٥ — ٢،٠٠ الى ٤ فرنكات وعددهم نحو ٣٥ وفيهم ايطاليون نحو ٨ أنفار أجرهم فرنكات ١٢ وفيهم من قضى في هذه الخدمة ٢٤ سنة في هذا البرج اجرتهم الآن فرنكات ٩،٠٠

في كامل ايام الاعتصاب كان اعضاء الجامعة يترددون الى المعتصبين احتياطا لما يمكن ان يطرأ، ومعاضدة لاعضاء النقابة ومندوب الجامعة في الرأي وقد عملوا جهدا خارقا في ايجاد المدد اللازم للمعتصبين من نقابات العاصمة وبعض ذوي الاسعاف حيث طالت ايام الاعتصاب دون ادنى ترضية او مفاهمة من جانب الشركة سوى صرامة اعوان البوليس والجندومة التي كانت اقسى منها ايام الاعتصابات السالفة تحت ادارة م. ديدي كوميساو الاحواز. أمام. كيانا مدير البوليس فقد كان يتردد من يوم لآخر على مكتب الكوميسارية هناك لاعطاء التعليمات للاعوان. وفي يوم ٢٥ جانفي اتى م. فيالاس الكوميسار ودخل وسط المعتصبين في الساحة امام قصر الباي يستعلمهم عن اسباب اعتصابهم واجورهم

فأفضوا اليه بحالتهم دون ان يقع شيء بعد ذلك وقد اوقف في عين اليوم اثنان من المعتصبين بدعوى تعرضهما في طريق عملة ايطاليين فأطلق سبيلهما يوم ٢٨ من الشهر ، وفي صباحه خرج بعض المعتصبين في طريق الجبل فخرج السيد الطاهر بن سالم مندوب الجامعة لارجاعهم عن الطريق خوف وقوع حوادث ففاجأهم بريقادي البوليس وشرذمة من الاعوان وقد شاهد هذا



السيد الطاهر بن سالم

العون ايماء الطاهر بن سالم الى المتصبين بالرجوع عن الطريق فشهد بذلك امام المحكمة حيث انه في نحو الساعة الثالثة بعد الزال من ذلك اليوم اوقف الاخ الطاهر بن سالم ورفقاؤه اعضاء مكتب النقابة : محمد الدخلاوي ومحمد اخيه كاتب النقابة ومحمد بن سالم بن ميلاد وعمر بن سعيد الجبالي الذي عوض سجنه بالرفيق سعيد الجبالي بعد اكثر من شهر لوقوع غلط من الاعوان في تمييزهما !! وتم بايقافهم اتهامهم بالتعرض لحرية الشغل حسبما هولت في هذا الامر الجرائد المعادية للاعتصاب وبعد ما اثبت بحث البوليس ان التعرض وقع لعملة ايطاليين فان شهود التهمة كانوا من الفزازنة الذين نقضوا اعتصابهم وتم بهم عند المحكمة صحة التهمة فحكمت يوم ٢٨ مارس ١٩٢٥ على محمد الدخلاوي بالبراءة وعلى محمد اخيه والطاهر بن سالم بعشرة اشهر سجنا واربعة اعوام ابعاداً وعلى محمد بن ميلاد وسعيد الجبالي بشهرين سجنا وعامين ابعاداً وعليهم جميعا اداء المصاريف . اما الجرائد المعادية للاعتصاب والتي كان لها وحدها الصوت المسموع فقد جسمت الخطر في هذا الحادث على فرنسا ونفوذها من جميع الوجوه واستطاعت بقوة عجيبة ان تمسك نفسها عن الخجل حتى انها صورت خطبا ثورية قيلت على المتصبين بينما لا يوجد من ذلك شيء وبهذه الحركة النشيطة اخفق المتصبون فيما أملوا ووجعوا الى الشغل فرادى منكسرين ومن قبل لم يحصلوا سوى الوعد بالزيادة على لسان البوليس وبعد ذلك كان التنقيص من الاجور القديمة كما حكاه لنا المتصبون وكثير منهم رحل عن المكان يطلب عيشا ، وهكذا كان نصيب عملة السدرية « بوتان فيل » وقد نشرت الجامعة منشورات فيما اعتسف به الاعوان على المتصبين ووجه كتاب النقابات كتابا الى الوزير الاكبر اذاك ونشر بالجرائد فما كان غير الضغط على الحركة بصفة عمومية وايقاف اعضاء الجامعة .

اقوال الصحف المحلية

(تونزي فرنسي) ١ فيفري ١٩٢٥

ان يوم ٢٠ جانفي ١٩٢٥ يحفظ في تاريخ تونس الاجتماعي . لاول مرة لاحظنا اهالي معتصبين يتعرضون بالعنف للرجوع للشغل ويتهددون العملة الاوروبيين وقد وقع ذلك لمعامل « تيرم » بحمام الانف ، ويحق للناظر المتبصر الذي يعرف البلاد ويفكر في احوالها ان يرى موقفا كهذا حديثا وغير منتظر من اكبر الاخطار عليها واخطرها عاقبة في المستقبل

(الديبش تونيزيان) ٢٧ ـ ١ ـ ١٩٢٥

.... يظهر اننا امام محاولة تجهيز لمكونات التشويش تحت ادارة اناس من الخارج

... ان هته الحالة لا يمكن ان تستمر من دون خطر على البلاد فان راحة الجميع مهددة حيث انه يمكن تعطيل شغل من دون ان يتبع ذلك عقاب . ان الحكومة ملتزمة ويجب عليها ان تحقق لنا الطمانينة ويجب ان لا نصل لدرجة اعتقاد ضعفها امام التهديدات الصادرة من بعض الاهالي المنفصلين بخطابات مغرضة من اجل اعدام مشروع فرانسا بالبلاد التونسية

...ان الساعة حرجة وسياسة الاهالي لم تبق صالحة ويجب ان يوضع حد لسياسة التاجيل والضعف التي تسوق البلاد لسوء النظام والخراب

هي في ٢٨ ـ ١ ـ ١٩٢٥

... انا لما تحيرنا لهذا الامر كان ذلك عن ثقة بان هذا التشويش متكون من الخارج ويذهب الخارج ونحن قد سئمنا التلاعب بنا من طرف اعوان برلين وموسكو

ويظهر ان الفكر العام الفرنسي يجب ان يقف صفا واحداً لتاييدنا بهذا الصدد

(البتي ماتان) ٣٠ جانفي ١٩٢٥

وهي (أي الديبش تونزيان) تقلب الحقائق وتصور معتصبين فى غاية الهدو كسفاكين دمويين وتصور محاولة ثورة في طلب زيـادة صادر من عملة يشتغلون عشر ساعات باليوم مقـابل ٥ أو ٦ فرنكات وذلك طلب غاية في الاعتدال . وحيث ان آجر المعتصبين هو مالك (الديبش) لم تر هذه الجريدة من العار ان تضع تحت خدمته تأثير الكذب الذي يمكن ان تستخدمه ، ولاجل ان ترجع المعتصبين للعمل فان الديبش تجتهد في اثارة الفكر العام الى الخروج به عن حد المعقول وهي تطلب لذلك تدخل السلطة وهي تكتب هذه العبارات الفاضحة التي يجب ذكرها : تتنازل السلطة امام العنف . الساعة حرجة ! ان مشروع فرنسا يقاوم ! راحة الجميع مهددة

وهي تخترع خطبا ثورية ضد فرنسا لم يقع التصريح بهـا وهي توجه لفرنسا هذه السبة ان تخلط مسالتها بمسالة سيدها وهي تظهر من دون شك الواجبات الوطنية .

هي في ٣١ جانفي ١٩٢٥

يمكننا القول بان المعتصبين الذين لم يريدوا ان يرجعوا للعمل بشروط الخدمة قبل الاعتصاب عـازمون على مبارحة حـام الانف حيث ان البولهيس يطاردهم من جميع الجهات وهم يختارون محاولة التحصيل على شغل بتونس او غيرها على البقاء بعمل الجير والسيمان (تيرم) حيث ان اجورهم طفيفة للغاية ولا تكفي للقيام بشيء ، اجور قحط حقيقي لا تسمح لهم بالعيش هم وعائلاتهم.

الهدو سائد دائما في جميع الجهات

التمهيد للقضاء

الصحف الفرنسوية تصوّر

(المؤامرة موجودة)

لحد اليوم لم يشترع في البلاد التونسية قانون للاعتراف بالحياة النقابية ونظاماتها وقد باشر الفرنسيون عملهم النقابي هنا شعبة من عملهم بفرنسا دون ان يتعرض لهم لكنه كان وجود الجامعة التونسية مثاراً لحركة قوية بين الفرنسيين فالحزب الاشتراكي يرى وجوب الاسراع بتطبيق قانون ١٨٨٤ وقد قدمه م. جوهو ممثل الجامعة الفرنسوية للجنة « الاصلاحات التونسية » في باريس في مارس ١٩٢٥ وقال تمهيداً لقبول اللجنة له : (ان تطبيق قانون ١٨٨٤ فى البلاد التونسية ينهي بصورة باتة مسالة النقابات التونسيه ففي نصه ما ينفي الخطر الاهلي ويمنع انتخاب الاهالي فى عضوية النقابات). ويعارض هؤلاء سائر الاحزاب الملية الاستعمارية التي ترى الخطر كل الخطر فى ايجاد حالة قانونية للنقابات فى تونس وهي بهذا تعطل عمل الاشتراكيين لانها تراه بذاته مفسداً للمقاصد الاستعمارية مهما كانت صبغته فهي لا تريد ان تمكنه من سلاح قد يستعمله متى شاء . لكن هذه الاحزاب المختلفة تتجه اتجاهاً واحداً امام تأسيس نقابات تونسية اذ يرون فيها منبعاً لقوة ليست لهم وقد تتجه ضدهم فهم يجهزون الحملة للقضاء عليها واحد باسم اتحاد العملة والآخر باسم فرنسا ونفوذها فتوالت التهم اثر التهم عليها وأدمجت اعمالها ضمن الهياج الشيوعي فى المستعمرات واعمال برلين ايضاً ، تلك البلاد التي استعملها سياسيوا الافرنج كما يستعمل كبارنا كلمة (الغول) لتخويف صغارهم ، وايضاً يدل هذا على ان التونسيين لا يستطيعون الا ان يكونوا آلة بيد الغير ، وهذا ما تراه

جليا فى النبذ الصغيرة التي نترجمها من الصحف الفرنسية فى فرانسا وتونس الممتلئة فصولها سخطا وتهويلا :

« افريقيا الفرنسية » جانفي ١٩٢٥ — باريس —

ان تطبيق جملة قوانيننا النقابية على تونس برمتها وبدون اعتبار اختلاف الطقس ونوع الشغل ومقدار انتاج العملة الى غير ذلك امر يبعد احتماله وغرضنا تحذير العالم السياسي الفرنسي الذي يهمه مثل هاته المسائل من ارتكاب تلك الهفوة

كنا في فصل سابق بينا غرابة هذا الموضوع وذكرنا ان امام ٥٥ ٠٠٠ فرنسي يوجد بتونس عدد وافر من الاجانب مختلفي الاجناس محاطين بمليونين من الاهالي وعليه فهل يمكن تطبيق قانون ١٨٨٤ بتونس بدون خطر والحال ان العقل السليم ينكر ذلك

كيف لا وسيضمحل العنصر الفرنسي في جميع النقابات امام الاجانب وبما ان السياسة لا تنفصل عن النقابات فستذهب فرنسا ونفوذها بدون ريب ضحية سلطة حديثة نصنعها بايدينا ...

هذا زيادة على ما يفرق بيننا وبين الاهلي من حيث كيفية الاشتغال والعوائد والحاجيات وغير ذلك مما له تأثير على طبيعة انتاج الشغل . ولذا فعلى لجنة الاصلاحات التونسية استشارة من يهمهم الامر قبل ان تضر تونس ضررا فادحا عن حسن نية .

« الديبش كولونيال » ٣١ جانفي ١٩٢٥ — باريس —

.... ان من الموجبات للحذر لسوء الحظ ان تصير المؤسسات النقابية التي يحلم م. جوهو بجعلها سدا ضد الشيوعية وتوقع الذين اوحوا بوجودها في الغلط

ان الكتاب الذي واصلنا به مكاتبنا يظهر ان جامعة عموم العملة التونسية تخلط بين النقابية والشيوعية وانها تحمل شارة موسكو .

النقابية والشيوعية والوطنية مجتمعة .. فلنحذر .

هي ١٢ فيفري ١٩٢٥

الدستور يستدعي المتنورين والاعيان، والشيوعية تعمل في الشعب وهي تكون جميات عملة مستقلة تحت لون النقابية ينمو عددها كل يوم

« الطان » ٢٨ نوفانبر — باريس —

ان اتحاد الشبيبة التونسية مع الشيوعيين لأمر طبيعي وهو قد تحقق منذ اشهر وقد ظهرت نتائجه الفاسدة منذ اشهر عديدة وقد حدث بالبلاد التونسية اخيرا حوادث موجبة للاسف بل دموية فى بنزرت — مثلا — كان سببها التشويش الشيوعي والحزب الدستوري يريد استثمار مطالب العملة والتشويش الاجتماعي لفائدة سياسته الانفصالية .

هي ٣١ جانفي ١٩٢٥

في تونس

الدعاية ضد فرنسا

لقد اراد الحزب الاشتراكي (جامعة عموم العملة) ان يخلق من هؤلاء البرجوازيين التابعين قديما او حديثا للبرجوزاي اتباعا مخلصين لاممية العملة ولقد لزم م. جوهوالذي رأى تونس في اقل من ثمانية ايام التصريح بالغلط الذي وقعت فيه المؤسسة التي هو كاتبها العام فان الشبيبة التونسية لم تكن اشتراكية وهم اميون اقل مما هم اشتراكيون اوبالاحرى هم اشتراكيون واميون وحتى شيوعيون بقدر ما يسمح به الاشتراكيون والاميون والشيوعيون من مقاومه الحماية مقاومة خفيت او اعلنت لفائدة الاستقلال التونسي فالشبيبة التونسية ملية تحقيقا

في البرلمان الفرنسي ٢٠ و٢٩ جانفي ١٩٢٥

تصريحات رئيس الوزراء م. هيريو

اني اقاوم دعاة مثل اولئك الذين دفعوا الاهالي في بعض الاماكن كبونان فيل « السدوية » لارتكاب اعمال مخيفة وهي افتكاكهم بانفسهم حوز ما لا يملكون بالعنف

... اقول للاهالي بكل صراحة : انه بقدر ما تكون فرانسا ذات سياسة

حرة ابوية نحو من اراد منهم توسعة الحريات الخاصة والعامة في دائرة الحماية بقدر ما تابى ان تكون العوبة لبعض الحركات او بعض الاشخاص الذين تحت عنوان طلب الاصلاح والمحافظة على الملية التونسية ما هم في الواقع الا اعوان حركات سياسية واحيانا بعض الدول الاجنبيـة . واذا أذنت باتخاذ وسائـل صاومة ضد بعض الاهالي فما ذلك الا لاني اطلعت على دوسياتهم ووجدت فيهم فلانا اقلم ببرلين أمدا طويلا لا يمكنني معه ان لا ارتاب في حاله (حسن جدا حسن جدا)

واذا تكلم امثال هذا الشخص عن نياتهم الحسنة التي لا يرجون من ورائها الا الصالح التونسي فليس لي الحق فقط بل الواجب يحتم علي الارتياب

« الديبش تونزيان » ٢٧ ديسامبر ١٩٢٤

.... وبعد ما اتى زعيم جامعة عموم العملة التونسية على تاريخها استنتـج ما ياتي :

يجب ان نثابر على القيام بالبرنامج الذي تعهدنا به والذي تلوح من تنفيـذه بشائر النجاح الا وهو اعطاء تونس للتونسيين وطرد الاجانب مهما كانوا من بلادنا ويمكن ان نقول ان كل شيء يحملنا الآن على ان نعتبر انه بمضي اربعة اعوام فقط يتم التنفيذ .

« ... » ٣٠ جانفي ١٩٢٥

.... وبالجملة فان جامعة عموم العملة التونسية آلة صالحة في يد الدستـور والشيوعية لتوسيع نطاق عملهم بين العملة الاهليين بالبلاد التونسية .

« تونس الفرنسية » ١٣ ديسامبر ١٩٢٤

.... سرورنا بحمية الاشتراكية مع العملة التونسيين لا يذهب بنا لغض الاعين عن الخطر الذي يتأتى للسلم الاجتماعي من تاسيس نقابات تونسيـة بحته .... وما هي الاصلاح صنع لمقاومة فرنسا ؟!

« تونس الاشتراكية » ١٨ اكتوبر ١٩٢٤

اتحاد النقابات بتونس

العمل السيء

يشهر مكتب اتحاد النقابات بتونس (جامعة عموم العملة) لرفقائه المسلمين بما علم به من مشروع انشاء نقابات ذاتية اهلية اسلامية خاصة وهي تعلمهم بما في ذلك من الخطر والاستبلاه لهم وتذكرهم بان مركزهم في المجتمع الاممي حيث تنمحي العداوة الجنسية والوطنية وليس هو في المجتمعات الوطنية التي لا تنتج لهم الا الخيبة والخطر فالوطنيون والشيوعيون الذين يدفعونهم لأغراض تهييج سياسي في هذا النهج الخطر يعملون أسوأ عمل واتحاد النقابات يرفع صوته عاليا ضد هذه المناورات التي حاربها ويعلن بكل صراحة انه ليس متعاضدا مع الذين يتمسحون باللفيف العامل لاستثماره ويبقون دائما اعداء له

مكتب الاتحادية : دوريل . اربوتزو . صوربا

ايقاف اعضاء الجامعة

ان الحملة التي نظمتها الصحف الفرنسية قد كانت نتائجها ان بعثت في عزائم رجال الجامعة قوة ونشاطا كانا أوفق ود لمن لا يريدون بقاءهم لكنها قد اثارت او بالحقيقة مهدت للحكومة سبيل العمل ، ومهما كان الامر فما الحكومة في فرنسا الا ظل الاحزاب الحائزة على الاكثرية في البرلمان ، وقوتها المطيعة فتم بذلك يوم ٥ فيفري ١٩٢٥ ايقاف عضوي الجامعة محمد علي والمختار العيادي بالسجن المدني واضافوا اليهما م . فندووي ممثل الحزب الشيوعي في تونس بتهمة المؤامرة ضد أمن الدولة الداخلي ، لكن العملة التونسيين يوم ٧ فيفري تجمهر منهم نحو ٣٠٠٠ عامل في الرصيف ومنه ساروا متظاهرين الى قرب السفارة الفرنسية حيث بلغوا لها استياءهم كتابة

من هذا الحادث المكدر . لكنه في زوال هذا اليوم بعد افتراقهم للقي القبض على العضوين محمود الكبادي ومحمد الفنوشي واضافوا لهما السيد علي القروي الذي كان كثير التردد على مكتب الجامعة ولا يتخلف عن سعي وجه اليه وقد فتح منزله لكل اجتماع نقابي عن رغبة وبكل سرور ، وايقافهم كان لعين الدعوى الاولى فبقى الجميع دون بحث الى غرة مارس الذي بدأ فيه بحث الموقوفين وقبل ذلك كاف كوميسار البوليس في الجهات التي زارها الموقوفون باجراء بحث واستدعاء اهل تلك الجهات ليشهدوا بما كان يقوله هؤلاء الموقوفون في مقاومة فرنسا وبث فكرة الثورة فانتج هـذا البحث العثور على اسماء شهدت بنص هذا السؤال الذي القي عليها ولم تستطع بعد ذلك ان تثبت بدون تردد عند وقوع المكالحة مع الموقوفين في مكتب قاضي البحث الذي دعاهم لذلك واغلبهم من عوام الاهالي الذين لا يستطيعون تحرير ما نطقوا او ينطقون به . ثم وقع رفع سجل القضية الى دائرة تحقيق التهم بالمحكمة الفرنسية بالجزائر في شهر جويلية وطلبت منها دائرة البحث هنا تقـرير التهمة كما هي واحالة الموقوفين على المجلس الجنائي ورفض طلبهم في السراح الوقتي وذلك بمقتضى الفصول ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٩ من القانون الجنائي الفـرنسي فوقع من الدائرة التصديق على ذلك في جلستها يوم ٢٨ اوت ١٩٢٥ بقرار أصدرته وقد كنا نشرنا أسانيده ملخصة بقلمنا بعدد ١ نوفمبر ١٩٢٥ من جريدة « مرشد الامة » وهي لاتخرج في جوهرها عن ترتيب اقوال هذا نصها :

قد تأسس منذ سنوات حزب دستوري تونسي يديره شبان محامون وهو يصور ان فرنسا مفلسة اقتصاديا ومنفردة سياسيا ، وغرضه من هـذه الدعاية النشيطة التحصيل على الاستقلال للبلاد التونسية . وقد فهم الحـزب

الشيوعي التونسي الذي يتصل نهائيا بموسكو الفائدة التي يمكنه نيلها باتحاده مع الدستور لمقاومة الحماية الفرنسية . وماذا عسى ان ياتي به الحزب الشيوعي من المؤثرات لفائدة الملية التونسية غير الاعتصابات في المراكز الصناعية في البلاد فلزم بالطبع تاسيس اداة خاصة لهذا الغرض يتعلم المنخرطون فيها الطاعة لاستعمال القوة في الوقت اللازم فكانت جامعة عموم العملة التونسية التي يراد منها ان تكون همزة الوصل بين الحزب الدستوري التونسي والحزب الشيوعي والذي قلم بتأسيس النقابات الاهلية هو المتهم محمد علي بن المختار الذي عينته سوابقه واقامته الطويلة بتركيا ثم بالمانيا للقيام بهذه المامورية بصفة خصوصية

اتحاد الاحزاب حول الجامعة

في الوقت الذي كان فيه اعضاء الجامعة موقوفين بالسجن اجتمع في ٢١ فيفري ١٩٢٥ م. دوريل كاتب اتحاد النقابات الفرنسي بهيآت تونسية تمثل الحزب الاصلاحي والحزب الحر والمجلس الكبير بالحكومة التونسية بمناسبة ما صور غلاة الاستعمار الفرنسي عن تونس انها في هياج سياسي مخطر تتحفز به للثورة ضد فرنسا وما شيدته في نحو نصف قرن بالبلاد التونسية ، وذلك بقصد مقاومة الاصلاح المؤمل انجازه لفائدة التونسيين فاجتمع هؤلاء لايجاد صف واحد منهم يقاومون به هذه الحملة المدبرة الا أن م. دوريل اغتنم الفرصة لافهامهم ان عقبة لا بد من تذليلها : هي انضمام العمال التونسيين تحت الاتحادية الفرنسية التي هي أممية ، ودوه (العواقب الوخيمة التي تنجم من وجود جامعة العمال التونسية) وبعد مناقشة دارت في هذا السبيل تم امضاء المجتمعين دون م. دريل على نص بلاغ نشر اولا بجريدة النهضة بتاريخ ٢٢ من الشهر وهو هذا بالحرف :

ان المكتب العام لجمعية اتحاد النقابات استدعي لحضور الاجتماع فلم يخف

عنه العواقب الوخيمة التي تنجم من وجود جامعة العملة التونسية تجاه اتحاد النقابات الاممية العامة

وبين الفائدة التي سيحصل عليها العملة التونسيون من عدم قطع الوحدة

وبعد المناقشة وتبادل الآراء قرر الجمع مع تصريحه بانه ليس له سلطة مباشرة على العملة لكنه عزم على استعمال قوة نفوذه بواسطة الصحافة والقول على نصح العملة التونسيين للانضمام لجامعة اتحاد النقابات حتى تتم بذلك المشاركة في ميدان العمل — الامضاءات :

احمد الصافي — حسن قلاتي — صالح فرحات — عبد الرحمن اللزام — البشير العناني — محي الدين القليبي — الطاهر التوكابري — محمد الجمايبي — محمد شنيق — احمد توفيق المدني — بوبكر تريمش — عبد الرحمن الكعاك — الطيب الجميل — الشاذلي القسطلي — محمد الصالح ختاش

المحاكمة

يوم الخميس ١٢ نوفمبر ١٩٢٥ نشرت قضية المؤامرة التي اقامها الحق العام الفرنسي على اعضاء الجامعة وم. فنيدووي وقد غمر ساحة المحكمة الفرنسية جيش من البوليس والجند ومن حين لآخر تصطف هناك كوكبة من عساكر الخيالة بقصد حفظ النظام الذي لم يوجد ما يوذن بتعكيره ولكن الاحتياط والارهاب قد كانا يقتضيان ذلك في نظر السلطة . اما الجمهور فقد توافد على المحكمة ولم يدخل الا من يفلت من بين الاعوان حيث ان قاعة المحكمة صغيرة ويعمر قسما منها اعوان السر ، وكان رئيس الجلسة هو كاهية الرئيس م. قيو فافتتح الجلسة على الساعة التاسعة صباحا الى الزوال ثم من الساعة الثالثة الى السابعة او الثامنة حيث شغلت القضية وحدها خمسة ايام كاملة بحذف يوم الاحد الذي جاء في الوسط ثلاثة ايام مرت في الاستنطاق وسماع الشهود ومكالمتهم

بالمطلوبين للمحكمة ويومان لمرافعة المدعي العمومي م. هيق ومرافعات الدفاع التي قام بها الاساتذة كسترو . الطيب الجميل . صالح فرحات . احمد الصافي . فواسان ـ الذي قدم من باريس لهذا الغرض ـ دوران انقليفيال الذين استغرقوا كامل الخمسة ايام حضوروا بالجلسة عدا الاعمال التحضيرية التي اشتغلوا بتهيئتها للجلسة دون ان يقبلوا في ذلك أجراً ، وهذا جميل يذكر وفضل لهم يشكر

ان مرافعة المدعي العمومي تصور (المؤامرة في ان النقابات التونسية تأسيسات تتجهز في داخلها للاجهاز على مشروع فرنسا في تونس في صورة اعتصاب عام وهذه نية يرشحها الشهود المثبتون لاقوال صدرت من المتهمين ضد فرنسا ولئن لم يظهر هذا العمل اليوم في النقابات فذلك لانها لم تاخذ الوقت الكافي ومن الغفلة أن ننتظر لنرى ذلك باعيننا ، اذ لا يعرف عند ذاك لمن تكون الغلبة)

اما شهود الاثبات واغلبهم من اعوان البوليس وفيهم موظفون عالون فقد ذهبت قوتهم بالمكافحة وأسئلة الدفاع الموردة عليهم فظهر ضعف كثير منهم للعموم . واهم شهود النفي هو م. سوقان مفتش الشغل العام بالحكومة التونسية فقد قال في شهادته (انه لا يقول فقط ان محمد علي والمختار العياري ليسا مشوشين بل قد كانا من اعوانه على الهدو والسلم في الاعتصابات الماضية التي وقف عليها وتعهدها بنفسه قياماً بوظيفه وهو يستطيع ان يعرف العملة أكثر من غيره اذ هو يباشر عمله هذا منذ سنين بالبلاد التونسية ......) واستمر يقص على المجلس ما يعرفه ، فعارضه المدعي العمومي بقوله : (اذكر انك موظف) وبعد ضجة قامت من جهة الدفاع استأنف الشاهد كلامه كما بدأه .وايضا م. لمانو الايطالي المقاول مع شركة — تيرم — بحمام الانف فقد شهد بحالة العملة هناك وشرعية تذمرهم من الاجور وخلو الاعتصاب



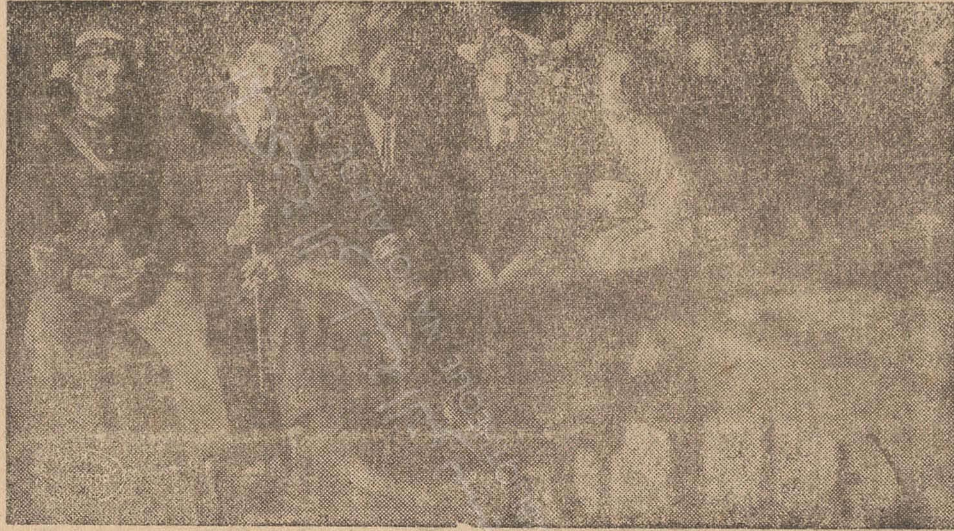
المحكوم عليهم يخرجون من المحكمة
يحيط بهم اعوان الجندرمه الفرنسية

من التشويش واله هو بنفسه قد زاد عملته ما طلبوا فرجعوا للشغل بمجرد ذلك . اما المحاكمون في هذه القضية فقد برهنوا على شرعية اعمالهم وعدم وجود قصد اذاية منها للغير لاسيما النقيب فقد افاض في بيان نظريته النقابية في تونس وذكر مشاهد البؤس التي رآها فيها بنفس حار وروح صادقة كامل ثلاثة ايام الاستنطاق

وفي مساء اليوم الخامس تم عمل المحكمة وخرج اعضاؤها مع المحكمين الفرنسيين الى المفاوضة التي دامت اكثر من ساعة ثم عادت هيأة الجلسة وتلي نص الحكم :

علي محمد والمختار العياري وفيندووي بالنفي لعشرة اعوام عن التراب الفرنسي وتوابعه وعلى محمد الغنوشي ومحمود الكبادي وعلي القروي بخمسة اعوام ونفذ الحكم عشية يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٢٥ حيث اركبوهم البحر الى ايطاليا الا السيد محمود الكبادي الذي بقي ينتظر التعقيب الذي ابدا الحكم الاول واركب بعد اشهر الى منفاه .





* المحاكمون امـام المجلس الجنائي *

وهم من اليمين : علي القروي ـ محمد الغنوشي ـ محمود الكبادي ـ المختار العياري ـ محمد علي ـ فينيدوري

خاتمة

وضعنا هذا التاريخ ولم نجمع فيه كل جزئيات الحركة لكننا سجلنا اهم الحوادث والافكار فيها ، وليس من قصدنا ان نضعه مثالا أكمل يحتذى في العمل العمومي المقبل ولا ان يكون كدعاية جديدة لاثارة حماس سياسي اذ لم يبق احد يعتقد في الهياج السياسي وهو مجرد من الاعمال الاجتماعية التي تكون بها الامة شعبا ، وانما غايتي ان أجعله مثالا من امثلة الحركات الاجتماعية في بلادنا يمتاز بروح الصراع الماثلة في الاعتصابات وكيف قوبل هذا الامر من حكومة البلاد والاحزاب النافذة فيها لنعرف اوجه العمل القريبة ونعدل من طرائق عملنا ما يحتاج لذلك وما الماضي الا درس المستقبل

ان سواد الناس يرى ان الماضي عنوان المستقبل فاذا كان فيه خطأ او كان فاسدا فالمستقبل كذلك ومن هنا كان تشاؤمهم بالعبث الذي ساد في الشركات التجارية التي أسست على يد اناس لم يحسنوا القيام عليها وكان ذلك عندهم عثرة المستقبل غير ان الشعب الذي بذر في اعماقه حب الحياة واستعد لاخذ نصيبه منها يجب ان يطهر نفسه من هذه الفكرة القاتلة التي تميته موتا أبديا فاذا كانت حياة الفرد تعتورها السلامة والتكسير رغم ارادته فيخسر بضعف رايه ثم يربح ويخيب بجهله ثم ينجح ولا مناص من ذلك في الحياة فاحرى ان يعتبر ذلك لازما من لوازم الحياة الاجتماعية واي شعب بدأ ينهض ولم تقم في طريقه هذه العقبات ، فالحياة كلها تجارب لانتائج ثابتة نبني عليها آراءنا في المستقبل

من رأيي ان تسبق الحركات الاجتماعية وبالاخص الاقتصادية منها دعاية

عامة تشرح حقيقتها واصول اعمالها وواجب عموم الشعب فيها ، وتطهير أوساطه من جراثيم الافكار القاتلة حتى يستعد بنفسه لتاييد المشاريع عن بصيرة وتهذيب عمومي يكون كضمان لمجهوده الاجتماعي وما خسرت مشاريعنا الماضية الا بفقد هذا الاستعداد واستقلال المنتخبين في المشاريع بالعمل فيها وحدهم بل وربما دعوا المشتركين فيها لحضور اجتماعات عامة بينهم فلم يحضر منهم الا القليل الذي لا يكفي لعقد الاجتماع ، وبعد ذلك يتذمرون من نتائج المشاريع الفاسدة وفي الحقيقة أنها قدقامت على النفوذ الشخصي للداعين لها وثقة المعاضدين لهم لا عن حب وتقدير صحيح لها من الشعب

ان الاسراع الى التاسيس قبل هذا العمل التمهيدي قد جربت نتيجته ويصعب اقناع العموم بحسنه ليعاضد عن حب وثقة ، فعلى شباب تونس الذين يفكرون لاجل العمل ان يقدروا الاعتبارات اللازمة حتى يصيبوا التوفيق في عملهم لخير البلاد وسعادة امتنا التونسية .

انتهى

فهرست



الأدب التونسي في القرن الرابع عشر

تراجم - صحف مختارة - صور

تاليف في ستة اجزاء تجلد في ٣ مجلدات ضخمة بديعة — معلوم
اشتراكها ٥٠ فرنكا الى موفى ربيع الثاني ثم يصبح ستين — كل ذلك
غير معلوم البريد



ظهر الجزء الاول * والثاني يظهر قريبا

اطلبه من مؤلفه : زين العابدين السنوسي

صاحب مطبعة العرب بنهج السيدة عجولة عدد ١٢ بتونس